

يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ

كِتَابُ

# مِنْ أَخْلَافِ الْعُلَمَاءِ

لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْإِيمَانِ

نَائِبِ الْحَكَمَةِ الْعُلَمَاءِ السُّعُفِيَةِ بِبُغْدَادِ

الْمَطْبَعَةُ السُّعُفِيَّةُ

القاهرة

في ذي الحجة سنة ١٣٥٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد علم الهدى ، ومطمح القدوة . وعلى  
آله وأصحابه الطاهرين الأخيار

### الى روح أبى

بعض فضلك على يا أبيت برحمتك الله ، كتب في أخلاق العلماء  
جمته للخير ، وأذعته للنفع ، ثواب علمه اجارى الى روحك الطيب  
في مقعد صدق عند مليك مقتدر

ابنك ابراهيم

## أى ولدى البار

أنبتة الله نباتاً حسناً

يقولون « العلم نور » وصدقوا . ولكن قل لهم أن مصباح هذا النور  
فى زجاجة ، الزجاجة كئيباً كوكب درى . هو روح العالم الذى تنلبسه  
فتضيئه ، ونفى به . ومنه أقرس مات هذا القيس « على عجل » لعلا تجمد  
عليه الهدى

واعلم يا بنى أن نور العلم إن تستقبله نفس مستعدة فى التى تستنير  
به وتشمه على الناس . إنه يصفىها فتصقى ، وتكون به نورانية من ومن  
الله « نور السموات والأرض » ، كنار يهدى الضال وينير الدج فيسلخ  
الظلام . وهذه وظيفة العلم . إنه يطهر النفس كالبرقعة تصهر الذهب  
فيذهب ما به من خبث . ثم يكرم حتى يتعامل به الناس . وحتى يكون  
التمن الذى يواذن به كل عرض فى الدنيا

إنك إن بلغت هذه الرتبة فذاك فضل الله ، إذ تخلص من ظلمة  
المادة فتكون صورة لأفضلية والخير ، وتحمل النفس الطمئنة ، والعلم  
وسيلة الى هذه الغاية غاية الخير والسعادة بالخير ، وأن ترى اللذة والسرور  
فى الخير ، الخير الذى يعم العزة والعدل والإيثار ، الخير الذى هو الخير  
وكفى . وإذا عدوت هذا الشوط فقد أدركت القوز وجليت فى الحلبة  
لديك ولآخرتك

أما العلم الذي نستقبله النفوس الصاعدة المظلمة فهو الذي يضر ولا ينفع ، ومثله يابى مثل ما ترى من لعب الصبيان بالمرآة إذا عكسوها على الشمس ، ألا ترى الشعاع المنعكس منها يُعشى ويُحرق ؟ ذلك أن وجه المرآة صلد لا ينفذ منه النور وقبها أسود لا يقبله فارتد لذلك على الآخرين ناراً وقمة . أو كمثل الماء يرد عن الجلود لا يرويه ولا يتروى به فينحدر عنه إلى حيث لا يملك الصخر تصريفه ، ولذلك كلف العالم إصلاحه وبفساده أداة الإصلاح والإفساد في الناس كما في الأثر ليست الغاية من العلم أن تعلم غيب ، بل الغاية أن تعمل بما تعلم من الخير . وأن تكون بعلمك قدوة أخير لقومك ، القدوة التي تؤثر في الناس بالتأسي . فإن النفوس يابى حساسة كأنها تتناجى بالأثر فما يكون في فرادة جاجلانك يعرفه جيرانك . فاصدر عن خير ابعدر عنك الخير . وكن كما تحب أن يعرف عنك بالحقيقة الواقعة . لا بالقول الموضوع . ولا بالعمل المصنوع . بل بالأخلاص في صفاء النفس وتربية الضمير . فإن النفس بتأهيتها تؤثر بحقيقتها . إن خيرة خير أو شريرة فشر وما هذه الأدهاز والأصباغ اللاتي يترأى غيب العنى عن أنفسهم إلا أنها أشبه بالطل يدوب في الصبح إذا تنفس . وأبوك يابى رجل مسلم معجب بشرع الاسلام . ويرى فيه الكفاية في العلم والعمل . والحكمة والمثل . ولكن تحفز على لسان كلمة علمنيها استاذي : محمد عاتق بك بركت كأنه نقشها على قلبي . فأنا أرويه لك في هذا المعنى عنه رحمه الله

عن صاحبها أرسطو . قال أرسطو : إنا لا نعلم بأقوالنا ولا بأعمالنا أنما  
نعلم بحقائق نفوسنا . ين في النفس أشعة تنفذ منها إلى مجاورتها فتربها  
لهم : اه تغلّ نفسك براهما الناس على ما يسرك وهم لا يدرون أولك وبيت  
رايتهم . فذبح الرياء إلى الحقيقة . فإن اجدول عينيها لا يكلفك أكثر مما  
نظمت في الرياء . فالمرء ابن عاداته التي اعتادها . وأصل التعمود في يد المرید  
وقد هداه الله النجدين . فطوبى لمن رام الاستقامة فإن على الله قد قد  
السبيل . وكفى علماء الهدى أن أسماهم هي الباقية على الدهور : سطورا  
من نور

فتح الله عليك وأفرغ عيني بك وبأخوتك وبارك وأسعد  
وتفهم يا بني ما أنا عليه عليك من أخلاق هذا الخلف من العلماء  
علماء البقاء بعد الفناء . فإنهم استحقوا بفضلتهم شرف الإيملاء . ثم  
ليزدادوا خيرا بهداهم في جنتهم

## الفاتحة

يقول ( جامع هذا الكتاب ) بدأت أجمع نقوله من خمس عشرة سنة وأنا قاضي دمينط . ثم لما عينت نائب أسبوط منذ ست سنين أعدت النظر فيها ورتبتها ووسمتها باسمها وكتبت كلمة « أى ولدى » بها وبدأت هذه الأيام أن أطبعه فراجعت أبوابه ونسقت ترتيبه وزدته مما وقفت عليه أو سمعته : والكتاب مادة تريب و ترييد وتقبل - كلما طبع - أن ينمو ويكبر . فلما فرغت من هذا أخبرني أحد الأصحاب عن كتاب اسمه : ( اخلاق العلماء ) اطاعت عليه فألفيته رسالة لطيفة في تسعين صفحة صغيرة لأبى بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرى المحدث المتوفى بمكة سنة ٣٦٠ هـ بحافيه نحو غير نحوى في هذا الكتاب . فقد ذكر رحمه الله الصفات والأخلاق التى ينبغى أن تكون لأهل العلم أو يكونوا عليها . وذكرت أنا آثار تلك الصفات والأخلاق فيما وقع من علمائها أو صدر عنهم . فكتابه دستور لهم . وكتابي زهور من يستأنهم أو جنا شمات مما يدر . وكان العلماء الذين معنى بهم - - زرع تلك الفضائل والأخلاق

وقد رأيت أن أجعل خلاصته فاتحة لكتابي زيادة في النفع ، وذكرى لأولى الألباب ، وإنما اخترت تخييده لما في اسمه من توافق وإلا فدلإمام أبى عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ كتاب حافل في جزئين كبيرين نحو ستائة صفحة بالقطع الكبير وأحرف الصغير اسمه :

( مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة ) أوسع المجال وصال  
وطال في ميدان أبي بكر الأجرى رحمهما الله وجزاها عن العلم وأهله  
خير الجزاء

وما في هذه الخلاصة من أحاديث وآثار أوردتها الأجرى من  
روايته ورأيت أكثرها منشوراً في كتاب ابن القيم وفي بعضها  
اختلاف يسير وقد خرجها الشيخ وذكر ضرقها ومنازلها  
والمنواز الآتي من كتاب مفتاح دار السعادة ، أنعم الله علينا  
بها وعلى المؤمنين

في العلم وفضله وشرفه

ويبين عموم الحاجة اليه

وتوفى كمال العبد ونجاة في معاشه ومعهده عليه

قال أبو بكر محمد بن الحسين رحمه الله بعد أن ذكر فضل العلماء  
وحاجة المجتمع اليهم

فهم - أي العلماء - سراج العباد ، ومنار البلاد ، وقوام الأمة ،  
وينابيع الحكمة ، هم غيظ الشيطان بهم تحيا قلوب أهل الحق ،  
وتموت قلوب أهل الزيف ، منهم في الأرض كمثل النجوم في السماء .  
يهتدى بها في ظلمات البر والبحر . إذا انطعت النجوم تحيروا . وإذا  
أسفر عنها الظلام أبصروا

فان قال قائل ملدلى على ماقلت ؟ قيل له المكتتب ثم السنة . فان قال



فأذكر منه ما إذا سمعه المؤمن سارع في طلب العلم ورغب فيما رغبه الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم . قيل له أما دليل القرآن فلن الله عز وجل قال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ فوعد الله عز وجل المؤمنين أن يرفعهم ثم خص العلماء منهم بفضل الدرجات وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ فأعلم خلقه أنه إنما يخشاه العلماء به

وقال عز وجل : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .. وقال عز وجل : ﴿ وَاقْضِ آيَاتِنَا بِالْحِكْمَةِ ﴾

وقال عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ كُونُوا رِبَايِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾

وقال عز وجل : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ ﴾ الآية . يقال فقهائهم وعلمائهم

وقال عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً مُهْتَدُونَ بِأَمْرِ نَا لِكَ صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾

وعن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾

قال العم والفقه

وفي قول الله : ﴿ وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ قال الفقه والعقل والعم

وفي قوله ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ قال الفقه والعقل وإصابة

القول في غير نبوة

وفي قوله عز وجل ﴿ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ قال الفقهاء والعلماء

ذكر ما جاءت به السنن والآثار

عن فضل العلماء في الدنيا والآخرة

عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَافْضَلُ

الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنْ

الْعُلَمَاءُ وَرَفَعَهُ الْأَنْبِيَاءُ إِنْ الْأَنْبِيَاءُ لَمْ يُدْرُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا

وَرَفَعُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطَّةٍ وَافِرٍ »

عن عثمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ ثُمَّ الْعُلَمَاءُ »

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« مَا عِبَادُ اللَّهِ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهِهِ فِي دِينٍ ، وَاتَّقِيهِ وَاحِدَ أَشَدَّ عَلَى

الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ وَعِمَادُ الدِّينِ الْفَقْهُ »

عن أبي حفص أنه سمع أنس بن مالك يقول قال النبي صلى الله عليه

وسم : « إِنْ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا  
 فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ يُشَكُّ أَنْ تُضِلَّ الْهَدَاةُ »  
 عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :  
 « ماسك عبد طريقاً يقتبس فيه علماً إلا سلك به طريقاً إلى الجنة وإن  
 الملائكة لتدفع أجنتها لطالب العلم رضا عنه وأنه ليستغفر للعالم من في  
 السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في جوف البحر »

عن ثس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من  
 خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع »

عن صفوان بن عسال مرادى قال « أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ فَقَالَ مَرَحَبًا يَا طَالِبَ  
 الْعِلْمِ إِنْ طَالَبَ الْعِلْمَ لَتُدْعَهُ الْمَلَائِكَةُ وَتُضَلَّهُ بِأَجْنِحَتَيْهَا ثُمَّ يَرْكَبُ  
 بِهِمُضَمٌّ يَمْضِي حَتَّى يَبْلُغُوا سَمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حَيْثُ لِمَا يَطْلُبُ »

ومن حديث أبي أمامة : « العالم وليته شريك في الأجر »

عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ مِنْ  
 الْعِدَّةِ أَنْ تَعْلَمَ ثُمَّ تَعْلَمَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »

عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَرْبَعَةٌ  
 يُجْرَى عَلَيْهِمْ أَجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ : الرَّاكِبُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَنْ عَمِلَ  
 عِلْماً أَجْرِي لَهُ مَا عَمِلَ بِهِ . وَرَجُلٌ نَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهُ يُجْرَى  
 مَا جَرَتْ ، وَرَجُلٌ تَرَكَ أَوْلَاداً صِغَاراً فَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ »

عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله عز وجل لا يقبض العلم انقضاء إنما يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسدا حثا لا فستلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينزع العلم من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكنه يذهب بالعلماء فكلماء ذهب بعلم ذهب به معه من الهدى حتى يبقى من لا يعلم فيضلون »

قال محمد بن الحسن : وروى عن معاذ بن حسن رضى الله عنه أنه قال : تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطالبه عبادة . ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد . وتعليمه لمن لا يعلم صدقة . وبذله لأهله قربة . لأنه معالم الحلال والحرام . والآيس في الوحشة . والصاحب في الخلوة : والدليل على السراء والعسراء ، والزينة عند الأخلاء . والقرب عند الغرباء ، يرفع الله به قواما فيجمعهم في إحدى قاعة يمتدى بهم . وأئمة في الخلق تقتصر آثارهم ، وينتهي إلى رأيهم ، وترغب الملائكة في حبهم ، بأجنحتها تمسحهم . حتى كل رطب ويابس لهم مستغفر حتى حيتار البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه . والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الأحرار ومجانسة الملوك . والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، والفكر به يعدل بالصيام . ومدارسته بالقيام . به يطعم الله عز وجل . وبه يعبد الله عز وجل . وبه توصل الأرحام . وبه يعرف الحلال من الحرام . أتمم

العمل والعمل تبعه . يُلهمه السعداء . ويُحرّمه الأشقياء .

عن موسى بن يسار قال : بلغنا أن سلمان الفارسي كتب إلى أبي الدرداء أن العلم كالينابيع يغشى الناس فيختلج به هذا وهذا فينفع الله به غير واحد وإن حكمة لا يتكلم بها كجسد لا روح فيه . وإن عملاً لا يخرج ككثرة لا ينفق . وأما مثل المعلم كمثل رجل عمل سراجاً في طريق مظلم يستضيء به من مرّ به . وكلّ يدعو إلى الخير

قال كعب : عليك بالعلم فإن يذهب فإن ذهاب العلم موت . هذه . موت العالم نجم طمس . موت العالم كسر لا يجبر . وثلمة لا تسدّ ، باني وثى العلماء ، قال أحسبه قال . فبني إذا أثبتهم . وضائى إذا لم ألقهم .  
لاحبر في الناس إلا بهم

وعن الحسن في قول الله عز وجل ﴿ رَتْنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ قال الحسن في الدنيا العلم والعبادة ، والجنة في الآخرة

قال محمد بن حسين . ما علمه في كل حال لهم فضل عظيم . في خروجهم لطلب العلم ، وفي مجالسهم لهم فيه فضل ، وفي مذاكرة بعضهم لبعض لهم فيه فضل ، وفيمن تعلموا منه العلم لهم فيه فضل ، وفيمن علموه العلم لهم فيه فضل . فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات كثيرة . نفعا الله وإياهم بالعلم

أوصاف العلماء الذين تقصمهم الله بأعلم

في الدنيا والآخرة

ذكر صفته في طلب العلم

من صفته لأرادته في طلب العلم . أن يعلم أن الله عز وجل فرض عليه عبادته . والعبادة لا تكون إلا بعلم . وعلم أن العلم هريضة عليه . وعلم أن المؤمن لا يحسن به الجهل . فطلب العلم لينق عن نفسه الجهل وليسند لله عز وجل كي أمره الله كما تنوى نفسه . وكان هذا مراده في السعي في طلب العلم معتددا بالاحلاص في سعيه . لا يرى نفسه المتفاد في سعيه . بل يرى لله عز وجل المتفاد عليه إذ وفقه لطلب العلم . ويعبد به من أداء فرائضه واجتناب محارمه

ذكر صفته في مشيه إلى العلماء

قال بعد . ذكر دعابته . هو يري : صاحبة الناس في طريقه لم يصاحب إلا من يعود عليه معه . قد قام لأصحاب مقام ثلاثة : أما رجل يتعلم منه حبراً إن كان أعلم منه . أو رجل هو متله في العلم فيذا كره العلم ثلاثين . لا ينبغي أن يدسه . أو رجل هو أعلم منه فيعلمه . يريد الله عز وجل بعلمه إياه . لا يعلم من صحابه وكثرة صحبه بل يحب ذلك لما يعود عليه من بر كره

صفة عالسته للعلماء

عادا أحب محالسة العلماء . جالسهم بأدب وتواضع في نفسه وحمض

صوته عند صوتهم . وسألهم بموضوع . ويكون أكثر سؤاله عن علم  
ما تعبده الله به ويحرم أنه فقير إلى علم ما يسأل عنه . فإذا استفاد منهم  
علم أعدمهم أنى قد أفدت خيراً كثيراً ثم شكرهم على ذلك . وإن غضبوا  
عليه لم يغضب عليهم ونظر إلى السبب الذي من أجله غضبوا عليه  
ورجع عنه واستدر اليهم . لا يدعبرهم في السؤال . رفيق في جميع أموره  
لا يناظرهم منازرة من يرهبهم أنى أعلم منك . وإنى همته البحث لطلب  
الفائدة منهم مع حسن التعلف لهم لا يخلد العلماء . ولا يمارى السعفاء  
يحسن اتقائهم للعلماء مع توقيره لهم حتى يتعبه ما يزداد به عند الله وهو في دية

صفته إذا عرف بالعلم

فإذا بشر الله له الذكر عند المؤمنين أنه من أهل العلم . واحتاح الناس  
إلى ما عنده من العلم ألزم نفسه التواضع للعلم وغير العالم . فماتوا ضعه لمن  
هو مثله في العلم فإنها محبة نسبت له في قلوبهم وأحبوا اقربيه ، وإذا عاب  
عليهم حية اليه قلوبهم . وماتوا ضعه للعلماء عواحد عليه يد راء العلم ذلك  
وأما تواضعه من ربه في العلم فشرف له عدا . وعند أولى الألباب  
ومن صفته في علمه . صدقه وحسن إرادته . أن يريد الله بعلمه .  
ومن صفته أنه لا يظلم بعلمه شرف منزلة عند الملوك ، ولا يحمله اليهم .  
صالح للعلم إلا عن أهله . لا يأخذ على العلم ثمناً . ولا يستقصى به أحوال .  
ولا يقرب أبناء الدنيا ويساعد الفقراء ، وإن يتجافى عن أبناء الدنيا  
ويتواضع للفقراء والصالحين ليفيدهم العلم . وإن كان له مجلس قد عرف

بالعلم ألزم نفسه حسن الإدارة لمن جالسه . والرفق بمن ساء له . واستعمال  
الأخلاق الجميلة . ويتجافى عن الأخلاق الدنيئة

### المناظرة

لا يرى أبو بكر « المناظرة » إلا على جهة الاضطراب بها ، كما إذا  
احتيج في وقت من الأوقات إلى مناظرة أحد من أهل الزيف ليدفع  
بحقه باطل من حالف الحق وخرج عن جماعة المسلمين فتكون عاقبته  
لأهل الزيف عائدة بالركة على المسلمين

أما ما يصنع العالم في علم قد أشكل عليه وأراد أن يسببه الحق فيه  
فعميه أن يتصد إلى عالم يرتضى عقله وفهمه وعلمه ممن يعلم أنه يريد  
بعلم الله فيداكره مذاكرة من يطلب الفائدة ويخبره أنه يطلب الحق  
لا الغلب ، وأن يظهر الحق وينكشف على لسان أحدهم حين يستوى  
فيه أن يكون ظهيرة على لسانه أو لسان مذاكره من غير أن يكون  
للشيطان فيما نحن فيه نصيب

وما عدا هذا فنعمه الشبح وحذر من هوى النفس أن يدخل عليها  
بحجة طلب الحق فتقع في المراء المنهى عنه . وروى عن النبي صلى الله عليه  
وسلم قوله : « من ترك أمراء وهو صادق نبي الله له بيتا في وسط الجنة »  
وقوله عليه السلام « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجمل »

### ذكر أخلاق العام ومعاشرته للخلق

أن يأمن شره من خالقه ، ويأمل خيره من صاحبه ، لا يؤاخذ



بالعثرات . ولا يشيع الذنوب عن غيره . ولا يقطع بالبلاغات . ولا يفتنى سرّاً من علاء . ولا ينتصر منه بغير حق . ويمفو ويصفح عنه . ذليل للحق . عزيز على الباطل ، كاذم للغيظ عن آذاه : شديد البغض لمن عصى مولاه . يحجب الغيبة بالصمت عنه والعالم بالقبول منه . لامداهن . ولا مشعن . ولا مختال . ولا حسود . ولا حقود ولا سعيه . ولا جاف . ولا قص . ولا عبط . ولا طمان . ولا لعل . ولا مغتاب . ولا سباب . يخالط من الاخوان من علونه على طاعة ربه ونهاه عما يكره مولاه . ويخالف بالجليل من لا يأمن شره ابتداء على ديبه . سليم القلب للعباد من الغنى واحده . يمس على قلبه حسن لصرّ بالمؤمنين في كل ما يمكن فيه العذر . لا يحب زوال الحمم عن أحد من العباد . يداوى جهل من عامله برفقه . إذا تمعّب من جهل غيره ذكر أن جهله أكثر فيما بينه وبين ربه عز وجل . لا يتوقع له باقية . ولا يحاف منه مائلة . الناس منه في راحة ونفسه منه في جهد

ذكر أخلاقه وأوصافه فيما بينه وبين ربه عز وجل

قال محمد بن الحبيب : جميع ما تقدم ذكره له مما ينبغي للعالم أن يستعمل من الأخلاق الشريفة . كما تجرى له بتوفيق من مولاه الكريم ، ومن جرى له التوفيق بما ذكرنا كُنْ استعماله للأخلاق الشريفة فيما بينه وبين ربه عز وجل أعظم شأننا مما ذكرت . لأن مولاه الكريم قد أوصلها إلى قلبه ليتمتع بها تشریفاله بما خصه من علمه إذ جهله ورث علم

الأنبياء وقرّة عين الأولياء وطيبا تقرب أهل الجفاه  
 فمن صفته أن يكون لله شاكرًا . وله ذاكرًا . دائم الذكر بخلاوة  
 حب المذكور . منه القلب بما حاق الرحمن . يعدّه مع شدة اجتهاده  
 خاطئا مذنبًا . ومع الدعوى على حسن العمل مقصرًا . جأ إلى الله عز وجل  
 فقوى طهره . ووثق بالله فلم يخف غيره . مستغن بالله عن كل شيء .  
 ومفتقر إلى الله في كل شيء . أنه بالله وحده . ووحشته من يشغله عن  
 ربه . إن ازداد عما حاف توکید الحجة . مشفق على ما مضى من صانع  
 عمله أن لا يقبل منه . همه في تلاوة كرمه . فهم عن مولاه . وفي سق  
 الرسول صلى الله عليه وسلم العتق لثلاثين ضعيف ما أمر به . متأدب بالقرآن  
 والسنة . لا ينافس أهل الدنيا في عزّها . ولا يخرج من ذلّها . يمتنى على  
 الأرض هونا بالسكينة والوقار . وفابه مشغل الفهم والاعتبار . إن  
 ورد قلبه عن ذكر الله فحسنة عند عظمته . وإن أطاع الله عز وجل  
 بعد حذور فهم خسران عند من يدركه مع الأكرام . ولعتبر  
 بسلطان اتقافين . عالم بداهة نفسه ومثمن لها في كل حال . اتسع في العلوم  
 فتراكت على قلبه الفهم فاستحي من أخى القيوم . وشغله بالله في جميع  
 سعيه متصل وعن غيره منفصل

قال قال قائل . فهل لهذا التمتع الذي تمت به العلماء ووصفتهم به  
 أصل في القرآن أو السنة أو أثر عن تقدم ؟ قيل له نعم . وسدد كرمه ما  
 يدل على ما علمنا إن شاء الله

قال الله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا اتقوا العيتم من قبيله إذا يمشي

عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا  
لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿٤﴾ أَفَلَا تَرَى  
- رَحِمَكَ اللَّهُ - كيف وصف العلماء بالبكاء والخشية والطاعة والتذلل  
فيما بينهم وبينهم

عن مسعر قال : سمعت عبد الأعلى التيمي يقول : من أوتي من العلم  
ملا يسكبه تخليق أن لا يسكون أوتي علما ينعمه لأن الله عز وجل نعمت  
العلماء وقراءه إن الذين أوتوا العلم من قبله - إلى قوله - يَسْكُونُونَ  
وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿٤﴾

عن مطار الوراق في قول الله تعالى : . ومن يؤت الحكمة فقد  
أوتي خيرًا كثيرًا . قال فيها : إن الحكمة خشية لله والعلم به  
وعن مسروق : يحسب امرئ من العلم أن يحشى الله ويحسب  
امرئ من أجهل أن يعجب بعلمه

وقال حماد بن زيد سمعت أيوب يقول : ينبغي للعالم أن يضع الرماد  
على رأسه تواضعًا لله عز وجل .

وقال ابن عيينة : إذا كن سبارى سبار سفيه وليلى ليل جاهل من  
أصبح بألمه الذي كتبت .

وقال النخعي : العلماء كثير . والحكماء قليل . وإنما يراد من العلم  
الحكمة من أوتي الحكمة فقد أوتي حبرا كثيرا .

وقال حبيب بن عبيد : تعلموا العلم واعقلوه واقتفعوا به . ولا تملوه

لتَجَمَّلُوا بِهِ ، انه يوشك اذا طال بك العمر ان تتجمل بالعلم كما يتجمل  
الرجل بشربه ،

عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : « ألا أبشركم بالفقيه حق  
الفقيه من لم يقطع النفس من رحمة الله . ولم يخصص لهم في معاصي الله ، وم  
يؤمنهم مكر الله . ولم يترك القرآن الى غيره ، ولا خير في عبادة ليس بها  
نفعه ولا خير في نفعه ليس فيه نفعهم ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر »

#### سؤال أهل العلم عن العمل به

عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزول  
قدماء يدي يوم القيامة حتى يُسْتَلَّ عن أربع خصال . عن عمره فيه  
أفتاه ، وعن شبابه فيه ابتلاه . وعن ماله من أين اكتسبه وبيعه  
أثقة ، وعن علمه ماذا عمل فيه »

#### أخلاق العالم الجاهل المعتز بعلمه

قال محمد بن الحسين : قد تقدمت الأخبار عن النبي صلى الله عليه  
وسلم وعن صحابته رضي الله عنهم وعن أئمة المسلمين ورحمهم الله من علماء  
في الظاهر لم ينفعهم الله بالعلم . ممن طمعه الفخر والرياء والجدار والراء  
وتأكل به الأغنياء ، وجالس به الملوك وأبناء الملوك ليسأل به الدنيا فهو  
يسب نفسه في نه من العلماء ، وأخلاقه أخلاق أهل الجهل والجفاء ؛  
فتنة لكل مهتور ، لساه لسان العلماء ، وعمله عمل السهباء . فان قال قائل :

فادكر الاخبار في ذلك نسحر ما حدثنا ، قيل نعم ان شاء الله  
 عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَعَامَّ عَلِمَا  
 لِعِزِّ اللَّهِ أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »  
 عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَتَعَامَّوْا الْعِلْمَ  
 لِتَبَاهُوا بِهِ أَعْمَاءٌ وَلَا لِتُحَدِّثُوا بِهِ أَسْمَاءٌ وَلَا لِتَعْتَرُوا بِهِ الْمُعَالِسَ ،  
 فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارَ انْشَارَ »

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ أَشَدَّ  
 النَّاسُ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْمَعْ عِلْمَهُ »  
 عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَكُونُ  
 فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِبَادٌ حُمُلٌ وَعُلَمَاءٌ فَسَاقٍ »  
 فان سفيان الثوري : يقال : تعودوا بالله من فتنة العابد الجاهل ،  
 وفتنة العالم الماجر ، فان فتنتهما فتنة لكل مفتون

عن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قال الله عز وجل فيما  
 يعاتب به أحماد بن إسرائيل : « تَفْتَنُوهُمْ لِغَيْرِ الدِّينِ وَتَعْلَمُونَ لِيُغَيِّرَ  
 الْعَمَلَ وَيَتَتَّبِعُونَ الدُّنْيَا يَفْعَلِ الْآخِرَةَ . تَلْبَسُونَ جُلُودَ النَّاسِ وَتُخْصَوْنَ  
 أَنْفُسَ الدُّنْيَا وَتَتَّقُونَ الْقَدَامَ مِنْ شَرِّكُمْ وَتَتَّبِعُونَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ  
 مِنَ الْحَرَامِ . وَتُتَّقُونَ الدِّينَ حَتَّى إِذَا سَلَ الْجِبَالُ تُطِيلُونَ الصَّلَاةَ  
 وَتَقْصُرُونَ النِّيَابَ تَتَّقِصُونَ مَالَ الْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ : فَيُحْزَنُ حَذَقْتُ  
 لَا ضَرْبَ لَكُمْ بِمِثْنَةٍ يَصِلُ فِيهَا رَأْيُ ذِي الرَّأْيِ وَحِكْمَةُ الْحَكِيمِ ،

أخبرنا الفضل بن زياد قال : سمعت أنس بن مالك يقول : إنا هم عالمان عالم  
 دينا وعالم آخرة ، فقام الدنيا علمه مشهور ، وعالم الآخرة علمه مستور ،  
 فاتبعوا عالم الآخرة ، واحذروا عالم الدنيا لا يصدقكم بشكركم ثم تلا هذه  
 الآية « إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل »  
 ويحدثون عن سبيل الله ، الأحبار العلماء والرهبان العباد ثم قال : الكثير  
 من علمائكم زينة أشبه زينة كسرى ويعمر منه محمد صلى الله عليه وسلم  
 إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصنع لسة على لينة ولا فصبه على فصبه  
 ولكن رفع له علم فشمم إليه

قال عنه الله بن مسعود : لو أن أهل العبد صأوا العبد ووضعوه عند  
 أهله لاندوا به أهل زمانهم ولكمهم بدلوه لأهل الدين ليلوا من دينهم  
 فهاؤا على أهلها . سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ جَعَلَ  
 اللَّهُمُّمَّ هَمًّْا وَاحِدًا هُمْ آخِرِيهِ كَمَا هُمُ اللَّهُ هُمْ دَنِيَّاهُ ، وَمَنْ تَشَبَّهَتْ بِهِ  
 هُمُومُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يَأَلِ اللَّهُ فِي شَيْءٍ أَوْ دِينِهِ هَذِهِ »

عن عيسى بن سنار قال : سمعت وهب بن منبه يقول لعطاء الخراساني  
 ذكر العلماء فبسا استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم فكأنوا لا يفتقرون إلى دنياهم  
 فكان أهل الدنيا يبتلون لهم دنياهم رغبة في علمهم ، فأصبح أهل يعرف ما  
 اليوم يبتلون لأهل الدنيا عنهم رغبة في دنياهم فأصبح أهل الدنيا قد  
 زهدوا في علمهم ، رأوا من سوء موضعه عندهم . فأياك وأبواب السلاطين  
 فإن عند أبوابهم فتنا كبارك الأبل . لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا  
 من دينك مثله »

عن هشام صاحب الاستوائى قال قرأت فى كتاب : معنى أن من  
كلام عيسى بن مريم عليه السلام . كيف يكون من أهل العدم من سخط  
رزقه واحتقر مزاياه وقد عي أن ذلك من عي الله وقدرته . وكفى يكون  
من أهل العدم من تهم الله فيما قصاه وليس يرضى شيئاً أصابه . كيف  
يكون من أهل العدم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على ديبه . وكيف  
يكون من أهل العلم من دنياه أثره عنده من آخرته وهو فى دنياه فذل  
رغبة . وكيف يكون من أهل العدم من يطلب كلاماً يحدث به ولا  
يعلمه ليعمل به

قال المصنف بن عياض : لفت الله عز وجل بحب العالم المتواضع  
ويعص العالم بغيره . ومن توسع لله وذاة الله الحكمة

### المنهى عن الأعطيات ونظير السؤال

عن حماد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : « إِنْ أُعْطِيَ الْمُؤْمِنُ فِي مُسْئَلَتَيْنِ حُرْمٌ دَخَلَ سَائِرُ  
عَلَى أَمْرِهِمْ يَحْرَمُ فَحَرَّمَ مِنْ أَحْيَا مَسْأَلَتِهِ »

عن ورد بن موسى الميموني بن شعبة عن مولاة أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم نهى عن قيل وقال وكثرة السؤال

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سَيَكُونُ قَوْمٌ مِنْ  
أُمَّتِي يَتَغَطَّوْنَ بِقَهَائِهِمْ بِعَدَائِي النَّبَايَا . أُولَئِكَ شَرَارُ أُمَّتِي »

عن معاوية بن أبي سفيان : أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن  
الاعوطات ، قال عيسى و لأعوطات مالا يُحتاح إليه من كف وكف

العالم لا يعلم ، يقول لأعلم

وأما حاجة للعالم يسأل عن الشيء لا يعلمه . فلا يستكف أن  
يقول لأعلم إذا كان لا يعلم . وهذا طريق أئمة المسلمين من الصحابة  
ومن بعدهم اتبعوا في ذلك ففهم صلى الله عليه وسلم : لأنه كان إذا سئل  
عن شيء : عالم يتقدم له فيه عبد الرحمن من الله عز وجل يقول  
لأدري . وهكذا يحب على كل من سئل عن شيء : يتقدم فيه علم أن  
يقول الله أعلم به ولا أعلم به . ولا يستكف مالا يعلمه فهو أعذر له عند الله  
وعند ذوى الألباب

عن ابن عمر قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :  
يا رسول الله أى البقاع خير ؟ قال : لأدري أى سكر . قال : فأى البقاع  
شر ؟ قال : لأدري أى سكرت . فأناب جبريل عليه السلام فسأله فقال :  
لأدري . فقال : سل ربك . قال ما سأله عن شيء . وتمصص انتعاصه كاد  
يصدق منها محمد صلى الله عليه وسلم . قال فلما صعد جبريل عليه السلام  
قال الله تعالى : سألك محمد عن أى البقاع خير قلت لأدري . وسألك عن  
أى البقاع شر قلت لأدري . قال : فخير البقاع المساجد وشر  
البقاع الأسواق

عن زاذان أبي ميسرة قال : حرج علينا على بن أبي طالب رضى الله عنه



يوم وهو يتسبح بحمده ويمجده : يبردها على الكبد - ثبت عما لا أعلم  
فقلت لا أعلم والله أعلم

عن مصروق قال قال عبد الله : أيها الناس من عبد مكة عفا عفا  
به ، ومن لم يعبد فيقول لا أعلم والله أعلم . فإن من عبد الله أن يقول لما لا أعلم  
الله أعلم وقد قال الله تعالى : قل ما أسألكم عليه أجرا وما أنا من  
المتكبرين .

\*\*\*

أخبرنا أبو بكر أخبرنا أبو أحمد قتبية بن سعيد أخبرنا أبي  
ابن سعد عن سعيد بن أبي سعيد عن أخيه عماد بن أبي سعيد سمع أبا  
هريرة يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ  
بِكَ مِنَ الْآزْمِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْتَعُ  
وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ »

أخبرنا أبو بكر أخبرنا أبو بكر بن أبي داود أخبرنا أحمد بن صالح  
الطبري أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرنا أسامة بن زيد أن محمد بن إسحاق  
حدثه أنه سمع جابر بن عبد الله الأنصاري يقول سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ »  
قال جابر فأسرعت إلى أهلي فقلت لهم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يدعو بهذا الدعاء الكلمات فادعوا بهم

## من أخلاق العلماء

### نظـر مرام

يبدأ الباب بصفحة من نور عليها أدب علماء الصحابة فيما بينهم يتداولون الكرامة ويتبادلون الاجلال وهم من هم في عزّة الحق والبروي من هطل الوحي على منهل العلم الا كل

١ - كان عبد الله بن مسعود - وهو الذي شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بأنه « غلام معلم » كان يقول : لو سلك الناس وادي وشعب ، وسلك عمر وادي وشعبا . لسلكت وادي عمر وشعبه

٢ - وقال : لو أن عمر وضع في كفة الميزان . ووضع على أهل الأرض في كفة . لرجح عمر

٣ - قال ابن سيرين : كان الصحابة يرون أن أعلمهم بالناسك عثمان ابن عفان ثم ابن عمر بعده

٤ - قال سعيد بن المسيب : كان عمر يتعوذ بالله من معصية ليس لها أبو حسن أي سيدنا علي

٥ - قال عتبة بن عمرو : ما أرى أحدا أعلم بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عبد الله بن مسعود ، فقال أبو موسى الأشعري : يا ثقل ذلك فنه كنت يسمع حين لا تسمع ، ويدخل

حين لا ندخل<sup>(١)</sup>

٦ - قال أبو موسى الأشعري "فجس" كنت أجالسه عند الله  
( ابن مسعود ) أوتق في فسي من عمل سنة

٧ - قال ابن حوشب : كن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسير  
إذا تحدثوا وفيهم معاذ بن جبل نطروا إليه هيئة له

٨ - قال ابن عباس وهو قائم على هرزيد بن ثابت : هكذا يدهسهم  
٩ - قال ابن مسعود : لو أن ابن عباس أدرك أسنادنا ما عسره منارج

١١ - كن عمر بن الخطاب يقول لابن عباس . قد طرأت علينا  
عضل فذية أنت لها ولأمتها

١١ - قال الأعمش : كن ابن عباس إذا رأته قلت أجهل الناس ،  
فاذا تكلم قلت أفصح الناس . فاذا حدثت قلت أعم الناس

١٢ - لما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية : مات رباني هذه الأمة  
١٣ - وما حدث به علي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : أبو موسى صنع في العبد صنعة

( ١ ) ابن مسعود سادس سنة في الاسلام ، كان يومئذ في الصحابة « صاحب  
السواد والبواك » والسواد المسار واللبواك البير الضعيف ، وذلك ان النبي ﷺ  
حمل أدبه عليه ( ان يسمع مراده ) يرفع الحجاب ) وكان يلج عليه ويندسه عليه ،  
ويعنى منه ولما به ويستره اذا اغسل ، ويوقظه اذا نام . قال أبو موسى الأشعري  
لقد قدمت أنا وأخي من اليمن وما نرى الا أن هذه أمة بن مسعود وحل من أهل  
بيت النبي صلى الله عليه وسلم لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي صلى الله عليه  
وسلم ( ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ )

١٢ - وقال كرم الله وجهه : سليمان ( الهارسي ) عم العجم الأول  
والآخر ، بحر لا يتروح ، مما أهل البيت

١٥ لما قدم العز بن عبد السلام الى ليدار المصرية بلغ الشيخ  
زكي الدين المدري ( محدث مصر وصاحب كتاب الترغيب والترهيب )  
في الأدب معه و تمتع من الاقضاء لأجله وقال : كما نقتي قبل حضوره  
وأما بعد حضوره فمذهب التسامع فيه « ص ١٢٧ ع ١ من الماسة »

١٦ - وفي ص ٢٦٨ ح ١ ابن خلكر " أن سهيل بن عبد الله  
لتسري جاء لأبي داود فحدثه فقبل له يا أبا داود . هذا سهيل بن عبد  
الله قد أتاك زئيراً . فحسب به وأحله ، فقال سهيل يا أبا داود ، لي إليك  
حاجة . قال : وما هي ؟ قال حتى تقول قضيتها مع الإمكان ، قال فد قضيتها  
مع الإمكان . قال أخرج لك الذي حدثت به عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم حتى قبله قال وأحد من لسانه فقبله

١٧ - وفي « ص ٣٤٦ منه » أن سفيان الثوري به مقدم  
لأوزاعي ( عالم أهل الشام ) خرج حتى لقيه بذي طوى ( موضع قرب  
مكة ) فخل سفيان رأس بعيره من القطار ووضع على رقبته ، فكان إذا  
مر بجماعة قال : الطريق للشيخ

١٨ - وطُلب عبد الحميد بن يحيى الكاتب وكان صديق لابن  
المصنف فاجأه للطلب وهما في بيت . فقال الذين دخلوا عليهما : أيكما عبد

الحمد ؟ فقال كل واحد منهما أنا خوفي من أن ينال صاحبه مكروه وحاق  
عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن النقع فقل . ترفعوا بها فإن كلامه  
علامات فوكلوا بها بعضكم وبعض الآخر وبذكر تلك العلامات  
لمن وجهه . فعملوا . وأخذ عبد الحميد

« ٢٧٢ هـ »

١٩ - عن أبي حمزة قال : قال لي إبراهيم ، والله يا أبا حمزة لقد  
نكمت . ولو أجد بدءاً ما نكمت وإن رددت أكون فيه فقيه أهل  
الكوفة أرمان سوء

« من كتاب الأثرى ص ٧٥ »

أقول : كلمة إبراهيم هذه الكريمة يومئذها قول عبد الرحمن بن  
زيد بن شاذان : مات العبد لله عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد  
الله بن عمرو بن العاص صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي . فذكر فيه  
أهل مكة عطاء بن أبي رباح وفقيه أهل اليمن طلوس وفقيه أهل البصرة الحسن  
يحيى بن أبي كثير وفقيه أهل الكوفة إبراهيم وفقيه أهل البصرة الحسن  
وفقيه أهل الشام مكحول وفقيه أهل حراسان عطية بن سنان . لا  
المدينة من الله حصصاً قرشي فذكر فيه أهل المدينة سعيد بن المسيب .  
غير مدافع . وقد ذكر ابن النقيم أسماء عظيمة كان أصحابها يقتلون بالكوفة  
فقال إبراهيم هذا

« من ٢٨٠٢١ هـ أعلام الوفاء »

٢٠ - في سنة أربع وخمسين تولى أبو بكر الشاشي خراسان  
رئيس الشيعية في زمن المستظهر بالله التتريس بالمدسة النعمانية في  
بغداد وهو هو . وكان قد وليها قبله أبو اسحاق الشاشي . وأبو نصر  
ابن الصانع صاحب الشامل . وأبو سعيد المتولي صاحب تسمية الأمانة .

وأبو حامد الغزالي . فلما اقترضوا تولّاها هو . فحكي أنه يوم ذكر  
الدرس وضع منديله على عينيّه وبكى كثيراً وهو جالس على السدة التي  
جرت عادة المدرسين بالجلوس عليها وأشد .

حلت الديار فمات غير مؤد . ومن البلاء تعرّدى بالسود  
وحمل يردّد هذا البيت ويبكى . وهذا انصاف منه واعتراف لمن

تقدّمه بالفعل والرجحان عليه .

٢١ دخل العراق على سعيد بن سالم فقتل سعيد لآله . قد جاء .  
سيّد أهل اللغة وسيّد أهل العربية . فقال العراق . أم مادام الأحفش  
( اللغوى ) يعيش فلا .

٢٢ وسئل الحسن البصري عن عمرو بن عبيد . فقال للسائل  
لعمري سألت عن رجل كان الملائكة أدبته . وكان الأنبياء ربّته . إن قام  
بأمر فعدّه وإن عصى بأمر فامره . وير أمر بشيء كان أكرم الناس له .  
وإن نهي عن شيء كان أترك الناس له . ما رأيت . يهرّ نفسه بباطل منه  
ولا باطلاً أنسه بظاهر منه .

٢٣ قال أبو زيد الأنصاري وقد ذكر عنده شعبة ( الأزدي  
حدثت العشرة ) وهل العماء إلا شعبة من شعبة . ذكره المحدثون .  
٢٤ - وقال أبو جعفر : سمعت الشيخ أبا اسحاق الشيرازي يقول  
لإمام الحرمين : يا سعيد أهل الشرى وأعرب أنت اليوم إمام الأئمة اه  
٢٥ - ويوحى أبو اسحاق هذا إلى حراسان في رسالة أخيلة هي  
يدخل بلدة ولا قرية إلا وجد حطيبها وقاضيا تليذه ومن جملة أصحابه .

يسأله عن مسألة فيها خطر إلا تبينت الكراهة في وجهه إلا محمد بن  
أخس . وقال : حملت من عم محمد بن أخس وفر يعير

٣٩ .. قال ابن كرامة : كنا عند وكيع (الفقيه) يوماً فقال وجل :  
أخطأ أبو حنيفة . فقال وكيع كيف يقدر أبو حنيفة يخطئ ، ومعه مثل  
أبي يوسف ودره في قبسهما . ومثل يحيى بن أبي زائدة وحماد بن غياث  
وحنار ومنزل في حفظهم الحديث . والتفلسم بن معن في معرفته باللعنة  
والمرية . وداود الخائى ومضيل بن عياض في ردهما وورعهما ؟ من كان  
هؤلاء جلساءه لم يكن يخطئ ، لأنه إن أخطأ رذوه . تاريخ بغداد - ١٢ ص ٢١٧ .

٤٠ عن محمد بن أخس يقول . مرض أبو يوسف (صاحب أبي  
حنيفة الأور) في زمن أبي حنيفة مرضاً خيف عليه منه . قال : فعاده  
أبو حنيفة ومعه فلما خرج من عنده وضع يديه على عتبة بابه وقال :  
إن يمت هذا الفنى فإنه أعلم من عبيها . وأومأ إلى الأرض . ص ٢١٩ م .

٤١ قال عمر بن حماد سمعت أبا يوسف يقول ما كل في الدين  
أحب إلى من عمن أحلسه مع أبي حنيفة وابن أبي ليلى فإني ما رأيت  
فقيهاً أفقه من أبي حنيفة ولا قاصياً حيراً من ابن أبي ليلى . ص ٢١٠ م .

٤٢ قال جعفر بن يس كُنت عند المروى (أشعري) فوقف  
عليه رجل فسأله عن أهل العراق فقال له : مات قول في أبي حنيفة ؟ فقال :  
سيدهم قال . فأبو يوسف ؟ قال : أتبعهم للحديث قال : فمحمد بن أخس ؟  
قال : أكثرهم نصرياً قال : فزفر ؟ قال : أحدهم فيلسف . ص ٢١٠ م .

٤٣ ومما نذكره في باب تلاقى العلماء بالإنكرام أن العالم الشهيد

شيخ الشافعية أحمد بن حنبل المصنف المشهور في سنة ٢٤١ هـ ألف كتاباً خاصاً في مناقب أبي حنيفة سماه ( الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ) انتدب نفسه لتأليفه ردّاً على جاهل ينتسب للشافعية كان قد طعن في الإمام أبي حنيفة

٢١ - فنه - وقال أبو حنيفة - ما صليت صلاة مندمات حماد ( بن مسلم ، وهو شيخه ؛ إلا استغفرت له مع والدي . وما ملحت رجلي نحو دره ولدت بيني وبينه سمكك . والى لأستغفر لمن تعلمت منه أو علمني

« ص ٢٩ »

٢٥ - وقال ابن المبارك : دخل أبو حنيفة على مالك فرفعه ، ثم قال بعد خروجه . أندرون من هذا ؟ قالوا لا ، قال : هذا النعمان . لو قال هذه الاسطوانة من ذهب لخرجت كما قال

« ص ٣١ »

٢٦ - وقال لضر بن شميل . ذكر الناس بيما عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما جده وبينه وأخذه

« ص ٣٢ »

٢٧ - وقال ابن المبارك : رأيت الحسن بن عمارة أخذ بركب أبي حنيفة قائلاً : والله ما رأيت أحد يتكلم في الفقه أبليغ ولا أصبر ولا أحضر جواباً منك وإنك نسيء من تكلم في الفقه في وقتك غير مدافع وما يتكلمون فيك إلا حمداً

« ص ٣٤ »

٢٨ - وقال شعيب بن القاضي كان أبو حنيفة طويلاً الصمت كثير التعمك دقيق النظر في الفقه لطيف الاستخراج في العلم والعمل والنسب إن كان الطالب فقيراً أغناه . فإذا نمر قال له وصلت إلى المي الأكبر



معرفة خلال واحرام « ص ٢٠ »

٤٩ - وقال حماد بن يزيد: كنا فأتى عمرو بن دينار فإذا جاء أبو حنيفة  
أقبل عليه وتركنا نسال أما حبيبة . فنسأله فيحدثنا « ص ٢٠ »

٥٠ - قال مسمر - كان أبو حبيبة لا يشتري لنفسه وعياله كسوة  
أو فاكهة أو غيرها إلا اشتري قبل ذلك لشيوخ العلماء مثل ذلك « ص ٢٠ »  
٥١ - وترجم القاضي ابن حنبل وهو شافعي حماد عجرد فلما وصل  
إلى ذكر أبيات ماجة قلها هذا الشاعر في أحد الأئمة ( ذكر اسمه  
صاحب الأغوار ) لم يرف ابن حنبل أن يعرض باسم الإمام وقال رحمه  
الله في سرد الواقعة يحكى أنه كتب إليه وبين أحد الأئمة الكبار وما  
يبيق التخرج يدكر اسمه الخ وهذا من سمو الأدب في التأليف ورعاية  
حرمة العالم للعالم بخلاف ينبغي أن يستشهد بنوره

٥٢ - وقد سبق ابن حجر العسقلاني الشافعي المتوفى سنة ٨٥٢ هـ  
فألف رسالة سماها « الزحمة الميثبة بالترجمة اللبثية » في مناقب الإمام  
اللبث بن سعد وهو الإمام الذي لم يدور أئمة عنه فذكر مدهه على حين  
أنه كان داعية مصر في عهد بني أمية مالكا بالمدينة في عامه ويقبل ما  
حبيبة في العراق ثم أنه واستخدمه ساد للعلم . أهد

٥٣ - منها : قال عمرو بن خالد : كنت لمست سعدى أتت أحبت  
بركاب ابن شهاب الزهري قال : نعم . للعب فأما لعب ذلك فلا والله  
ما فعلته بأحد قط

٥٤ - قال أبو صالح كاتب اللبث . كنا على باب مالك بن أنس

وجرى ذكر صاحبنا، فسمع مالك كلامنا، فأمر بإدخالنا وقال من صاحبك؟ قلنا الليث بن سعد. قال تشبهوني برجل كنت إليه في قليل عذفر لم يبلغ به ثياب صبيانا فأخذ ألبا مصبغنا به ثياب صبيانا وثياب حيرانا وبعنا الفضل بألف<sup>(١)</sup>

٥٥ -- ك احترفت دار ابن لهيعة وصلة الليث بألف دينار ( ابن لهيعة الصّدّث ولي القضاء بمصر وجمع مع الليث )

٥٦ قال سعيد بن أنس مريم : ما رأيت أحدا من خلق الله أفضل من الليث . وما كنت حملة يتقرب بها الى الله إلا كنت تلك الحقة في الليث

٥٧ -- وبعد أن ذكر ابن خلكن ما قبل في ابن دالامام الليث ابن سعد وأنه يصرفه في الدلات قال : كان يتخذ لأصحابه القلم ذبح ويعمل فيه التافير ايحصل من يأكل كثيرا أكثر من صاحبه

٥٨ -- قال منصور بن عمار : أتيت الليث فأنطسني ألف دينار وقال : صر بها حكمة اتى آتاك الله

٥٩ -- ويروي أن الشافعي رضي الله عنه وقف على قبر الليث وقال : لله درك يا إمام لقد حزت أربع خصال لم يكمل لعالم . العلم والعمل والزهد والورع

« ص ١٠٩ ج ١ : الخط التوفيقي »

(١) كان الليث واسع النوى ، كانت له قرية الفوما واقصاع الجفرة ، وإيراده يصل أو يمين ألب حبة في العلم ، قال قتبية بن سعيد قلنا مع الليث من الاسكندرية ومعه ثلاث مائتين ، سفينة فيه طمخه وسفينة فيها عياله وسفينة فيها اضيائه اه من ترجمته ومن الخط التوفيقي

٦٠ أم علي « تقيّة » العالمة المصرية الفاضلة أبوها التقيّة أبو الفرج  
 حيث يرعى . وولدها النحوى القارىّ أبو الحسن علي بن فضل . صحبت  
 اخافئ المحرّث أبا طاهر السلفى شغرا الاسكندرية زمان فذكرها فى  
 بعض تعاليقه وأثنى عليها وعثر هو يوماً فى منزله فأنجرح اخمصه ،  
 فشقت وليدة فى الار خرفة من خمارها وعصمته . فأشدت تقيّة  
 المذكرة فى احوال لنفسها تقول :

لو وجدت السبيل جدت بخدي عوضاً عن خمار نث لوليدى  
 كف لي أر أوار اليوم رجلاً ساكت دهرها الطريين الحليده  
 وقد كتبت اشيع انسلق هذه الواقعة بخذاه

وما يذكر لهذه الناحية أنها مدحت المثلث العفر بفصيحة خرية  
 ووصفت فيها شمس الشراب وما يتعلق به . فلما قرأها الملك قال الشيفعة  
 يعرف هذه الأحواز من زمن صاها ؟ قبلها ذلك منضمت قصيدة أخرى  
 حربية ووصفت بها حرب وما يتعلق بها أحسن وصف ثم سرتها اليه  
 وحى يقول : عالم بهذا كعمى هذا . فقص : ادة ساحتها بما نسبها اليها

٦١ حكي من رأى الأصمى وقد جاء إلى حقة أو ريد الأديارى  
 فقل رأسه بين يديه . وقال : أنت رئيسنا وسيدنا منذ نحن منه

٦٢ أمير وحدثني من رأى الشيخ عبد الرحمن الشريدى الذى  
 ولى مشيخة الأزهر وقد جاء إلى الشيخ الأشمونى وهو العالم المشهور  
 وراه مصططج على جنبه فوضع الشيخ الشريدى حذاه بعيداً ثم أقبل  
 متحجماً حتى جذا وأثم يد الشيخ الأشمونى . قال محدثي : وكان الأشمونى

ربما قال له المرة بعد المرة ( اريد يا عبد الرحمن ) فكون الشيخ كُتُب  
حُبّه املانكة

٦٣ - وسمعت شيوخنا في الأزهر يتداولون هذه القصة ويقولون  
على ما بينهم في الدروس : ان ابن مالك رحمه الله صاحب الألفية في النحو  
لما وصل الى قوله في وصفها ( فائقة ألفة ابن معطى ) ثم قرأ ابن  
معطى ، وهو صاحب ألفية أخرى سبق بها ابن مالك ، يقول له في التمام  
نكالة لشعرته : ( واحي قد يصل العدم ميت ) قالوا لصاحب المال  
أحد يثنى على ابن معطى ويدعوه له وكان قوله تاختر ، صاحب الألفية  
وهو سبى حائر بهيلا مستوحش تبثي حبالا  
والله يقضى بهنت وافر في وله في درجت لآخره

٦٤ - وحدثني كثير من العلماء أن ابن حجر عسقلاني  
المواوي كان يدرس الفقه بمدرسة المنقوش فاحدة يوم على الباب وقطعه  
بشيء من أشيائه هدم من الشباك أي الفناء . وكان تأخر المدرسة إذاك  
من أجلالة العلماء القريبين ، فحمل المقدوف بيده وصعد موضعه تحت  
قدم الشيخ

٦٥ - وحدثني أستاذنا الشيخ عبد الحميد البدر : أن الشيخ  
الباجوري شيخ أجامع الأزهر كان يجلس بعد المغرب في صحن المسجد  
فيقبل الطلبة والعلماء عنده يقولون يديه ، وكان الشيخ مصطفي المبط وهو  
أكبر منه فطره في طلب المشيخة ولم ينس فكأن إذا رآه أحد من  
بينهم وقبل يد الشيخ . فأنقبه الشيخ الباجوري مرة عمره ، فأمسك

بيده وبكره ، وقال له : حتى أنت يشرح مدعي : لا . فقال الشيخ  
معدني هم . وأن الله قد خدعك أن يتدلى وحده أن يداد . وحرب  
شيخنا فعلينا أن نوردك

٦٦ وحديثي : أن الشيخ الأمامي والشيخ القويسي كنت بينهما  
جمعة بنت احكام . وكان الشيخ الأمامي عنده يومها له احكام عنها  
وأخبره أن الشيخ القويسي أتبعها بها . وكان يقصد به خوف على خفيته  
ليوفق بينهما . فقال الشيخ الأمامي ليس بيننا إلا الخير . ما أمس الشيخ  
القويسي حديثك بشيء من هذا ، وأث على القويسي ومديح . ونزل من  
عنده فرأى به راشرح القويسي على ما من بينهما وأث ما دار فقال الشيخ  
القويسي ، ودور في رند . ما ملت بالاحكام شيئا . فقال شيخ الأمامي  
هكذا عمل الله . يدور ما بينهم في خاصتهم . وما مدبرهم فيجب أن  
يكون قدوة في التألف . وأخير . أماد على عروة الاسلام وحدهما  
لكرامة العلم ، وزال بهذا ما بينهما

٦٧ ونحوه أبواب مدونة الشيخ في تدرج العلماء حكى الشعبي قال  
زكيت زيد بن ثابت . قدنا منه سيدا . عيسى فأحد . كنه . فقال  
لا تفتن . إن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال هكذا أمرنا أن  
نعمل بعلمائنا . سأل زيد بن ثابت . فأخبرها وقتها وقال : هكذا أمرنا  
أن نعمل بأهل بيت نبينا

أقول : إن العلماء الذين استحقوا هذا الوصف قد استندوا بسنة  
الصحابة رضوان الله عليهم حتى قال قائلهم : العلم رحم . فوصلو رحمهم ،

وتواصوا بها . وجعلوا العلم دم غرايتهم وطنب نعتهم عذار الإكرام  
منهم فم سجيتهم ، والدافع مودعهم غريزتهم . والتوفير مودعهم شغلتهم .  
وسترى في هذا الكتاب أى فضل تقاسمه العلماء من مبراث النبوة فأوتوا  
به حقا عظيما

## صبرهم على طلب العلم

٦٨ - في صحيح البخارى من كتاب العلم : باب الاعتناء في العلم  
واخذ الحكمة . وقال عمر : نفعها قبل أن تودد . وهذا هو أصوب ما  
صلى الله عليه وسلم في كبر سنهم

٦٩ - في ترجمة يحيى النعوى بكاتب إخبار العلماء ص ٢٣٦ أنه  
كان ملاحا يهوى الناس في سفينة . وكان يحسن الكلام كبريا ، فإذا سمع  
من دار العلم والدرس التي كانت يحسن بها الإسكندر بن محمد وروى فيها من  
لهم من المعجزات وما وصونه . يسمع قبيش نفسه للعلم ، فما قرى رأيه في  
طلب العلم فكبر في نفسه وقال قد بلغت نيفا وأربعين سنة وما ارتقت  
بشيء ولا عرفت غير صناعة الملاحة فكيف يمكن أن أعرف في شيء من  
العلوم . وفيما هو يمكر إذا رأى ثلثة قد حملت نواة تمرة وهي دائرة تصعد  
بها . فوقع منها فعدت وأخذتها . ولم تزل تحاهد من ارتقى بلغت بالشيعة  
عرضها فتلا إذا كن هذا الحيوان الذئب قد بع عرصه بالجب عده  
والمناصبه فباحرى أن أسف غرضي بالجاهدة . شرح من وقته وباع سفينة

ووم دار العلم وبدأ يتعلم النحو واللغة والمنطق . فبرع في هذه الأمور  
لأنه أول ما ابتدأ بها . فنسب إليها واشتهر بها . ووصع كتباً كثيرة  
وينحى هذا بقى عمرو بن العاص وأحب عمرو به

٧٠ - - قال في تذكرة الخطاط كان الشافعي من أحذق فريش  
بالرمي . كان يصيب من عشرة عشرة . وكان أولاً قد برع في ذلك وفي  
شعر وثقافة وأيام العرب ( يقول ابن خنكس إن الأصمعي مع جلاله  
فدرو في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الحمديين ) ثم أقبل على الفقه  
والحديث وجوّد الفرقان على اسماعيل بن قسطنطين مقلده مكه وكان  
يحتم في رمضان ستين مرة . ثم حط الموطأ وعرضه على مالك اه . ويقول  
ابن حبان عن الحمدي . سمعت الزنحى بن خالد يقول للشافعي : أفت  
يا أبا عبد الله فقد آن لك أن تفتي . وهو ابن خمس عشرة سنة

٧١ - - قال شعبية المحدث : من طلب الحديث أقس . بعث طلست

أبى بسة دنابر و ذكر الخطاط ١٠٠ من ١٨٤

٧٢ - - ذكر الشيخ عمر الدار بن عبد الله الام - يدى ملا الأثر - اه

وعدة نفس - في أول أمره فقير جداً ولم يشغل إلا على كبر

و ذكر الخطاط ١٠٠ من ١٨٤

٧٣ - - كان ابتداء اشتغال الفاضل المروزي بالعلم على كبر السن بعدما

فقر شبيبته في عمل الأصل . ولذلك قبل له التعلل . لأنه كان ماهراً في

علمها . ويقال إنه لما شرع في التعلل كان عمره ثلاثين سنة . له ١٠٠ من ١٨٤

وفي كتاب شذرات الذهب : أبو بكر الفضل المروزي عبد الله بن

أحمد شيخ الشافعية بخراسان صار إمام الحرمين كما كان القفال  
الكبير الشافعي شيخ طريفة العراقيين لكن إدري أكثر ذكره في  
كتب الفقه ويدكر معاصرا وإذا ذكر الكبير فبد الشافعي وإتفاقه به  
القفال لأنه كان يعمل الأقفال في ابتداء أمره وبرع في صنعها حتى صنع  
قفلا بآلاته ومفتاحه وزن أربع حبات . فلما كان ابن ثلاثين سنة أحسن  
من نفسه ذكاه فأقبل على الفقه واشتغل حتى صار مام يقتدى به ونفقه .  
عليه خالق من أهل خراسان وسماه إماما وحديثه أملي حال الفقه  
ناصر العمري لم يكن في زمان أبي بكر القفال فقه مام ولا يكون  
بعده منه وله في المذهب آثار ليس أعبره من أهل عصره ومريقتة  
المذهب في مذهب الشافعي التي حملها أصحابه أحسن طريفة . وأكثر  
تحقيق رجع إليه ثمقها من البلاد ونخرج به أئمة . توفي في سنة ٤١٧ هـ  
في داره في شهر ربيع الثاني ٤٢٠ هـ

٧٤ وأبو بكر الرازي رئيس الأئمة في أيام السكوت كان في  
أول أمره يعرب على العود ويغني . فلما انتهى وجهه قال . كل عنه  
يخرج من بين شارب وحية لا يتعارف ، ودع في العلم وقد جاوز  
الأربعين فمر فيه وبرع حتى صار رئيس أهل الشر في ذلك

٧٥ قال الإمام أسعد المهدي سمعت الغرالي يقول : قطعت عينا  
الطريق وأخذ العمارون جميع مامى ومنزوا فقتلهم فالتفت إلى مقدمهم  
وقال ارجع ويحك وإلا هلكك . فقتل له . أسألك بالله ترحو السلامة  
منه أن ترد على تعيقتي فقط فها هي بشيء تنفصون به . فقال لي : وما هي



فعلقتك ؟ وقلت : كتب في تلك الخلعة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها . فصاحت وقال : كيف تدعى أنك عرفت علمي وقد أخذتها منك فتحررت من معرفتها وببيت بلاعة ؟ ثم أمر بعض أصحابه فسيره إلى الخلعة قال لغريمي : هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري . فلما وافيت حوس أقامت على الاشتغال ثلاث سنين حتى جمعت جميع ماعلمته وصارت بحسب أو قطع على الطريق لم أتحرك من علمي .

٧٦ وروى أنه اجتمع في الديار المصرية محمد بن عمر . ومحمد بن جرير . ومحمد بن اندر . فحدثوا في بيت يكتنون الحديث ولم يكن يدرى في ذلك اليوم شيء بقتل نوح . وفتحوا فيما بينهم من يسعى له في شيء يأبونه ليدفعوا عنهم ضرورتهم ؟ فحالت القرعة على أحدهم فنهض إلى الصلاة . وجعل يحللي ويدعو الله . وذلك وقت القبولة . فرأى نائب معمر وهو نائب وقت القبولة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : أنت نائب ههنا والمحدثون ليس عليهم شيء يقتلونه . فأنبأه الأمير من مائة . فقال من ههنا من المحدثين ؟ فذكر له هؤلاء الثلاثة . وأرسل إليهم في الساعة بألف دينار .

٧٧ ويشبه هذا ما حكاه ابن كثير في ترجمة الحسن بن سفيان محدث حراسان قال : من غريب ما اتفق له أنه كان هو وجماعة من أصحابه بمصر في رحلتهم للحديث . منهم محمد بن خزيمة . ومحمد بن جرير . ومحمد بن هارون الرويني فضايق عليهم حال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون شيئاً ، واضطرم

أحال إلى السؤال . فأقمت قفوسهم من ذلك . ثم أجلسهم العمرونة أي  
 دماطيه . فاقترعوا فيما بينهم فوَقعت القرعة على الحسن بن سفيان . فقام  
 مختلياً في زاوية للمسجد وصلى ركعتين أطال فيها واستغث بالله فوَقعت  
 لهم قصة شبيهة بساقتها مع أحمد بن طولون . حتى بعث لهم بالثمنفة في  
 الحال . وجاء لزيارتهم . واشترى ما حول مسجدكم ووقفه على الولاديين

و حسن الخادم .

٧٨ وقد عقد السيوطي في كتابه : « حسن المحاضرة » فصلاً  
 للحديث الذي روى فيه جابر بن عبد الله إلى مصر . فقد ذكر عنه : أنه سمعه  
 عن عبد الله بن أبيس الجهني الأندلسي المصري أن عمه حديث في  
 القصص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال جابر : خرجت إلى  
 السوق فاشتريت بعيراً . ثم شددت عليه رحلاً ثم سرت إليه . من  
 المدينة شهرأ . فلما قدمت مصر . سألت عنه . حتى وقعت غيابة .  
 فسألت . فخرج عليّ غلام أسود . قال : من أنت ؟ قلت : جابر بن عبد  
 الله . فدخل عليه فذكر ذلك . فقل قلب له : « صاحب رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ؟ فخرج الغلام فقال ذلك . فقلت : نعم . فخرج إلى والتمسي  
 والتمته . فقال ما جاء بك يا أحمى ؟ قلت : حديث يحدث به عن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم في القصص لم يبق أحد يحدث به عن رسول الله  
 غيرك . أردت أن أسمعه منك . قبل أن تموت أو أموت مع . ويعبر

(١) ورد في صحيح البخاري من كتاب العلم « باب الخرج في طلب العلم »

« روى جابر بن عبد الله مرسداً إلى عبد الله بن أبيس في حديث واحد »

ما الحديث لو ذكرنا ما تحفنه علماء السلف من المشاق في طلب العلم .  
 ونطوبهم في الآفاق لبغته . حتى ذكروا عن السمعاني مثلاً أن عدة  
 شيوحيه تزيد عن أربعة آلاف شيخ . وقبله ذكروا مثل هذا العدد لشيوخ  
 أبي حنيفة . ولشيوخ ابن المبارك . وغيرهم كثيراً جداً خصوصاً لمحدثين  
 معهم . فقد أفتوا : الأعمار في الأسفار وصب الرواية . ويندر أن تخلو ترجمة  
 حديث عن رجل والنقل وما تكيدوه ولا فوه من جمع الحديث وقد  
 ينبع رجاله واستيعاب أسانيد . رحم الله الجميع

٧٩ - قيل إن واضع جدول اللوغاريتم مكث ثلاث سنين يشتغل  
 فيه . مما أنه يئسه ومرق مسوداته . وخرج بعد الفراغ يستشق  
 الهواء مرعاً مسروراً . وعاد بعد فسادته فرأى كانه قد ففز على المكتب  
 فكبت آخر من الدواة على الليضة فذهب بها والسكب واقف يلهو  
 ويلعب . فبدأ يسمع المؤانف إلا أن نظر إليه طويلاً وقال : آه لو بعد  
 ما صنعت أو عاد وبدأ العمل من جديد

٨٠ - حدثني أبي رحمه الله قال : ادرك الأزهري وهو يوقد  
 بالمرح لا تضيء إلا أن يرى الشخص الشخص فكان المجاورون  
 يشترك الجميع منهم في فتيلة يطالعون عليها قترهم وضعوها على الأرض  
 وتراضوا حولها وقد تمددوا على جنوبهم فلا يحيط بها إلا رؤوسهم .  
 وكثيراً ما حدثني رحمه الله عن أهوال ومشاق كان يلقاها صبية العلم في  
 تلك الأزمان

٨١ - وحدثني حديقنا الشيخ محمود رناز وهو من تلميذى المرحوم

سيد بن علي المرصعي العالم اللغوي المشهور قتل . كان الشيخ دائم الأت  
والدبر على العلم . دخلنا عليه يوماً . وقد سكن دار بالية في حي قديم  
هو أيناه قد جلس في غرفة فرش حصيراً وسطها وفعد يكتب ويضالع .  
ومن حوله خيط من عمل القصب مرشوش على البلاط يحيط به .  
فسألناه عنه ، فقال هذا خندق من هجوم البق

## متفهمهم بالعلم وأداء واجبه

٨٢ . عقد البخاري في صحيحه من كتاب العلم : باب التناوب في  
العلم . عن عمر قال : كنت أنا وحارث بن الأصبغ في بي أمية بن زيد  
وهي من عوالي المدينة . وكانا تناوب الترويل على رسول الله صلى الله عليه  
وسله . ينزل يوماً وأنزل يوماً . وإذا برئت حبيته بحبر ذلك اليوم من الوحي  
وغيره . وإذا نزل فعل مثل ذلك

٨٣ . ومنه : باب حفظ العلم . عن أبي هريرة قال : إن الساس  
يقولون أكثر أبو هريرة . ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثنا .  
ثم يقرأ : إن الذين يكتمون ما أزلنا من البينات والهدى . إلى قوله .  
الرحيم . إن . خواننا من المهاجرين كل يشغلهم الدين بالأسواق وإن  
خواننا من الأنصار كل يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أنا هريرة كل  
يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشم نطه . ويحصر ما لا يحصرون  
ويحفظ ما لا يحفظون

٨٤ . ومنه : عن أبي هريرة قال : علمت يا رسول الله . إلى أسمع منك

حديثا كثير أسماه قال : أبسط ردائك ، فسطته ، قال : عفر يدي ،  
ثم قال صمته ، فضعته ، فما نسيت شيئا بعده

٨٥ - ومعه : باب آخر من على الحديث ، عن أبي هريرة قال :  
فيل يرسول الله . من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا  
الحديث أحد أو كل منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد  
للناس شفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله حاضرا من قلبه أو نفسه  
٨٦ ومعه : عن أبي سعيد الخدري قال : قالت النساء للنبي صلى  
الله عليه وسلم : غلب عليك الرجز فاجعل لنا يوما من نفسك . فوعدهن  
يوما تأتيه فيه فوظهن . وأمرهن . وفي رواية لابن عباس : أنه صلى  
الله عليه وسلم خرج ومعه بلال . فظن أنه لم يسمع النساء . فوظهن  
وأمرهن بالصدقة . فكانت المرأة تلتقي القرط والخطام . وبلال يأخذ  
في طرف ثوبه

٨٧ ومعه : عن عائشة رضي الله عنها . ثم النساء نساه الانتصار ،  
بجمعهن أحياء أو يجمعين في الدرس<sup>(١)</sup>

٨٨ قال زيد بن عمرو : أب حذر معاذ بن جبل الموت . فيل  
يا أبا عبد الرحمن أوصا ، قال : فاجتوني . إن العلم والإيمان مكانهما ، من  
اجتمع وحده . يقول ذلك ثلاث مرات . الخمس العلم عند أربعة ، عند

(١) وهذه المسألة تذكر أن مسلما الفراهيدي المحدث كتب من سجن  
امرأة - حلامه تعذيب الكمال

عومر أبي الدرداء . وعند سلمان الفارسي . وعند عبد الله بن مسعود .  
وعند عبد الله بن سلام

٨٩ - وقال مالك بن نخاس : لما حضرت معاذ الوفاة بكيت . فقال : يا  
يبيكيت ؟ قلت . والله ما أبكي على دنيا كنت أصيبها منك . ولكن أبكي  
على العلم والإيمان اللذين كنت أتعلمهما منك . فقال : إن العلم والإيمان  
مكاتبهما من ابتغاهما وجدتهما . اطلب العلم عند أربعة ، ثم ذكر هؤلاء

و ص ١٦ ٩٥ اعلام المؤمنين

٩٠ - وعن عمرو بن ميمون الأودي أنه أتى معاذ بن جبل وصحبه  
وأخذ عنه . فلما حضر الموت مصاداً أوصى عمرأ أن يتحق ابن مسعود  
في صحبه ويطلب العلم عنده فعلاً . ثم - فشغف معاذ بالعلم لزمه حتى  
الموت . ولم يذكر في حشرجته إلا العلم لما طالبوا اليه أن يوصي . ولم  
يس تلميذه أن يلحقه بمن يراه أهلاً للعلم حتى لا يضيع . وكشف آخر  
عن البكاء يعظمه على أن العلم والإيمان مسكنهما إن هو ابتغاهما وجدتهما  
لا يفقدان بموته وإنما يذهبان بذهاب الرغبة والطيب . وهذا مثال في حب  
العلم كريم يتيق بسيدنا معاذ « رديف » رسول الله صلى الله عليه وسلم

٩١ - قال المزني : قيل للشافعي كيف شهركم للعلم ؟ قال : أسمع  
بالخرف مما لم أسمع فتودّ أعضائي أن لها أسماعاً تتدبّر به . مثل ما تدبّر  
به الأذان ، فتبيل له : فكيف حرصك عليه ؟ قال حرص الجوع الموعى  
بلوغ لذته للآل . قيل له : فكيف طلبك له ؟ قال طلب المرأة المضلة  
ولدها ليس لها غيره

٩٢ قال الزبيد . سمعت الشافعي وهو مريض وذكر ما جمع من الكتب فقال . وددت لو أن أخلق بعالموه ولا ينسب إلى منه شيء

٩٣ - وقال حرمله . سمعت الشافعي يقول . وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس . فوجر عليه ولا يحمدوني

٩٤ - قال الزبيد : لما غلب الشافعي مصر كان يجالسه أرباب أهل عبد الله بن الحَكَم ونظر أثره . وكان حسن الوجه وأحلى خُبيب إلى أهل مصر من الفقهاء والبيلاء والأعيان . وكان يجلس في خلقة إذا صلب الصبح فيحيته أهل القرآن فيسألونه . فإذا حامت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه من معانيه وتفسيره . فإذا ارتفعت الشمس قاموا واستوت الخنفة للمناصرة والمذاكرة . فإذا ارتفع النهار تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والشعر والنحو حتى يعرب اقتصاص النهار ثم يصرف إلى منزله

\* توالى الطبس السلاوي ص ٦٢ \*

٩٥ قال علي بن الحسن بن شقيق : كنت مع ابن المبارك في داره لم يصح من المسجد . فلما كان في عهد الباب بالحديث . ودأب به . فلما كان يذكرني حتى جاء المؤذن فأذن للصلاة

\* تذكرة الخطيب ص ٢٠٠ \*

٩٦ وروى ابن جرير الحميري أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة ووزعوا ما كتبه على أئمة عمره منذ احتدم إلى أن مات خمس اليوم أربع عشرة ورقة

٩٧ - قال ابن جرير لأصحابه : هل تمشطون إلى أخبار العلماء قالوا : كم يجيء قال ثلاثين ألف ورقة . فقالوا : هذا مما تضي الأعمار قبل تمامه

فقال : إنا لله مات المهم ؟ فأملأه ثلاثة آلاف ورقة . وكذلك قالوا وقال لهم في كتابه تفسيره للقرآن اه . وهما كتاباه في التاريخ والتفسير اللذان يكرّ الملوان ولا يسليان جدّة وغرارة في العلم والفائدة والدلالة على مبلغ خدمة هذا العالم لعلمه وما أتبع شغفه به لأسائه على عمر الزمان

« مخزن الخفلا ج ٢ ص ٢٥٢ »

٩٨ — ومن شغف بالعلم حباً وتيمه جمع الكتب والتأليف جمال الدين بن القفطي صاحب كتاب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » الذي جمع فيه ( ١٢ : ) ترجمة علماء اليونان والعرب . وقد حضر السفيور ( كرنوفلينو ) الأستاذ بجامعة مصر وولده محاضرتين له من محاضراته في علم الملك التي ألقاها بالجامعة المصرية سنة ١٩٠٩ ١٩١٠ وجمع في كتاب طبع بر وما سنة ١٩١١ قل فيها بعد أن ذكر أصله وتاريخه . إنه استودع حسب مدة جتمع فيها بالعلماء الوردية وأنقيمين واستفاد بمحاضراته أن أرزومه داعيتها احدة في ديوان فتولا دكرها لما فيها من مقاسة وشعاع من مطالعة الكتب والتأليف . وذلك استمع منها لما مات الملك الظاهر عيت لدى ولده . ولكن حقه عاد فأعاده ايها بعد ثلاث سنين . فكتب ١٢ سنة بانه يوان . قال جوده محي ادي شمة انطع في داره مسريح من معانة المديوان . مجتمع حاضر على شأنه من مطالعة وانكر ودايف ما ثبت من الكتب . متعقب عن الناس ، محيا للتفرد واختوة ، لا يتدد يظهر مخلوق حتى هذه الملك العزيز ودارته سنة ١٣٣٣ هـ ح قال السفيور كرنوفلينو كل جمال الدين بن القفطي من أشد



الناس شغفا بالكتب ، وجمع ما لا يحصى منها من كل النواحي والآفاق حتى صارت قيمتها خمسين ألف دينار ، أى نحو خمسة وعشرين ألف جنيه مصريه ، وكان لا يحب من الدنيا سواها ، ولم يكن له دار ملكه ولا زوجة . وما مات أوصى بكتبه الملك الناصر صاحب حلب ، ومما يحكى فى غرامه بالكتب أنه قد اقتنى نسخة جملة من كتاب الأسباب لسمعاني (المتوفى سنة ٥٦٢ - ١١٦٧ م) حررت بيد المؤلف . إلا أن فيها نقصا ، وبعد الاطلاع المديد والافتقار الطويل حصل على الناقص إلا على أوراق بلعه أن فلاسا قد استعملها فى شعله وجعلها قوالب للتلاص فصاعت . فتأسف غاية التأسف على عهد الغياص حتى قد يمرض ، وامتنع أياها عن خدمة الأمير فى قصره فصارت عمدة من الأفاضل ولا غير يروروه امرية له كأنه ودمت أحد أقاربه المحبوبين . ومما يدل على اهتمامه بجمع الأخبار المصدرة من أى جهة كانت وعلى وعده ما أصبح عليه من الكتب أنه صنف كتابا سماه « دهره الخاطر » ويزهه الخاطر فى أحاسيس من فى - وهو الكتاب والافان - فلا ريب أن هذه كتاب على مبراهم المصنف له اورد فى شبهة مشهور تاريخ الحكماء وما أحسن ما رأته على غير وجه من كتاب ( لا متنازع وامة السنة ) ليعب أنى حيانا بحرف من حرره - من عليه وهو - تدأ أو حيانا كتابه صوفيا وتوسطه محدثا وتخته سائلا منجها .

ولحسن الدين منبصت متعددة يعرف أسماء عشرين منها .  
 ٩٩ وفى ص ٨٤ من كتب اخبار العلماء لابن الفخطى أن ثاب

ابن قرقاجتاز يوماً ماضياً إلى دار الخليفة فسمع صيحا وعويلاً فقال : من  
 القصاب الذي كسر في هذا الشكر ؟ فقالوا : إي والله يا سيدنا البيرجة  
 خنأة فقال : ما مات خدوا بنا إليه . فدخل الناس وحملوه إلى دار القصاب  
 فتقدم إلى النساء بالأيدي عن اللجام والصباح وأمرهن بأن يمدن مزورة  
 وأوماً إلى بعض غلمانهم بأن يعرب القصاب على كعبه بالعصا وحمل يده  
 في مجسه . وما زال ذلك يعرب كعبه إلى أن قال حسبك . واستدعى قدحا  
 وأخرج من شكة في كفه دواء عداقه في القدر بديل من ماء وفتح  
 القصاب وسقاه إياه ساعة . ووقفت الصبيحة والزعة في الدار والشارع  
 بأن الطبيب قد أحى الميت فتقدم ثابت لغلق الباب وفتح القصاب عيونه  
 وأطعمته مزورة وأجنسه وقعد عنده ساعة فإذا بأصحاب الخليفة قد جاءوه  
 بدعونه فخرج معهم والذئب قد انسلت والمامته حوله يتبعهم إلى أن  
 دخل دار الخلافة . ولما مثل له يدي الخليفة قال له : يا ثمت ما هذه  
 المسيبة التي بعثت إليك ؟ قال : يا مولاي كنت أجتاز على هذا القصاب  
 وأخطاه يشرح الكعب ويضرب عليها الملع وياكلها فكنت أستقدر فوجدت  
 أولاً قد زرت في سكة ستلحقه فحسرت أراعيه . وذهبت عاقبته  
 فحسرت وركنت للسكة دواء أستمدحه معي في كل يوم . فله أجهت  
 اليوم وسمعت الصباح فمت مات القصاب ؟ قالوا نعم مات خنأة البيرجة .  
 فماتت في السكة فدخلته . فدخلت إليه ولم أجده فيه . فحسرت  
 كفه إلى أن عادت حركته بهمه وسقيته الدواء ففتح عينيه وأطعمته مزورة  
 والذئب يأكل وغيفا بدرجوى أعد يخرج من بيته اه وهذا منتهى ما حصل

ليه العرام ناعيم واتخذ ذاك داء واجبه لانه واجب نيس نفس هذا العيب  
حكيم الذي نصره متلا حقيقة العالم . العالم على الحقيقة : وهي لا يستمر  
لا لو حجب العف الكربة

\*\*\*

١٠٠ . وأبناء هذا العصر يدكرون المرحوم على مبارك باش وشغفه  
بالعلم وحب لاهله واشتغاله بالتأليف والترجمة وطبع الكتب ويعدونه  
بذلك في السابقين . وحدثني غير واحد ممن شهد أنه كان يحلّس في داره  
المعلم والعلماء والمتعلمين جلسة أشبه بحلّسة المعلم في مدرسته . الحضور  
صفوف وهو على منصته يتناولون المسائل وكلّ حرّ فيما يقول . قالوا ولم  
ينقطع عن هذه المادة سواء أيام عطلة وورادة وبابه يكون من غير باب  
١٠١ - وأدركت المرحوم الشيخ محمد عده مفتي الديار المصرية  
ورئيسه في خدمة العلم وأهله والعمل على نهج الأهر ورجاله وفتح  
المدارس ونشرها : وكان شغوفاً ناعيم متباً بحبه مقرباً لذوى النقطه ممظا  
لميرزين من العلماء معذور . لحقوهم قبل لي إن الشيخ اشتغل على العالم  
بالعوى المشهور كن لا يساليه في خطابه والشيخ ينفذ له ويحضر ، ولما  
أنفذ الشيخ رسالته في التوحيد عرضها على الشقيطي وامتثل لتصحيحه  
١٠٢ - والشيخ الشقيطي هذا جبل من العلم في اللغة والحديث  
وأشهر الأمازي في العصر الأخير على عزّة العلم وعظمة العلماء . رحل من  
المغرب إلى اسطنبول وأوفده السلطان عبد الحميد إلى استكهم ولقي  
الملك أوسكار . وكان معه طاه مسلم ومؤذن يقيم الصلاة ثم وفد إلى مصر

فاحتل منها الدرجة والثناء ووطأ له علمه وعزة نفسه أعلى مقام بين  
العلماء الأعلام

١٠٣ وكس المرحوم أحمد زكي باشا العالم المشهور من مصر على  
طلب العلم والدأب فيه في المثرة التي لا تدرك . عرفته في شبابه ودره  
بالجيزة قريب مني مرأته يقوم ويقعد بالعلم ، ويروح ويعود في البحث  
والتنقيب . وما رأيت حتى طنته تلميد مدرسة في حده واشتغاله ، وكان  
رحمه قد أكرم من عرفت من العلماء بلمه وبراده . ترده الأسئلة من  
الأنظار عن وقائع التاريخ وحوادث الأدب وأسماء البلاد . فيمكنك على  
الدرس والبحث وربما سافر وانتقل لمشاهدة ما يسأل عنه ويبحثه حتى  
يجيب سائله . مررت به يوماً وكنت أحتاج صورة أصهبا في كتابي  
( رسائل سائر ) فقام من المائدة وقال عسى صلبك ولكن تدفع الثمن ،  
قلت : وجبت فما هو ؟ قال : تنفذني معي . قلت : إذن يا أكثر ما تشترى  
منك وتدفع هذا الثمن . وقد ترك مكتبة مادرة وفيها على الطيبة . ولسمتها  
وزارة الأوقاف وهي التي تسمى بالخزانة الزكية

١٠٤ والمرحوم أحمد تيمور باشا كان مثلاً في طلب العلم وجمع  
الكتب والمكوف على الدرس ويبحث ما عجز في التاريخ والكشف عنه  
وله مكتبة لا نظير لها سمها أولاده بعد موته إلى دار كتب الحكومة  
فأهدت لها جناحاً مستقلاً . وقد ترجم له أخونا الثمت الأمتد محب  
الدين أفندي الخطيب ترجمة حافلة نبين عن علمه وعن شغفه بالعلم  
وخدمته إياه بشرتها مجتته الزهراء في شهر وفاته

١٠٥ - كانت أرومة الأزهر مكسوة بجدران مخزائن الخشب وعلى  
 جدر محنه كذلك . فكان للمجاور أو المجاورين والثلاثة حزانة يضع فيها  
 أشياءه . ورأينا كثيرا من الطلاب عكفوا في الجامع مستغنين بحزائهم .  
 وقد حوت كتبهم وثيابهم . وهرغوا لاليم وأداء المكتوبة فلا يخرجون منه  
 إلا يوم الخميس ظهرا يقعدون التهر والريض . فنهيم من يصل ثيابه  
 بيده ، ومنهم من يتره في اروض نظره . حتى اذا غربت الشمس عادوا  
 وقد ملثوا نشاطا ونظافة . فيمكنون في الأزهر الى نهاية الأسبوع  
 وكنت ورفاقى وجمهرة الطلبة في ذلك الوقت لا يفر عن الاشتغال  
 بالعلم من مطلع الفجر الى المريع الأول من الليل . بعد العصر درس ،  
 وبعد الشمس درس ، وبعد الظهر درس . وبعد العصر درس ، وبعد  
 المغرب درس . وربما بعد العشاء درس . وفيما بين هذه الأوقات لا عمل لنا  
 إلا المطالعة والتهيو للدرس

ومن يدخل الأزهر بعد صلاة العشاء يرى جموعه حاشدة فانما زرع  
 حنة متلاصقين . فنهيم المداكر وحده والمشارك غيره ، والمعجب أن  
 يحس أحدهم صوت حاره لا اشتغال كل نفسه . وكثيرا ما تأملت في هذ  
 العجيب المساعدة من أصوات هذه الجموع وأنا أسبح الله القادر على أن  
 يميز صممه كل صوت

وكان باعة الشراب يمررون علينا وقد شمت حلوقف وعلى صدورهم  
 القرب ملأى شرب العرقسوس أو الخرنوب فتروج سوقهم . ومنهم  
 ناظم كل قد حضر في صفه فهو يعلأ كويته للطالب ويحدثه على الشرب

يقول يسيه للامام الشافعي : عشت من بلدة به داء وفيها العرقوس .  
إني لا أزال أذكره ، وكان المجاورون يسأكون طلبة المدارس في  
ذلك الزمن ، عن كل امرئ كان فرسان رهار في شغلهم بالعلم واجتهادهم  
في التحصيل

وتخرج الجيل في تلك المعاهد بحير النتيجة . منك العلم عنهم  
ألسهم فبعيت دور ومساكن وأحياء بانهارة لا أعرفها أي اليوم ولم  
أطأها قدس . وحرف أمالي هم لأطلب فعنوا بالمطوب فاستفرق  
عواهم واستوى على تكريم خدعهم كد من اعظم والمسكر والكسوة  
حدا حاجة والكفاف مع النقص والنظافة . وانصرفوا عن  
القشور قاعن باللب لا يعرفون أبواب الحرف والتبدل ، وسيدهم أي العلم  
لا سئل لهم غيره فم لو أي آياتنا تدفع الشعر وحك الوجه وحك  
الثوب وعشرين السنن والمصنعي والمصنعي وما هو لغير طلبة العلم وأبناء  
الدرس ثم لو عرفه لطالب اعافه عن المطوب . ويكاد يكون اليوم أقوى  
سبب من أسباب الرسوب ، وقد حدثني أخونا الفاضل الشيخ محمد  
أجدادي نائب محكمة للنصورية الشرعية قال : مررت على الحلاق وأنا  
محور فأدركت موسى على جوانب شعري مما يلي الوجه وتلك عمية كانت  
تعرف بالعباسية ، لا أعرفها وإنما صنعها الحلاق من نقاء نفسه فصلا  
في عمله فلما جئت في الحلقة سألت الشيخ فالتفت بيدي فرأى هذه  
الحلاقة ففاكر منه إلا أن ألقى الكراسة من يده وترك جوانبي واحتد  
وأحد يقول لي أقرانا يا ولدي ففتح ؟ لقد حلقنا عباسية ؟ لقد التفتنا

في ليلته وتعمقاً بأسباب الحيلة الخاضع قال . فدهشت وفنت يسي  
 "شيخ ما ذا جرى ؟ فكأنني زدته غضباً إلى أن قسرتني السبب ورجمت  
 في الخلاق وخرغت له ما سمعته . ولم أعد إلى الدرس توبة إلا بعد أن  
 أدار موسى على شعري حطب واحداً . قال الشيخ جدهاوي : ومن  
 ذلك الدرس لم أعرف خلافة العباسية إلى اليوم ومن هذا التأثير بالشيخ  
 واستماع ندعته والتزول على رأيه كان يملأ قلوب ضربة العبد فاعلم عمن  
 من لسمع والبصر . الظن فيه خير . والرأي فيه حسن . وإكرامه  
 وإكباره مستيق الطلاب وحبته أولى الألباب . كنا إذا انقضى الدرس  
 تكوف الطلبة على الشيخ ونسكبوا على يده فيقبلونها فرداً فرداً  
 لا يصرف أحدهم حتى يؤدي هذه الواجب كأنه منك لا يتم التعميم  
 . لا به . من رلت بطالب مساءة من معاً تحملها صابراً ، وشكر له  
 عنايته به وعرف أنه إنما يصنع الجليل له ، وسلواه تمنى الثرية احكيم  
 الناصق على ألسنة هذه ( عصا الفقيه من الجنة ) . ففقت روح العبد بهذا  
 الأدب وهذا الشعب في حبيباً تفدى الحياة بين المعز والتمتع وتمذها  
 بأسباب العناية في التعميم وأسباب الاستزادة في التعميم . كثر دح أخرج  
 شعفاء وارزده مستعبد واستوى على سوجه يعجب معنى النفع والراغبين في  
 إصلاح النفس ، والتسلي بمستوى الاجتماع

أقول : وقد أوحى شغف العلماء بالعلم طبقة منهم . لذت بهم وصاروا  
 في العلم وأعجابوا بالعلم . والعلم عندهم ما تعلموه . فكانوا في القلة القديمة  
 بالأزهر كسدهم معد ، حظهم رطية ما علموا . وأن يعمل الناس به ويتزولوا

عليه . فكانت الأمة كلها انزلت الى جديد وأخفت في بدع سمعت من هؤلاء العلماء أصوات الإنكار وأحكام التكفير ، ودوى صوتهم في أرجاء القطر يهزه . ويكاد يعصف بالجديد ابقاء على القديم واعتصام بعروته والتمسك به . وكان هؤلاء العلماء فيما يسميه المتطرفون « بالجمود » أشبه برماتة الميزان ، توازن على صفر حجمها ما يحمل عليه من القناطر المقنطرة ، والناس في تفلتهم من القيود وانحدارهم الى مهاوى الإباحة أحوج في صلاحهم ووقع المجتمع بهم الى هؤلاء الدين يسمونهم طلبة باجامدين وهم في شرعة الانصاف وحكم العدل . الحافظون للمسكور بالمجتمع أن يمد . وإنه خير للمجتمع أن يكون به علماء يقال فيهم « جامدون » من أن يفقد العلماء قاطبة أو يصاب بالفجرة منهم ، خل إنكارهم الدوى واعتراضهم المعجّاح يصل الى آذان المغترين المفتونين لوما أو عتابا . فانه واق أو واعظ أو لاف أو منبه الى انحدارهم وشهوانهم . فهم ان أشاحوا عنه ففي أنفسهم قارع به ومذكّر ربما عاد بها وعصم ، فأما اذا علم (الناذر العريان) وجذب الهوى وأغرى التقليد الأعمى . فان التردى كثير والمتردى هو احيث لا مقيل لعنارهم ولا وازع منهم لهم ، ويوشك المجتمع أن يهوى وهو على شفا جرف هار والأمر لله الواحد القهار



## تفصيلهم

١٠٦ - كان ابن الأثير محمد الدين أبو السعادات ( صاحب جامع الأصول وانتهايه في غريب الحديث ) من أكابر الرؤساء محظياً عند الملوك ونولى لهم المناصب الجليلة . فعرض له عرض كفى يديه ورجليه فانقطع في منزله وترك المناصب والاحتلاط بالناس . وكان الرؤساء نفثونه في منزله . فغصر اليه بعض الأطباء والترم بملاجه . فلما طأ به وقارب البرء وأشرف على المصحة ، دفع للطبيب شيئاً من الذهب وقال : امض يا سيدي . فلامه أصحابه على ذلك وقالوا : هلاً أبقيته إلى حصول الشفاء ؟ فقال لهم : نئى متى عوفيت طبت للمصاب ودخلت فيه وكلفت فبولها أما مادمت على هذه الحالة فإني لا أصلح لذلك فأصرف أوقاتي في تكميل نفسي ومطالعة كتب العلم . ولا أدخل معهم فيما يغضب الله ويرصمهم ، والرزق لا بد منه . فاختار رحمه الله تعالى عطلة جسمه لتعبد الله بذلك الإقامة على العطلة عن المناصب . وفي تلك المدة ألف كتاب جامع الأصول وانتهايه وعبرهما من الكتب النفيسة والله أعلم . ص ١٦ المكتبة

١٠٧ - وقد ترك السيوطي جميع مصاحبه ، وكانت له مشيخة مواضع متعددة بالقاهرة : وانقطع في داره بالروضة إلى العلم يكتب ويؤلف ( ورأيت في كتابه حسن المحاضرة أنه يسميها دار الاملاء ) وكلب السيوطي ينقب ( إن الكتب ) طلب أبوه إلى أمه أن تأتيه بكتاب من المكتبة فأجأها المخاض فيها فولده بين الكتب فذلك أعجب

واقف صدق عليه ذلك اللقب حتى صار أبا الكتب . فقد وصلت مصنعاته نحو ستمائة غير ما وجع عنه ونحاه .  
« نور السائر » .

١٠٨ وابن الدهان النحوى البغدادى ألف كتاباً حجةً فى لغة والنحو بها شرح الايضاح والتكملة ٤٣ مجلداً وغيره كثير . لما انتقل ابن الدهان الى الموصل ترك كتبه ببغداد . فاستولى الفرق تلك السنة على البلد ، فسير الشيخ من يحضرها اليه اب كانت سالمة فوجدوها قد غرقت . وكان خدع دونه مدبغة ومروية يد ، فاحس ابناء منها فى داره فتلفت الكتب بهذا السبب زيادة على إتلاف الفرق . وكان قد أفنى فى تحصيها عمره : فلما حملت اليه على تلك البؤرة أشاروا عليه أن يعطيها بالبغور ويصلح منها ما يمكن . فبخرها بالادس . ولازم ذلك ان يجرها باكثر من ثلاثين رطلا لا ذن . فطعم ذلك ان رأسه وعينه فأحدث له العمى وكف بصره . واشتغل أهل تلك الديار بهذه الكتب .  
« ص ٢٦٢ ك »

١٠٩ قال فى تذكرة الحقائق : كان الشافعى مع فرط ذكائه وسيلان ذهنه يستعمل للبيان ليقوى حفظه فأعقبه روى الدم سنة ١٤٥ هـ ٣٢٩ م .  
١١٠ قال الريح : أقام الشافعى ههنا ( مصر ) أربع سنين فأبلى ألفاً وخمسين ورقة . وخرج كتاب الأم الى ورقة . وكتاب السنن وأشياء كثيرة كلها فى مئة أربع سنين ، وكان عليلًا شديد العلة وربما خرج لهم وهو راكب حتى يملا سراويله ووجهه ، يعنى من اليواسير من ٨٣ توالى التأسيس . وقد استفحل معه المرض حتى مات رحمه الله

١١١ وفي ترجمة الجاحظ أنه أصيب بالصب ووصل به ثمانى سنين  
لم ينقطع عنها عن البعد والتأليف حتى سقطت عليه كتبه فقضت عليه  
« السدي »

## صراحتهم

١١٢ حطب عمر الناس بالجافية فقال : من أراد أن يسأل عن  
المرايض فليأت زيد بن ثابت . ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ  
ابن جبل . ومن أراد المال فليأتى

١١٣ - قيل لسروق : كانت عائشة تحسن المرايض ؟ قال والله لقد  
رأيت الأحبار من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يسألونها عن فرائض  
: ١١ - قال أبو موسى : ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه  
وسله حديث قط فـ الماء عائشة إلا وجدنا عندها منه علما

١١٥ - قال عروة بن الزبير : ما جالست أحدا قط كان أعرف بقطعة  
ولا بحديث باجاهية ولا أدوى لأشعر ولا أعرف بهريدة ولا حب  
من عائشة

١١٦ - قيل لطلحة أدر كنت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم  
قضت الى ابن عباس ؟ فقال : أدر كنت سمع من أصحاب محمد صلى الله  
عليه وسلم إذا تدارعوا في شيء انتهوا الى قول ابن عباس

١١٧ عن الأعمش عن إبراهيم : أنه كان لا يعدل بقول عمر وعبد  
الله إذا اختلفا . فإذا اختلفا كان قول عبد الله أعجب إليه لأنه كان ألطف

١١٨ - كان ميمون بن مهران : اذا ذكر ابن عباس و بن عمر عنده  
يقول : ابن عمر أوردعها . وابن عباس أعلمها . وقال أيعب : ما رأيت أحقه  
من ابن عمر ولا أعلم من ابن عباس « من اعلام المؤمنين »

١١٩ - وفي الصحيحين من حديث عروة بن الزبير ، قال : قالت  
عائشة يا ابن أخي بلغني أن عبد الله بن عمرو مار بنا الى الحج فآلقه فأسأله  
فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وآله وسيد علما كبيرا . قال فآلقته  
فسألته عن أشياء يذكرها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد . قال  
عروة فكان فيما ذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسيد قال : إن الله لا يرفع  
العلم من الناس انزعجا ، ولكن يقبض العلماء فيرفع امة معهم ، ويبقى في  
اللسان رموس جمال يفتونهم بغير علم فيضلون ويبدون . قال عروة :  
فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته . قالت أحدثك أنه  
سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد يقول هذا ؟ قال عروة نعم .  
حتى إذا كان عام قاتل . قالت لي : يا ابن عمرو قد قدم عليه . ثم فاتحه  
حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في الحديث . قال فآلقته .  
فذكره لي نحو ما حدثني به في المرة الأولى . قال عروة فلما أخبرته  
بذلك قالت ما أحبه إلا قد صدق . أراد ثم يرد فيه شيئا ولم يستقص .  
وقال البخاري في بعض طرقه : فيمتون به أسبهم فيضلون ويبدون . وقال :  
فقالت عائشة . والله لقد حفظ عبد الله « من اعلام المؤمنين »

١٢٠ - عن محمد قال : بينما نحن أصحاب ابن عباس حين في  
المسجد ، ساروس وسعيد بن جبيرة وعكرمة . وابن عباس قائم يصلي . إذ

وقف علينا رجل فقال هل من مصت ؟ فقلنا مسل . فقال : إني كلما بليت  
تبعه الماء الذي . فلما الذي يسكون منه الولد ؟ قال نعم قلت عليك  
النسل . قال فوالى الرجل وهو يرجع : قال : وعجل ابن عباس في صلاته  
ثم قال لعكرمة علي بالرجل . وأقبل علينا فقال أرأيتم ما أوتيتكم به هذا  
الرجل عن كتاب الله ؟ قلنا لا . قال فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟  
قلنا لا . قال فمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا لا : قال  
فمنه ؟ قلنا عن رأينا : قال فذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
« فقيه واحد أشد على الشيعان من ألف عابد » قال وجاء الرجل  
فأقبل عليه ابن عباس فقال : أرأيت إذا كان ذلك منك أتجد شهوة في  
جنت ؟ قال لا قال هل تجد حذرا في جسدك ؟ قال لا ، قال إنما هذه  
إبردة يجزيك منها لو صوء قال محمد بن الحسین : كيف لا يكون العلماء  
كذلك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصرفه  
في الله بن .

« من لا يعرف من لا يعرف »

١٢١ قال أبو حنيفة : أخطأت في خمسة أبواب من المسامك  
عصبة فعدتها حياء ، وذلك أني أردت أن أحق رأسي فقال لي  
أخوتي أنت دابة . وكنت قد علمت أنه يكمل يخلق رأسي ؟ فقال  
الله لا يشبهه به . فحسنت منحرفا عن اقله فأومأ إلى  
يستعمل القبه . وأردت أن أحق رأسي من الجانب الأيسر ، فقال  
أرد شقت الأيمن من رأسك فأدركته وجعل يخلق رأسي وأنا ساكت  
فقال لي كبر فقلت أنا كبر ، حتى قلت لأذهب . فقال أين تريد ؟ قلت

رحلى . فقال صلّ ركعتين ثم امض ، فقلت ما يسنى أن يكون هذا من مثل هذا الخجام إلا ومعه علم . فقلت له : من أين لك ما رأيتك أمرني به ؟ فقال رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا « ص ١١١ »

١٢٢ - قال حماد بن زيد : إذا خالفى شعبة تبعته . لأنه كان لا يرضى أن يسمع الحديث عشرين مرة . وأنا أرضى أن أسمعه مرة « ذكره الخطيب »  
١٢٣ - وقال الزهري : أدركت أربعة محوره ، ذكر فيهم عبيد الله ( أحد الفقهاء السبعة ) وقال سمعت من العدة شيئاً كثيراً فحشنت أني قد اكتبته حتى لقيت عبيد الله هذا كأنني ليس في يدي شيء

١٢٤ - وقال الزهري : كنت أطلب العلم من ثلاثة : سعيد بن المسيب وكان أفقه الناس ، وعروة بن الزبير وكان بحراً لا تكذره الدلاء ، وكنت لأشأه أن نجد عند عبيد الله طريقة من غير لأخذها عند غيره إلا وجدت « ص ١١٤ ج ١ اعلام النبوة »

١٢٥ - قال الحارثي : سمعت عيسى بن يونس يحدث يقول لم يكن في أسنان أبصر بالندوة مني ، فدخلني منه نحوه فركته « ذكره الخطيب ص ١١٥ »  
١٢٦ قال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة أقبلت باب ملاء ثلاث سنين وسمعت نبيها وسبعائة حديث فقط « ص ١١٦ أمثلة النبوة »

١٢٧ قال أحمد بن حنبل ما عرفت ناسخ الحديث من مسووحه حتى جالست الشافعي

١٢٨ - قال يحيى بن معين : كان أحمد بن حنبل ينهاني عن الشافعي ثم استقبلته يوماً والشافعي راكب لغتته وهو يمشي حفاة . فقلت : يا أبا

عبد الله تنهاني عنه وتمنى خلفه ؟ قال اسكت لو لممت البغلة لا انتفعت  
 ١٢٩ قال العباس بن محمد : سمعت احمد بن حنبل يقول ، أول  
 ما طلبت الحديث ذهبت الى أبي يوسف القاضي ثم طلبنا بعد فكتبا  
 عن الناس « ص ٢٥٥ ج ١ : تريح به »

١٣٠ قال يحيى بن معين : كان أبو يوسف القاضي يحب أصحاب  
 الحديث ويميل اليهم وقد كتبت عنه أحاديث أقول وهذه الشهادة  
 من يحيى بن معين أصل شهادة لأبي يوسف فإن يحيى هذا علم الإسلام  
 في السنة وما كان أصرح منه في المشايخ

١٣١ قال القاسم بن محمد البجلي : سمعت اسماعيل بن حماد بن أبي  
 حنيفة يقول : قال أبو حنيفة يوم ما ، أصحابنا هؤلاء ستة وثلاثون رجلا ،  
 منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء ، ومنهم ستة يصلحون للفتوى ،  
 ومنهم اثنان يصلحان يؤدبان القصاة وأصحاب الفتوى وأشار الى  
 أبي يوسف وزفر « ص ٢٤٧ ج ١ : تاريخ بغداد »

١٣٢ حدثنا البرزدي قال حدثني عمر بن عبد الله قال : حدثني أخي  
 أحمد قال : سمعت جدي أبا محمد يقول : كنت أتي الخليل بن أحمد فيقول  
 لي : أحب أن يجمع بين وبين عبد الله بن المقفع ، وأتق بن المقفع فيقول :  
 أحب أن يجمع بيني وبين الخليل بن أحمد ، فسمعت بينهما ، فرأيتنا أحسن  
 مجلس وأكثره عما ، ثم افترقنا ، فسمعت الخليل فقلت له يا أبا عبد الرحمن  
 كيف رأيت صاحبك ؟ قال ماشئت من علم وأدب إلا أتى رأيت كلامه  
 أكثر من علمه ، ثم لقيت ابن المقفع فقلت كيف رأيت صاحبك ؟

فقال ما شئت من عبي وأدب إلا أن عقابه أكثر من علمه

• من ٢٩ ج ١٤ أنان •

١٣٣ - جاء أصحاب الخديث إلى الأعمش يومًا ليسمعوا عليه ، فخرج إليهم وقال . لولا أن في منزلي من هو أنقض إلى منكم ما خرجت إليكم  
١٣٤ - خرج سفيان بن عيينة لمحدث الورع يومًا إلى من حاهه يسمع منه ، وهو صجير . فقال ، أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد . وجالس هو أبا سعيد الخدري وحالست عمرو بن دينار وجالس هو بن عمر رضي الله عنهما . وحالست الزهري وحالس هو نس بن مالك . حتى عد جماعة ثم أن أبا بكر ؟ فقال له حدث في المجلس فتعذف يا أبا محمد ؟ قال إن شاء الله تعالى . فقال . والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بك أشد من شائك بنا ، فأطرق وأشد قول أبي نواس :

حلّ جنبك رام وامن عنه سلام

مت بداء الدميت خير لك من داء الكلام

إنما الساء من ألسنة بلجاء

فتمرق السوء وتحذثون برباحة الحدث ، وكان ذلك أخذت يحيى ابن أكرم النعمي ، فقال سفيان . هذ الغلام يصلح لصحة هؤلاء يعني السلاطين

• من ٢٦٤ ج ١ •

وقد صدقت مراسمه . فتوفى يحيى قضاء البصرة وهو ابن عشرين سنة ثم في حتى ولاد النعمون فعلاء القضاة وتدير أهل مملكته



١٣٥ - حدثني الدكتور عبد الفتاح سلامة أنه كان يطلب العلم بجامعة جيف، وكان بالمستشفى مريض بصدرة مدة رأى الطبيب الباطني أن تعمل له عملية وحوله على الجراح وقد يعملها خوفاً عليه من الموت . فقام طبيب الباطن بجراحتها فمات الرجل بعد أربع وعشرين ساعة . قال محدثي إن سعادتنا الطبيب الأول وكان قد أعلمنا بسبب المرض ورأيه نجربها في صراحة تامة أنه مخفي . وأن الرأي كان مع الطبيب الجراح

١٣٦ - وقد نوحنفة بالكوفة ونشأ به . ولم يجد في حال تفرغه من يرسده إلى الأحدهم أدركه من الصحابة فاستعمل بالبيع واشترى . . . لي أن قبض الله له لأمه اشعبي فأيقظه إلى تصرف في العلم ومجالسة العلماء لما رأى فيه من البخل والتجابه . ووقع في قلبه قوله فترك السوق وأخذ في العلم . فمطر في غير الكلام وبيع فيه مبلغا يشار إليه بالاصابع . وأعطى فيه جدلا فخفى عليه زمن به يخاصم وعنه يناهض . حتى دخل البصرة لأكثر من أربعين سنة . ثم وعشرين سنة . ثم في بعض المرات ستة أو أكثر يدرج أولئك الطريق ، لأنه كان يجمع الكلام أرفع العلوم وأفضلها الكوفة في أصول الدين . ثم أنهم أن الصحابة والتابعين لم يكونوا كذلك مع أنهم عليه أقدر منه أعرف . بل نبوا عنه أشد . فلهي ولم يحضوا إلا في الشرائع وأيوب الفقه وتعليم الناس . فمكره . صرائق الجدل وأكد ذلك عدد أنه كان يجلس بالقرب من حقة حماد فساءته امرأة فسألته عن رجل يريد أن يطلق امرأته تسنه كيف قول؟

فلم يجد جواباً . فأمرها أن تسأل حماداً ثم تعلمه بحوابه . ففعلت فترك الكلام وجلس في حقة حماد . فكل يحفظ جميع ما يقوله ويحطّئ فيه أصحابه . فأجبه بحذائه في صدر الحقة عشر سنين . فبازعته نفسه أن يسرد عنه ويشتمل بحلقة لنفسه . فليلاً عرّمه على فعل ذلك جاء حماد نبي قريب له لا وارت له غيره ، فاحتاح للسفر لأحد ماله . فاستحبته في حلقته ، وغاب شهرين ثم قدم وقد مثل أبو حنيفة عن ستين مسألة لم يكن سمعها منه فأجاب فيها ثم عرّصها عليه فوافقه في أربعين وحالته في عشرين فألى أبو حنيفة على نفسه ألا يفارقه حتى يموت

٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠

١٣٧ - علي بن حرملة التيمي عن أبي يوسف . قال : كنت أطلب الحديث والله وأنا مقل رث لحال ، فله أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة فالتصرفت معه ، فقال يا بني لا تمدّن رجلك مع أبي حنيفة فإنّ أنا حنيفة خبزه مشوي ، وأنت نحتاج إلى المعاش . فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي ، فتقدمني أبو حنيفة وسأل عني . ففعلت أتعاهد بحسنه فلما كان أول يوم أتيت له بعد تأخرى عنه . قال لي ، ما شغلك عنا ؟ قلت . الشغل بالمعاش وطاعة والدي خست فلما انصرف الناس دفع إلي صرة وقال استمتع بهذه فنظرت فإذا فيها مائة درهم فقال لي الزم الحلقة وإذا فعلت هذه فأعلمي . فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مائة أخرى ، ثم كنز يتعاهدني . وما أعلمته بحلّة قط ولا أخبرته بفاد شيء ما وكان كأنه يخبرني بها حتى استغنيت وتموّلت

١٣٨ - عن أبي حنيفة لا بن المبارك وسأله أن يحدثه عن بدء  
أموره فقال : كنت جالساً مع إخواني في الدستان فأكلنا وشربنا إلى  
الليل وكنت موشعاً بصرب العود والطيبور ، ونمت سحرأ فريت في  
مناهي صائر فوق رأسي على شجرة يقول : ألم يأن للمدين آمسوا أن تجتمع  
فيهم تذكركم الله وما نزل من الحق ؟ قلت بلى ، فانتبهت وكسرت عودي  
وحرمت ما كان عندي فكان هذا أول زهدى . وهذا هو عبد الله بن المبارك  
الذى روى أنه اجتمع جماعة من أصحابه وأخذوا يعدّون خصاله فقالوا :  
جمع العلم ولقته والأدب واللغة والشعر والحدود الزهد والمصاحبة والورع  
وبه الليل والمادة والسداد في الرواية وقلة الكلام فيما لا يعنيه وقلة  
الخلاف على أصحابه ، وروى له الجماعة ، وكان ثقة حجة

• ص ١٠٣ • التواتر الذهبى •

## أما شهم

١٣٩ - كان ابن عباس يقول : إذا أخطأ العام أن يقول لا أدري  
فقد أصيبت مقالة

١٤٠ - عن يحيى بن سعيد قال : سئل ابن عبد الله بن عبد الله بن  
عمر عن شيء قد يكون عليه جواب ، فقلت : إني لأعظم أن يكون منك  
بن إمام هدى يسأل عن شيء لا يكون عندك منه علم ، فقال أعظم والله  
من ذلك عند الله وعند من عقل عن الله عز وجل أن أقول بغير علم .  
أو أحدثت عن غير ثقة

١٤١ - جاء رجل الى مالك بن أنس يسأله عن شيء . فقال مالك لا أدري . قال الرجل فأذكر عنك أنك لا تدري ؟ قال نعم حدث عني أنني لا أدري

« ص ٥٥ آخرى »

١٤٢ - سأل سائل أبا العباس ثعلب فقال لا أدري . فقال له أنقول لا أدري وإليك تضرب أكباد الأمل ، وإليك الرحلة من كل بلد ؟ فقال له أبو العباس ، لو كان لأملك بعدد ما لا أدري تمر لاستغنت

« ص ٥٦ ك »

١٤٣ - كان ابن حنبل يسأل عن كثير من المسائل فيقول لا أدري قال ابنه . وكان يقف إذ كانت مسألة فيها اختلاف العلماء ويقول سأل غيري ، فإن قيل له من سأل ؟ قال سلوا العلماء . ولا يكاد يسمى رجلاً بعينه

١٤٤ - قال أبو داود : ما أحصى ما سمعت أحمد بن حنبل ، سئل عن كثير مما فيه الاختلاف في العلم فيقول لا أدري . وسمته يقول : ما رأيت مثل ابن عيينة في الفتوى أحسن حياء منه كنت أهور عليه أن يقول لا أدري

« ص ٥٦ ج ١ ، اعلام الموصين »

١٤٥ - وحكى أبو الحسن الدارقطني أنه حضر في مجلس إمامه أبي بكر الأباري يوم جمعة فصحف الأباري اسمي أوردته في إسناده حديث . إما كان حيان فقال حيان : أو حيان فقال حيان ، قال الدارقطني . فأعظمت أن يحمل عن مثله في فصله وجلالته ونعم ، وهبت أن أقفه على ذلك . فلما اتقضى الإمام تقدمت إلى المستمل فذكرت له وهمه وعرفته

صواب القول فيه وانعرفت . ثم حضرت الجمعة الثانية مجلسه . فقال أبو بكر عرف جماعة الحاضرين أنا صحفنا الاسم العلاني لما أمينا حديث كذا في الجمعة الماضية . وبهنا ذلك الشاب على الصواب وهو كذا وعرف ذلك الشاب أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال

و مر ١٢٧ هـ

١٢٦ - عن ابن عساكر يقول . سمعت سعيد بن المبارك بن الدهان يقول رأيت في النوم شخصا أعرفه وهو ينشد شخصا آخر كأنه حبيب له .

أبها للماطر ديبى      أملى : و تمانى ،  
علل القلب فاني      قانع منك بهاطل

قال السمعاني ، قرأت ابن الدهان وعرضت عليه الحكاية وقال ما أعرفها قلعر ابن الدهان ( يعنى نفسه ) سى فار ابن عساكر من أوثق الرواة ثم استبلى ابن الدهان من السمعاني هذه الحكاية وقال : أخبرني السمعاني عن ابن عساكر عني . فروى عن شخص عن نفسه . وسمعت هذه أمانة للعلم

\*\*\*

١٢٧ - مع والى الكوفة أبا حنيفة أن يفتى . إذ رفع إليه قاضيه أنه انتقد حكما له . ويظهر من سياق القصة أن هذا وقع في شعبة الامام ، فيقال إنه كان في بيته يوما وعنده زوجته وابنه حماد وبنته ، فقالت له ابنته : إني صائعة وقد خرج من بين أسناني دم وبصقته حتى عاد الطريق

أيض لا يظهر عليه أثر الدم . فهل أضرر ، دأملت الآن الريق ؟ فقال  
له ، « وحنيفة سلى أحاك حداثاً فإن الأمير ممنى من القتيال »

١٤٨ « في ص ١٢١ من أخبار العلماء بأخبار الحكماء » أن حنين  
بن إسحق الطيب الشهير اتصل خبره بالخليفة فأمر بإحضاره وأقطع  
إقطاعاً سنياً وفرر له جار جيد . وكان الخليفة يسمع علمه ولا يأخذ بقوله  
دواء يحميه حتى يشار إليه غيره . وأحب امتعنه إيزيد ما في نفسه عليه  
إذ نثر أن ملك الروم ربما كان قد عمل شيئاً من أخيه . فاستدعاه وأمر  
بأن يجمع عليه وأخرج نوقمها له فيه إقطاع يشتمل على خمس ألف  
درهم . فشكر حنين هذا الفعل ثم قال له بعد أشياء جرت ، تريد أن  
نصف لي دواء يقتل عدواً تريد قتله وليس يمكن إشهار هذا وزيد سر  
فقال حنين ما تعلمت غير الأدوية النافعة ولا علمت أن أمير المؤمنين  
يصلب متى غيره . فاز أحب أن أمضى وأتعمد فعلت ، قتال هذا شيء  
يعطول ورعيه وهدده وهو لا يريد على ما قال . في أمر أمير بحبسه في  
بعض القلاع ووكل به من يرفع خبره إليه وقتاً بوقت . حبس سنة . وكان  
في حبسه ينقل ويحسّر ويصنف وهو غير مكترث بما هو فيه . فلما كان  
بعد سنة أمر الخليفة بإحضاره وإحضار أموال يرحمه فيها وإحضار سيف  
وطعم وسائر آلات العقوبة ، وما حضر قال هذا شيء قد طال ولا بد لي  
مما قلته لك . فإن أمنت فزت بهذا المال وكان لك عندي أصعافه وإن  
امتنعت عافيتك وقتلتك . فقال حنين قد قمتُ للأمير المؤمنين إنني ما  
أحسن غير الشيء النافع ولا تعلمت غيره . قال الخليفة وإنني أقتلك ،

فقد حبس إلى ربّ يأحمد بحقّ عدّا في الموقف الأعظم فإن احتار أمير المؤمنين أن يعطيه نفسه ؟ فتبسّم الخليفة وقال له يا حبيب صب صبر وثق بـ . فهذا الفعل منك كره لا متعديك لأننا حذرنا من كيد الملوك ، فأردنا الظلمة نبتة إيلك واثقة بك لننتقم بعلمك ، فقبّل حبيب الأرض وشكر له ، فقال الخليفة له ما الذي منعك من الإجابة مع ما رأيته من صدق الأمر منك في المجلس ؟ قال حبيب متيثال يا أمير المؤمنين قال وما هم ؟ قال الدين والصناعة ، قال وكيف ؟ قال الدين يأمرنا باستعمال الخير والجميل مع أعدائنا وكيف منك بالأصدقاء ؟ والصناعة تمنعنا من الإضرار بأبناء أحسن لأنهم موضوعون لنفعهم ومتصرون على معالجتهم ومع هذا فقد جعل في رقاب الأسياد عهد مؤكد بالإيمان مقدّمة ألا يعطوا دواء قتالا فيه أر أن أخالف هذين الأمرين لسريقتين ووضعت نفسي على القتل فإن الله تعالى ما كره يصير لي بذل نفسي في طاعته . فقال الخليفة إنهما شرعان جليلان . وأمر بالخلع فأبيضت عليه وحمل المال معه خرج وهو أحسن الناس حالا وحامدا . قال ابن التتلي عتب هذه القصة . فاصر إلى ثرة دين واحد ما أحلاه وأحسن مظهره وتخرجه ، جعلت شي وإيال من الشاكرين به ، مناهي عسها اه

قول : وحنين وهذا من ورقة العباد انقسمت بظواهر الخيرة ، كان تلميذا لـ موحناس ملسويه فخر د عليه يوما وأخرجه من داره وقال له : ما لأهل الخيرة والعباد ؟ عليك بيع القلوس في الطريق . فخرج حنين وقال لبعض من اقيه : أنا برىء من دين النصرانية إن وصيت أن أعلم

الطب حتى أحكى الناس اليوناني ودخل بلاد اليونان وكان هذا أحكى العربية على الخليل بن أحمد وهو مجيد السريانية فلما رجع وظهر فضله احتاره التوكل للترجمة وعين له الكتاب المهر تحت أمره وخدمه بسببه بعد أن وثق به . عمل ما كان في نفس الخليفة آتى من جهة تغية المدة الطويلة في بلاد الروم وعينه منها بهذه البراعة التي نستدعي أن يكون قد توكل في الخلطة وتمكن من الأسباب وهذا حذر لا يلام التوكل عليه بل فضل الأمانة في هذا العالم يتعد من لا يروى ويتداول

١٤٩ -- وأخى الشيخ المزبى عبد السلام مرة بشيء ثم طهر له أنه أخطأ . فنادى في مصر والقاهرة على نفسه : من أفتى له ابن عبد السلام يكذبا فلا يمل به فانه خطأ . وهذا الشيخ عز الدين صاحب الكرامة المشهورة في الحرب المسلحة لما هجمت الافرنج عليها هرب من كان بها واستعدوا عليها واللك الصالح أيوب مقيم بالمصورة ومات ، وأخفت جاريته شجرة الدر موتة حتى فلم ابنه طوران شاه فمكوه وقاتل الافرنج وكسرم وقتل منهم ثلاثين ألفا ، وكان في العسكر الشيخ العز وكانت النعمرة أولا للافرنج وقويت الريح على المسلمين وقال الشيخ عز الدين بأعلى صوته مشيرا أيده الى الريح : يا ريح خليم عدة مرار ، فعادت الريح على مراكب الافرنج فكسرتها وكان الفتح ، وغرق أكثر الافرنج . وصرخ من المسلمين صارخ . الحمد لله الذي أرانا في أمة محمد رجلا سحر له الريح





أرسلني إليك . فقال أنت مسروق فأسأله . وتيت مسروقا فأسأله . فقال : أنت علقمة فأسأله . فقلت علقمة أرسلني إلى عبيدة وعبيدة أرسلني إليك ؟ فقال أنت عبد الرحمن بن أبي ليلى . فأبيت عبد الرحمن أن أبي ليلى فأسأله فكرهه : ثم رجعت إلى علقمة فأحرته . قال . كان يقال أجراً القوم على الفتيا أدناهم علم

١٥٤ -- قال سفيان : من أحب أن يسأل فيس بأهل أن يسأل

١٥٥ عن خارجة بن زيد بن ثابت قال كان زيد إذا سئل عن شيء قال : هل وقع ؟ هل قالوا له لم يقع . لم يحرم . وإن قالوا قد وقع أخبره .  
١٥٦ عن مسروق قال : كنت أمتني مع أبي بن كعب فقال له رجل يا عمه كذا وكذا . فقال يا ابن أخي أكن هذا قال لا . قال فاعصنا حتى يكون  
د ص ١٧٩ ج ٤

١٥٧ - قال ابن القيم الجوزية : كن السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى : ويؤذ كل واحد منهم أن يكلمه فيها غيره . فإذا رأى أنها قد تعينت عليه : بذل احتياجه في معرفة حكمها من الكتاب والسنة أو قول الخلفاء الراشدين ثم أفتى

د ص ٣٧ ج ٩ آلاء المصنف

١٥٨ عن ابن سيرين قال : لم يكن أحد أهيب بما لا يعلم من أبي بكر رضي الله عنه . ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب بما لا يعلم من عمر ، وإن أبا بكر نزلت به فضيلة ولم يجد في كتاب الله منها أصلاً ولا في السنة أثرًا فاجتهد برأيه ثم قال هذا رأي فمن يكن صواباً فمن

الله ، وإن يكن خطأ فني وأستغفر الله . » مر ١٠٦ ج ١ ، أعلام المؤمنين »

وفي غير آخر أنه كان يجمع الناس ويستشيرهم ويأخذ بقولهم

١٥٩ - قال سحنون بن سعيد : أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً

يكون عند الرجل البلب الواحد من العلم يظن أن الحق كله فيه !!

وقال سحنون إني لأحفظ مسائل منها ما فيه ثمانية أقوال من ثمانية

أئمة من العلماء ، فكيف ينبغي أن أعجل بأجواب قبل الخير ؟ فلم ألام

على حسن الأجواب ؟ » مر ٣٨ ج ١ ، أعلام الوفاء »

١٦٠ - وقال اسماعيل بن عبد الملك : كان سعيد جبير يؤتمن في

شهر رمضان ، فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود . وليلة بقراءة زيد

ابن ثابت ، وليلة بقراءة غيره . هكذا أبداً ، وسأله رجل أن يكتب له

تفسير القرآن ، فمضب . وقال : لأن يسقط شئ أحب إليّ من ذلك

١٦١ - قال شعبة بن الحجاج : لأن أقبر من السماء فأتقطع ، أحب

إليّ من أن أدلس

وقال وددت أنني وفاد حمام ولم أعترف بالحديث

وقال : ما شيء أخوف عندي أن يدخلني النار من الحديث

« بحسرة قديمة »

١٦٢ - وحكى بعضهم أنه كان في حلقة شعبة فضجر من إملأه

الحديث . فرمى بطرفه فرأى نبال زيد الأنصاري النفوس في أخريات

الناس فقال يا أبا زيد

استعجبت دارى ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار

إلى يا أبا زيد . خله . فجعلنا يتحدّثان وينشاهدان الأشعار . فقال له  
بعض أصحاب الحديث ، يا أبا بصير ، نقطع إليك ظهور الإبل لسمع  
منك حديث النبي صلى الله عليه وسلم فتدعنا وتقبل على الأشعار ؟  
فغضب غضبا شديداً ، ثم قال يا هؤلاء ، أنا أعز بالأصلح لي . أنا  
والله الذي لا إله إلا هو ، في هذا أسير متى في ذلك

١٦٣ حدث القعني قال دخلت على مراك بن أنس في مرضه الذي مات  
فيه . فسلمت عليه ثم جلست . فرأيت يميني . فقلت يا أبا عبد الله ما الذي  
يبكيك فقال لي . يا ابن عمي ومالي لا أبكي ، ومن أحق بالسكاه مني  
والله لو ددت أني ضربت بكل مسألة أفتيت فيها رأيي بسوط سوط ،  
وهد كنت لي السعة فيما قد سبقت إليه . ولبقي لم أفت بالرأي . أو كما قال  
دس ٥٥٦ - ٥

١٦٤ قال زكري بن يحيى : سمعت أبا يوسف القاضي عند وفاته  
يقول . كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه إلا ما ووفى كتاب الله وسنة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٦٥ قال أحمد بن عظمة سمعت محمد بن سماعة يقول : سمعت أبا  
يوسف في اليوم الذي مات فيه يقول اللهم : لك تعلم أنني لم أجري في حكم  
حكمت به من عبادك متعمداً ، ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك  
وسنة نبيك ، وكل ما شككت على جعلت أبا حنيفة يني وبينك ، وكان  
عندي والله ممن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه

## صدقهم

١٦٦ دخل هشام بن عروة على أنصور فقال له أنصور يا أبا المنذر أتدكر حبيب دخلتُ عليك أبا وأخى مع أُنَى الحلائف . وأنت تشرب صويقاً قصصة براح ، فساحرحنا من عندك قال أُنَى استوصوا بالشيخ حبراً وأعرهوا حقّه فلا يزال في قومك نفيّة ما بقى ؟ قال . ما أثبت ذاك يا أمير المؤمنين ، فلامه بعض أهله . وقالوا يذكرك أمير المؤمنين ما عمت به إلبك وتقول له لا أذكرك ؟ فقال . لم أذكره . ولم يعوّدني الله في العدى إلا خيراً

« مر ٦٤ ج ٢ ص ١٤٨ و ١٤٩ »

١٦٧ قال أبو يوسف كان أبو حنيفة يحمل والدته على حماره إلى مجلس عمر بن ذر كراهية أن يردّ فوطها . وقال أبو حنيفة ربّما ذهبت بها إلى مجلسه وربّما أمرني أن أذهب إليه وأسأله عن مسألة فأنيّه وأذكرها له . وأقول له إن أتى أمرني أن أسألك عنها . فيقول وأنت نسأني عن هذا ؟ فأقول هي أمرني ؟ فيقول . قال لي كيف هو حتى أحبرك ؟ فحرد بالحواب ثم يحرني به فأصعب وأخبرها عنه بما قال . وتعليل ذلك أني سمعت عن نسيء في عتيشها عن نفسها وقالت لا أقبل إلا قول زرعة لقاص أي دأعتُ شيء بها إليه وقال له إن أتى يستفتيك في كذا فقال أنت عير وفقه فأمتم ، قال أفتفتها بكذا فقال زرعة القول ما قال أبو حنيفة فرضيت وانصرفت

« مر ٩٥ ص ١٤٩ »

١٦٨ -- قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول : سألتني الأعمش

عن مسألة فأجبت فيها . فقال لي من أين قلت هذا ؟ فقلت حديثك الذي حدثتكمه أنت . ثم ذكرت له الحديث ، فقال لي يا يعقوب . لي لاحظ هذا الحديث قبل أن يجمع أبواك فما عرفت نأويله حتى الآن

« من ٢١٦ ج ١١ ترجم بغداد »

١٦٩ - وفي نكلمة ابن عابدين : أن المصل بن الربيع وزير خليفة الرشيد شهد عند أبي يوسف فردّ شهادته فعاتبه الخليفة وقال لم رددت شهادته ؟ قال لا في محنته يوما يقول للخليفة أنا عبدك . فان كان صادقا فلا شهادة للعبد . وإن كان كاذبا فكذلك . لأنه إذا لم يبال في محنته بالكذب فلا يبال في محنته ، فعدده الخليفة . وتمام رده الغنى أبو يوسف لما في كلام هذا الوزير من إذلال نفسه وذلّالته لأجل الدنيا

« من ١٢٩ ج ١١ »

١٧٠ وفي ترجمة العمام أني غالب أن الأمير بأ الجيش وجه إليه أيام غلبته على مرسية وأبو غالب بها وقد أتت كتاب في اللغة ثم يؤلف منه اختصارا أو كتابا فوجه إليه المم دينار على أن يريد في ترجمة هذا الكتاب « مما أتته أبو غالب لأبي الجيش بمأخذ » فردّ الدنانير وقال والله لو بذات لي الدنيا على ذلك لم أفعله ولا استجزت الكذب ، فاني لم أؤمه للشخاصة ولكن للناس عامة . فأعجب بهمة هذا الرئيس وعلاوته وأعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها

١٧١ - كان أستاذنا العالم المرحوم محمد عاطف بركات بك ناصر مدرسة القضاء الشرعي يحافظ على الصدق ويبايع في التمسك به ، خلت درجة في المدرسة رأى أن يطلب معها درجة أخرى ليعطى كل واحدة.

منهما لأستاذ من المشايخ وأستاذ من الأفندية ، حتى يحبر خاطر الجميع .  
 فسمى أحد الأستاذين لنيل الدرجة التي خلت قبل أن تحيي الأخرى .  
 وساعده في سعيه رئيس الحكومة وتذاك فاقراً مجلس إدارة المدرسة  
 إعطاه هاله وعمر البك . فلما صدر القرار جاء الأستاذ يشكر عاطف بك  
 عليها . فقال له عاطف بك كلاً يا أستاذ لا تشكرني لأنه لا يد لي في  
 ذلك ، ولو كان الأمر في يدي ما أخذت . فلما لي المرحوم الشيخ اسماعيل  
 خليل : كنت حاضر هذه الواقعة وعجبت من مراعاة عاطف بك وتمسكه  
 بأهداب الصدق لهذا الحد فالتفت إلى الأستاذ وقالت له إذن فاشكر الله  
 يا فلان

### نور زلهم من الشبهة

١٧٢ — قال وهب بن منبه : إن ملكاً كان يحمل الناس على أكل  
 لحم الخنزير فأبى بأفضل أهل زمانه لياً كاه . ورق له صاحب الصعاء  
 فوضع له جدي مكنه فأبى العالم أن يأكله مع هذا . ول أمر البك بقتله  
 قال له الشرطي ما منعت أن تأكل منه وهو لحم جدي ؟ قال حفت أن  
 يفتن الناس بي فإن أكرهوا على أكل الخنزير قتلوا قد أكله فلان فاستقنوز  
 بي وأكون فتنة لهم فقتل رحمه الله

١٧٣ — لما حضرت الوفاة عبد الله بن عمر قال انظروا فلاناً  
 لرجل من قریش ، فأبى كنت قلت له في ابنتي قولاً كشبه العدة : وما

أحب أن أتي الله بنسب النفاق وأشهدك أنني قد زوجته

ص ٢٥٢ - ١٠٠ ذكره المصنف

١٧٠ في كتاب فداة مصر للسكندى . أن الوليد بن رفاعه أرسل إلى توبة بن ثمر أيوليه القضاة . فدخل عليه هو وأسرأته عاهرة الأشجعية . وكانت امرأة زينة . فولأه القضاة ، فقالت له عاهرة أما والله يا توبة ما حباك ابن رفاعه بهذا تولاة . ولو أنه وجد في قيس كاهن من يسد مسدك أو يمتد بهدا الأمر لأمره عيبك وقدمه وأخرك . فاما وثى القضاة دعا امرأته عاهرة فقال يا أم محمد أي صاحب كنت لك ؟ قال خير صاحب ، كرمه ، قال فاسمى . لا تعرض لى فى شيء من القضاة . ولا تذكرنى بخصم . ولا يسألى عن حكومتى . فان فعلت شيئا من هذا فأنت ألعافى ، وإما أن تقيى مكرمة وإما أن تدهى ذميمة . ففعلت عنه . فكان رأسه بلا فى الشير والشيرين . وفى رواية أنه قال لها : كيف علمت عنتى ؟ قالت حراك الله من عشير خيرا . قال قد علمت ما علمت من أمر الناس كاهن . ففعلت الضالاق « فصاحت » فقال إن كاهنى فى خصم ، أو ذكرتى به . قال فإن كنت ترى دواته قد احتاج . إلى الله فلا تهرىب أن تمتد حوى من أن يدخل عليه فى

ص ٢١٠ ولاية واحدة بمر

بمبه شىء

١٧٥ من . أن عاقبة بن يزيد القاضى كان يلى القضاة بعدد المهرى . ففى بعض الأيام وقت الظهر لم يهذى وهو حال . فاستأذن عليه . فاما حين استأذنه فبصر نسيب الله القضاة الذى فيه قصايا مجلس الحكيم ،



واستعماه من القضاة . وكتب منه أن يقيه من ولايته . هــن المهدى أن  
 بعض الأولياء قد عارضه في حكمه ، ففاز له في ذلك إنه إن كان عارضك  
 أحد انتكر عليه . فقد القاصي . لم يكر شيء من ذلك ، قل فاسبب  
 استعمايك من القضاء : قل يا أمير المؤمنين كل تقدم إلى خديجان مند  
 شهر في قضية مشككة وكل يدعى بئنة وشهود وبني بحجج محتاج إلى  
 تأمل وثبوت . فرددت الخصوم رجاء أن يفضحوا وأن يظهر الفصل  
 بينهما . فسمع أحدهما أني أحب الرطب فعدي وقتبه وهو أول  
 أمريت . فسمع جميعهم . بالدينها في وقتنا جميع . فلهذا لا أمير المؤمنين . وما  
 رأيت أحسن منه . ورشايو أني يدراهم على أن يدخل الضيق على ولا  
 يبين أن يرد عليه ، فلهذا أدعاه على أن كرت ذلك وطردت بوآني  
 وأمرت برد الطبق فرد عليه ، فلما سجد اليوم تقدم الخصمان إلى فافا  
 تساوياني عيني ولا قبي . فلهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فكيف يكون  
 حتى لو قبضت : ولا آمن أن تقع على حياء في ديني فلهذا . فلهذا  
 الناس . فلهذا يا أمير المؤمنين أهاب أنا وجميع من هم معي . فلهذا

١٧٩ هـ ١٧٩٠ م

١٧٩ هـ ١٧٩٠ م . فلهذا يا أمير المؤمنين أهاب أنا وجميع من هم معي . فلهذا  
 الأمر ، ونحوه هديته ولا جائزة . ورسلي لسريكم متاعا فيه ثوب معيب  
 يبيعه ويبين ما فيه من العيب . فلهذا ولم يبين شيئا . وأجمل مشتري .  
 فلما علم أبو حنيفة بصدق بنسب المتاع . وكان ثلاثين ألف درهم . ففصل  
 شريكه

١٧٩ هـ ١٧٩٠ م



١٧٩ - وقال تلميذه النضر بن شميل : أقام الخليل في حصن من  
أحصاص البصرة لا يقدر على عيش وأصحابه يكسبون لعله الأموال ،  
وقد سمعته يوماً يقول : بئس لا غنى على باني فما يجاوزني حتى  
١٨٠ - وكان أبو نصر الفارابي أزهق الناس في ليلته ، لا يحتفل  
بأمر مكسب ولا مسكن ، وأجرى عليه سيف الدولة كل يوم من  
بيت المال أربعة دراهم ، وهو الذي اقتصر عليها لقباعته . ولم يزل على  
ذلك إلى أن توفي .

١٨١ - وروى المسعودي في كتاب مروج الذهب أن الواقدي  
قال : كان لي صديق أحدهما هاشمي ، وكنا كنفس واحدة . فنالتني ضائقة  
شديدة . وحصر العبد . ونالت امرأتى ، أما نحن في أنفسنا فنصبر على  
البؤس والشدة ، وأما صديقاتنا هؤلاء . فقد قطعوا فلي رحمة لهم ، لأنهم  
يرون صديان الجيران قد تزيّنوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه  
الحال من الثياب الرثة ، فلو احتلت في شيء فصرفته في كسوتهم ؟ قال  
فكثبت إلى صديقي الهاشمي أسأله اتوسعة على بما حضر . فوجه إلى  
كيس محتوم ذكر أن فيه ألف درهم . فما استرقق أرى حتى كتب إلى  
الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صديقي الهاشمي . فوجهت  
إليه الكيس بحتمه ، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتي مستحيياً من  
امرأتى . فلما دخلت عليها استعصت ما كان مني ولم تعنني عليه ، فبينما  
أنا كذلك إذ واني صديق الهاشمي ومعه الكيس كيئته ، فقال لي أصدقي  
عما فعلته فيما وجهت به إليك ؟ فصرفته الخبر على وجهه . فقال لي إنك

وتحيت إلى وما أمدك على الأرض إلا ما بعنت به إليك . وكنت من  
صديقنا أسأله المراساة فوجه الكيس بحسبتي . قال الواقدي فتواصيف  
الآلاف درهم فيها يسا ، ثم إنا أخرجه امرأة مائة درهم قبل ذلك ، ونحا  
أخبرني أبا مور ، فعلى وسألي . فترحب له ، فأمير لنا سبعة  
آلاف دينار ، لكل واحد منا ألف دينار ، والمرأة ألف دينار

« ص ١١١ ك »

١٨٢ - وعن عروة بن أذينة كثير القبعة ، له في ذلك أشعار  
سائرة ، وكان قد وعد من الحجاز على هشام بن عبدالمطلب بالشام في جمعة  
من الشهراد فلما دخلوا عنه . عرف عروة . فقال له أليست أقاتل  
لقد علمت وما الإسراف من حلي أن الذي هو رزقي سوف يبي  
سبحي اسمه فبيدي فأنه ولو علمت أني لا يعيبي  
وما أدراك فعمت كذابة ، فإني أريد من حجازي أشاء في  
طلب رزقي ؟ فقال . لقد وعصم بأمر المؤمنين فباعد في الوعد  
وذكرت ما نسيته الدهر ، وخرج من فورد إلى راحته فركبها . ووجه  
راجعاً إلى الحجاز . فمكث هشام يومه عابلاً عنه . وما كان في الليل  
استيقظ من منامه وذكره . وقال هذا رجل من قريش قال حكمة  
ووقد إلى تحبته وردته عن حاجته وهو مع هذا الشاعر لا آمن اسمه ،  
فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر بالمرافعة ، فقال لا جرم لي « من » أن رزقي  
سيأتيه . ثم دعا بحولي له وأعطاه ألفي دينار وقال الحق بهذا عروة بن  
أذينة فأعذه إناها . قال قبل أدركه إلا وقد دخل بيته . فقرعت عليه

الباب خرج ، فأعطيته المال . فقال أئبع أمير المؤمنين بسلام . و  
له كيف رأيت فولى ؟ سمعيتُ فأكدت . ورجعت إلى بيتي فأدنى  
فيه الرزق

١٨٣ . وذكّر السمعاني في الدير في ترجمة أبي سحاق علي بن أحمد  
ابن الحسين بن أحمد بن الحسين بن محبوب البزري . أنه كثر له عمامة وقيص  
بينه وبين أخيه ، إذا خرج ذلك معه هبذا في البيت . وإذا خرج هذا  
احتاج ذلك أن يقدم . قال السمعاني . وسمعتة يقول يوماً وقد دحيت عليه  
مع علي بن الحسين الغزنوي الواقعة مسجداً داره فوجدناه عريان متأزراً  
يتردد ، فاعتذر من العري وقال نحن إذا عصب ثيابنا نكون كما قال القاضي  
أبو الطيب الطبري :

قوم إذا غلبوا ثياب جملهم لبسوا البيوت إلى فراخ الغاسل  
١٨٤ . كان ابن أبي شاذ لنحوي في ديوان الإيضاء بتعمر . لا يخرج  
منه كتاب إلا عرض عليه ينظره في نحوه واخته وله راتب من خزنة  
يساواه كل شهر وأقام على ذلك دماً . ونحو ذلك ما في سطح جمع  
تعمر وهو يأكل ثياباً وعمدة تلبس خدراً مفقوداً . له من ماله بمدها  
في فيه وعاب عليهم ثم عاد إليهم . ثم ماله شيئاً آخر فعمل لثلاث وتردد  
همار كثيرة وهو يرموز له وهو يأخذه ويعيبه يعود من بعده حتى  
تعبوا منه وعلموا أن مثل هذا الطعم لا يأكله وحده لثباته فلما  
استراخوا حاله تبعوه . فوجدوه برى إلى حائط في سطح الجامع ثم ينزل  
إلى موضع حال صوب بيت خراب وفيه قفاً آخر ثم وكل ما يأخذه

من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه وهو يأكله . فمجبوا  
من تلك الحال ، فقال ابن أبي شاذ : إذا كان هذا حيواناً أحرص قد سخر  
الله له هذا القصد وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق فكيف يصيب  
منى ؟ ثم قطع الشيخ علاقته واستغنى من الخدمة ، ونزل عن راتبه ولازم  
بيته واشتغاله . متوكلاً على الله تعالى

• • •

١٨٥ - وكان سعيد بن المسيب يقول : ما أعزّت العباد نفسها بمثل  
طاعة الله . ولا أهانت نفسها بمثل معصية الله ، ودعى إلى نيف وثلاثين  
ألف ليأخذها فقال لا حاجة لي فيها ولا في بني مروان حتى ألقى الله فيحكم  
بينى وبينهم

« مر ٢٥٥ ك »

١٨٦ كان أبو حنيفة يجمع ربح تجارته فيشترى به لشيوخ المحدثين  
ثم يدفع الباقي اليهم ، ويقول أصقوا ولا تحمدوا إلا الله فإن ما أعطيتكم  
من مالى شئت ولكن من فضل الله يجريه على يدي

١٨٧ - وقال أبو يوسف : كان أبو حنيفة لا يكاد يسأل عن حاجة  
إلا قضاها

١٨٨ وقال سفيان بن عيينة كان أبو حنيفة كثير الصدقة ، وكان  
كل ما يستفيد لا يدفع منه شيئاً إلا أخرجته . ولقد وجه إلى هدايا  
استوحشت من كثرتها ، فشكوت ذلك لبعض أصحابه فقال لو رأيت  
هدايا بعث بها إلى سعيد بن أبي عروبة ؟ وما كان يدفع أحداً من المحدثين  
إلا برة رء و اسماً

« مر ١ : الميزات الحسن »

- ١٨٩ - كان دخل البيت في كل سنة ثمانين ألف دينار ما أوجب الله عليه درهم قطار كاة ( لأنه كان يفرقها ) « ص ١٦٠ الرحلة النبوية »
- ١٩٠ - قال يحيى القصار : كان شعبية ( ابن الحجاج المحدث ) رقيقاً ، يعنى السائر ما أمكنه وقال أبو قطن : كانت ثيابه لونها كالتراب
- ١٩١ - وهب المهدي له ثلاثين ألف درهم فقسمها . وأعطاه ألف حبيب بالبصرة . فقدمها فإ يجد شيئاً يطيب له فتركها
- ١٩٢ - وجاءه سليمان بن المغيرة يبكي وقال مات حمارى وذهبت منى الجمعة وذهبت حوائجى ، قال بكى أخذته ؟ قال بثلاثة دنائير ، قال : عندي ثلاثة دنائير ما أملك غيرها . ثم قام ودفعها إليه
- ١٩٣ - قال أحمد بن حنبل . كنا نعبّر أن عيسى بن بونس سنة في الغزو وسنة في الحج . فقدم بغداد في شيء من أمر الحصون . فأمر له بحال فأبى أن يقبل
- ١٩٤ - قال ابن معين رأيت على عيسى قضاء محشوراً ، وخفين آخرين . كان يلبس ذلك للغزو « ص ٢٥٨ - ١ ذكره الخطيب »
- ١٩٥ - قال عبد الله بن الحكم ( من أصحاب الدروس ) للشافعى لما قدم مصر : إذا أردت أن تسكن البلد ( يعنى مصر ) فليكن لك قوت سنة ومجلس من السلطان تنعزّز به . فقال له الشافعى : يا أبا محمد من لم تنعزه التقوى فلا عزّ له . ولقد ولدت بغزة وربيت بالحجاز وما عندنا قوت ليلة وما ننأجى لقطاً
- ١٩٦ - وقال : أفلسيت ثلاث مرّات فكنت أبيع قليلى وكثيرى

حتى حلى امتى وروجتى ، ولم تستدر قطاً

١٩٧ - وكثيراً ما روى عن الشافعى أنه فرق هبات صعدة في

محالى ورودها . ومد يده يعباً وشمالاً بما يرده من العطاء فلا يحالى لادني بانه

١٩٨ - في ترجمه أبى عبد الله القرطبي صاحب التفسير المشهور

أنه كان مطراً ، للتكلف . يمتنى ثوب واحد وعلى رأسه طافية

« طفة التفسير »

١٩٩ - ومحمد بن عبد الواحد الطاهر المعروف ، بعلاء نعت ( كن

اشتماله بالعلوم وكتسابها ، قد منعه من اكتاب الرزق والتعيل له

فيه يرث مصيقتا عليه - وكانت صناعته التطاير ونسب إليها

٢٠ - حدثني أبى قار : ثلاث منقصة في الأدهر سنن كثيرة

وأنا عاود ، ثم كان أول ما رتب في من الجارية نصف رجب في اليوم ،

فكمت أتماول منها رعيناً كما يوماً بعد يوم . رتب حرب بالتدريس

نبيت كذلك سنين أعده بالمجاز حتى انحلت رتب عن عظم كبير فماله الذي

يليه إلى أن وصل الدور إلى فأحدث أربع فرش صاعاً في الشهر كن

يتناولها الذي متى وذهب إلى ما عوقب . وبعيت هكذا وأنا أحسب ما أتناوله

بركة تدرك خير والعنى حتى وصلت إلى ثلاثة جنبات في الشهر اه وهي آخر

مربوط كان يتنوله العالم بعد أن ينال كسوة الشرف وهم عمامة معدودون

وأقول : إن رتب علم الأدهر إلى زمن قريب كان ١٤٠ فرش في أشهر

للعلماء من لدرجة الأولى و ١٠٠ فرش للدرجة الثانية و ٧٥ فرش للثالثة .

وهو غير علماء الشرف السابق ذكره فأولئك كانوا يملعون الجنبات الثلاثة



بعد إفتاء العمر وبعد الذكرك

٢٠١ - وأقول : أول ما نلت من الأزهري وأنا مجاور بعد سنين من التماسي كان خمسة وعشرين سنة في كل عام . وأول سنة قدمت هذه الملايم في ختامها خيل لي أن كنور كسرى فتحت علي ، فما إن تناولتها وأنا لا أصدق أن أراها حتى طرت بها فراحني أي والدنيا لا تسعني ، وما دخلت عليه وبدي ممسكة بها صحت به أبت أبت هذه مهيتي ، وبسطت كفي بقروشي ، فما زال رحمه الله . اليوم أسعد أيلي . أخوك جاءني من قبلك وقد رقي اليوم في كسوة انضابط . فم فاشترى من رنيت وكنهه منه قبل أخيت . فصرت إلى السوق وأنا أنصوّر أن السوق كلها تحمد لي علالجي . وهكذا كانت سعادة العير . يفتح العلماء به فيستغنون عن هذه الدنيا التي أوفت ورجها كله حلب

## وظيفتهم ومحافظةهم عليهم بصديق

٢٠٢ في كتب الشقاق المعينة للعلماء الأولية الثمانية . أن الساطع سيم من أمر يتصل بمائة وخمسة رجال من حفاظ الخرائص . فتدبه لبيت المولى علاء الدين علي بن أحمد بن محمد الجاني لمضى . فذهب إلى الديوان العالي . ولم يكن من علمهم أن يذهب الملقى إلى الديوان العالي إلا حدث عظيم . فتجبر أهل الديوان ، وما دخل الديوان سلم على الوزراء فاستقبلوه وأجلسوه في صدر المجلس ثم قالوا له أي شيء دعا المولى إلى الحجي إلى الديوان العالي ؟ قال أريد أن أدخل على السلطان ، ولي معه

كلام ، فعرضوه على السلطان سليم حار فأذن له وحده . فدخل وسلم عليه وجلس ثم قال . وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان . وقد سمعت أنك أمرت بقتل مائة وخمسين رجلا لا يجوز قتلهم شرعا . فعليك بالعفو عنهم . فغضب السلطان . وكل صاحب حدة ، وقال إنك تعرض الأمر السلطنة وليس ذلك من وظائفك . قال لا . بل أنعرض لأمر آخرتك وإثمه من وطيفتي . فإن عفوت فلك النجاة . وإلا فعليك عقاب عظيم . فاكسرت عند ذلك ثورة غضبه . وعما عن الكل . ثم تحدث معه ساعة . ولما أراد أن يقوم . قال له . تكلمت في أمر آخرتك . وبقى لي كلام متعلق بالمرومة . قل السلطان وما هو ؟ قال إن هؤلاء من عبيد السلطان . فهل يليق بعرض السلطنة أن يتكفؤا الناس ؟ قال لا . قال فقرّهم في مصائبهم . فقبله السلطان وقال . إلا أتني أعدبهم لتعصيرهم في خدمتهم . قال المولى هذا جائز . لأن التعذيب مفوض إلى رأى السلطان . ثم سلم عليه وانصرف وهو مشكور

٢٠٣ -- ولهذا المولى حكاية أخرى مع السلطان سليم نفسه أتخذ فيها أربعمئة رجل من القتل بإيثاره الحق وتهالكه على نصرته أداء لواجب وظيفته في محافظته على آخرة السلطان ابتغاء وجه الله ومصلحة الناس لا لعرض من الدنيا

٢٠٤ - قال يزيد بن هارون : ما رأيت أورع من أبي حنيفة . رأيت به جالسا يوما في الشمس عند باب إنسان ، فقلت له يا أبا حنيفة لو تحولت إلى الظل ؟ فقال . لي على صاحب هذه الدار دراهم ، ولا أحب أن أجلس

في ظلّ فناء داره . قلّ يزيد . فأى ورع أكثر من هذا ؟ وفي رواية أنه  
سئل لم امتنع من الظل ؟ فقال : لى على صاحب هذه الدار شىء فكرهت  
أن أستظلّ بظلّ حائطه فيكون ذلك جرّ منفعة ، وما أرى ذلك على  
الناس واجبا ، ولكن العالم يحتاج أن يأخذ لنفسه من عمله بأكثر مما  
يدعو الخلق إليه

« مر : » نهرات الخلد »

٢٠٥ - يروى عن هبة لله بن صاعد الطيب النعماني المعروف  
بأمين الدولة ابن الحميد أن السلطان محمد بن محمود خورزمشاه كان قد  
حصن بغداد فخرض وهو بعسكره طاهر البلاد . ومرض الخليفة المقتدى  
أبو عبد الله محمد بن المستظهر ببغداد . فأفقد السلطان يلمس الرئيس أمين  
لدولة ابن التاميد . فأخرج إلى طاهر المدينة فكل يداويه بطاهر ببغداد  
ويداوى الخليفة ببغداد . فقال له وزير السلطان أيها الرئيس إننى قد كنت  
عند السلطان ، وذكرته له من فضلك وأديك ورأيتك ، وقد أمر لك  
بمئة ألف دينار فقال له : يا مولانا قد أمر لى من بغداد بأئني عشر  
ألف دينار ، أباذن لى فى قبولها السلطان ؟ يا مولانا أنا رجل حاميت  
لا أتحوز وخائف الأحياء وما يلزمهم ولا أعرف إلا ما لا شهير والموع  
وشراب البهجة والنيفور ( وهو ضرب من الرياحين ينبت فى المياه  
الراكدة ) ومتى أخرجت عن هذا لا أعرف شيئا . وكان الوزير قد عرض له  
فى حديثه بما معناه أن يدبر فى اتلاف الخليفة . وقد رآه سبحانه برء الخليفة  
والسلطان ووقع الصبح بينهما على ما اقترحه الخليفة . وهذا كان من عقل  
الرئيس أمين الدولة ودينه وأمانته فإنه كان يقول لا ينبغي للطبيب أن

يدخل أسرك في أسرارهم . ولا يتجاوز ماء الشعير والمقويح والشراب  
فتي جاوز هذا تلف وكل سبب هلاكه . وكل ينشد :  
لسكل امرئ من الناس حد . وهلاك الفتي جوار اخذ

والفتم في ٥ / ٢ / ١٩٢٥ لاذيب عمرو ٤

٢٠٦ اولى عمرو بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه طوس اتبعني  
إن أردت أن يكون عملك خيراً لك . فاستعمل أهل الخير ، فقال عمرو :  
كفى بها موعظة

٢٠٧ دخل عمرو بن عبيد على منصور فقال : يا أمير المؤمنين ،  
إن الله عز وجل يفتك ويساتك عن منقل ذرة من الخير والشر . وإن  
الامة حجتك يوم القيامة . وإن الله عز وجل لا يرضى منك إلا بما  
تصاد لنفسك ؟ ألا وإنك لأرضى لنفسك إلا بأن يعذل عبيك . وإن  
تدحل وأنت لا يرضى منك إلا أن تعذل على الرعية يا أمير المؤمنين .  
إن وراء باب يردك تهجج من الجود . والله ما يخفى وراء بابك بكاتب  
الله ولا بسنة بنبه صلى الله عليه وسلم ، قال فبكي منصور . فقال سليمان  
بن عمار وهو واقف على رأس المنصور . يا عمرو ، قد شققت على أمير  
المؤمنين . فقال عمرو . يا أمير المؤمنين من هذا ؟ قال أحولك سليمان بن  
عمار . قال عمرو . ويحك يا سليمان . إن أمير المؤمنين عوف . وإن كل  
ما راه يفقد ، وإنك جبهة عدا بالعماء . لا يسمعك إلا عمل صانع قدومه .  
ولفرب هذا الجدار أفتح لأمر المؤمنين من فربك إذ كنت تطوى عنه  
الشرجة ونهى من يندحه يا أمير المؤمنين إن هؤلاء الحمدوك سلماً

في شهورهم . قال المنصور : فأصنع ماذا ؟ أدع لي أصحابك أو قم . قال  
أدعهم أنت بعد صلاح تحدثه . ومرت بهذا الخناق فبرقع عن أعين ق  
اناس . واستعمل في اليوم الواحد عمالا كثيرا رابك منهم ريب أو أنكروا  
عن رجل عريته ووليت غيره . فوالله لئن لم تقبل منهم إلا العدل  
ليتقر بن به إيلك من لانية له فيه . « مس ٢٨٠ ٢٨٠ عس ولسارى لى »

٢٠٨ . قال الرشيد لليت لما قدم عليه : مصلح يد : قال يا أمير  
المؤمنين ، صلاح بهذا إجره الليل وصلاح أمره . ومن رثس لعل يأتي  
الكدر ، فدا صف رثس العير صفت العير . قال صدقت يا أبا احث  
« مس ٢٨٠ عس ولسارى لى »

## إتارهم الحق

٢٠٩ . قال عمر بن حبيب القاضي : حضرت مجلس الرشيد يوما  
خرت مسألة فتنازعها الخصوم وعات الأصوات فيها . فاحتج بعضهم  
بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . « ادع بعضهم  
احد . برادى المدعى » . حتى قال قائلون منهم أبو هريرة  
متهم فيها . وصرخوا شكك فيه . ورأيت الرشيد قد نحا عوهم وصر  
قولهم . « علم أن الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وأبو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم » فنظر إلى الرشيد نظر مغضب . وانصرف إلى منزله فم ألبث  
أن جاءني علام فقال : أجب أمير المؤمنين إجابته مقتول . وتخطوا تكفى .

فقلت اللهم انك تعلم اني دفعت عن صاحب بيتك ، وأجملت ببيتك أن يطعن على أصحابه فسلفني منه . وأدخمت على الرشيد وهو جالس على كرسي . حاسر عن ذراعيه ، بيده السيف ، وبين يديه النطع ، فلما بصر بي قال . يا عمر بن حبيب ما تطفاني أحدمس الدرع والرد لقلوب مثل ما تطفئني به ونجرت أنت علي ، فقلت يا أمير المؤمنين إن الذي فلتته وواقعت عليه ومات اليه وجادلت عنه ازراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به فإنه إذا كان أصحابه ودواة حديثه كذابين ، والشريعة باطلة والمرأئص والأحكام في الصلاة والصيام والسكح والطلاق وسخود مردودة غير مقبولة فله الله يا أمير المؤمنين أن يعان ذلك أو يعفى اليه وأنت أوى أن تغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم . فلما سمع كلامي رجع إلى نفسه ثم قال : أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله ، أحييتني أحياك الله . وأمر له بعشرة آلاف درهم

( من ١٧٥ عقد الترمذ لذلك المزمع )

٢٠٩ - وحدث الجلاحظ : أن المعتصم غضب على رجل من أهل الجزيرة الفراتية . وأحضر السيف والنطع ، وقال له المعتصم صنعت كيت وكيت . وأمر بضرب عنقه . فقال له أحمد بن أبي دؤاد الإيادي القاضي : يا أمير المؤمنين ، سبق السيف المدل ، فتأن في أمره فإنه مظلوم . قال فسكن قليلا ، قال ابن أبي دؤاد وغمرني الجول فلم أقدر على حبسه ، وعلمت أنني لو قت قتل الرجل ، فجعلت ثيابي تحتى وبلت بها حتى خلعت الرجل ، قال فلما قتت نظر المعتصم الى ثيابي وحيلة فقال : يا أبا

عبد الله كان تحتك ماء ؟؟ فقلت لا يا أمير المؤمنين . ولكنه كل كذا وكذا ، فصدحك المعتصم ودعا لي ، وقال أحسنت بارك الله عبيك ، وخلع عليه وأمر له بمائة ألف درهم . وابن أبي دؤاد هذا هو الذي يقول فيه الكلبي : ابن أبي دؤاد روح كله من قرنه الى قدمه

٢١٠ - وفي ٥ ج ٢ ص ٢٧ من كتاب حسن المحاضرة ، أن الملك الكامل شهد عند القاضي ابن عيين الدولة وهو في دست ملكه . فقال ابن هين : السلطان يأمر ولا يشهد ، فأعاد عليه القول فلما زاد الأمر وهم السلطان أنه لا يقبل شهادته قال : أنا أشهد تقبلي أم لا ؟ فقال القاضي لا ، ما أقبلت . وكيف أقبلت و « عجيبة » قطع اليك بجنكها كل ليلة وتنزل ثني يوم بكرة وهي تهمل على أيدي أجواري وابن الشيخ من عندك ؟ أيحسن ما نزلت ؟ وكانت عجيبة هذه مغنية أولع بها الملك ، فكانت تحضر اليه ليلا وتغنيه بأجنانك على الدفاف في مجلس يحضره ابن شيخ الشيوخ ، فقال له السلطان يا كيواج ، وهي كلمة شتم بالفارسية ؟؟ فقال القاضي . ما في الشرع يا كيواج . اشهدوا على آني قد عزلت نفسي . وهنص . فقام ابن الشيخ الى الملك الكامل وقال : امحجة اعادته لئلا يقال لأي شيء عزل القاضي نفسه ؟ وتضير الأخبار الى بغداد ويشيع أمر عجيبة . وهنص الى القاضي وترصناه وعاد الى القضاء

٢١١ - وكان استبداد السلطان صالح تغر لدين عثمان ابن شيخ الشيوخ ( المذكور في القصة السالفة ) وإليه أمر الملكة . فبنى على ظهر مسجد « طيلحاقة » وبقيت تضرب هنالك . فلما ثبت هذا عند القاضي

عز الدين بن عبد السلام . حكم هدمها . وأسقط نحر الدين من منصبه ، وعزل نفسه من القضاء . وقد ظن نحر الدين أن هذا الحكم لا يؤثر فيه . ولكن الخليفة أممها كما سيجي .

٢١٢ - وعزل الدين هذا جرأة في الحق تكاد تكون ثورة على السلطة . فإنه هو الذي قام القومة الكبرى على أمراء المملكة بالدير المصرية ، الذين يستولون بالماليك وصمم على أن يديعهم ويصرف ثمنهم في مصالح المسلمين بحجة أن الملك الصالح الأيوبي اشترى من بيت المال ، وشايه الحق فتمت كتبه وهزأ بجرأته هذه تاريخ مصر هزة الحق وستر هذه القصة

٢١٣ وفي « الجزء الثالث من خطط المقريري ص ٩٥ » أن الدار المعروفة « بالسبع قاعات » في مصر وهما الورير عبد الدين بن زبور ، قامت على عليه الأمة صارت نحتش . حال أوقاف ووعدها ( فضلو بك ) أم السلطان صاحب بن محمد فلاوون . وأراد القاضي القضاة عبد الدين بن بدر من ابن جماعة على حسب بحجة أنها ملك السلطان كما جرى في وقفية كرم الدين . فأبى عليه القاضي . بحجة أن ابن زبور كان يتصرف في ماله لدى كتسبه من المنع . فما وقفه وحكم فقهاء الإسلام بصحته لأسبيل إلى حقه وساعده القاضي الحنبلي . فاحتج عليهما الأمة بحلفته به اشترى من عدو ابن زبور . فقتل له القاضي : إن كنت تبحث معاني هذه المسألة بحثنا معك . وإن كنت قد ذكرها لك أحد فليحضر حتى تبأخته فيها ، فإن ما ذكره لك يقصد به مصادرة الناس وأخذ أموالهم ، وواقفه على ذلك



اقتضاة الثلاثة ، فشق هذا الأمر على الأمير وبعثت أم السلطان يعرف  
 اقتضى أنها وعدت بها . وتؤكد عليه ألا يعارضها في حد أو قاب بن  
 زبور ، فصيح لها هذا ، وخوف حتى كفت عنه ، ولحق الأمير مرض حتى  
 جف عليه . وبقيت ( السبع قاعات ) وفيه أدريه ابن زبور

٢١٤ - ومثل هذا ما رواه صاحب سراج الملوك ص ٦٤ على مقدمة  
 ابن خلدون : أن المعذور بن أبي عامر ملك الأندلس احتج أن يأخذ  
 أرضاً محدثة ويعاوض عنها خيراً منها . فاستحضر العقهاء في معمره  
 واستفتاهم فأفتوا بأنه لا يجوز فعصى السلطان عليهم وأرسل لهم وزيراً  
 مشهوراً بالخذة يومهم ، فدوا عليه بما رآه والعصر هوا ، فابلغوا باب  
 النهر حتى يذهبهم الرسل وتنفقهم الوزراء بالاعطام ، وورعوا منازلهم ،  
 واعتدروا اليهم عن أمير المؤمنين أنه يستعير بالله ويندم على ما كان منه ،  
 وهو مستبصر في تعذيبهم وقضاء حقوقهم

٢١٥ - وأراد ( قطز ) أن يأخذ من الناس شيئاً يستعين به على  
 قتل التتر . فجمع العلماء . وحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال  
 لا يجوز أن يزحف من الرعية شيء حتى لا يبق في يديهم المال شيء ، ولا يبيعوا  
 ما في من أحوالهم في الآلات . ويقتصر كل مسكة على مرسه وسلاحه ،  
 ويلساوون في ذلك . والحامه . وما أخذ أموال العامة مع بقائه ما في  
 أبدى الجند من الأمور والآلات الفاسخة . فلا

أقول : وقطر هذا هو المذهب بالملك للغير الثالث في دولة الماليك  
 وكانت بغداد سقطت في مدة سلفه على أبدى التتر وزحفوا منها إلى

بلاد الاسلام فلقبهم بالجيوش المصرية في « عين جالوت » فانتصرت عليهم  
وهزم التتر شر هزيمة

٢١٦ - لما كان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز أميراً على العراق ،  
أرسل الى عامله بالبصرة أن يوفد اليه وفداً . فأرسل إلى جماعة بأمره  
بذلك ، وأرسل الى عمرو بن عبيد فامتنع ، فأعاد سؤاله ، فقال : إن أول  
ما يسألني عنه سيرتك ، فتراني قائلاً : فكف عنه

٢١٧ - عن المزني سمعت الشافعي يقول الناس عيال على أبي  
حنيفة في القيلس . ولدقة قياسات مذهبه كن المزني يكثر من النظر في  
كلامه ، حتى حمل ذلك ابن أخيه الإمام الطحاوي على القول بأنه انتقل من  
مذهب الشافعي الى مذهب أبي حنيفة . ويظهر أن الشافعي لاحظ هذا  
في المزني فقد تنبأ له أن سيكون أقيس أهل زمانه

٢١٨ - حدثني صديق الكريم محمد فهدى الناصوري باشا عن أحمد  
أفندي بدوي عن أبيه عن حده . وكان من الشيوخ بالأزهر في زمن الخديو  
إسماعيل قال : لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة وتوالت الهزائم على  
مصر لوقوع الخلاف بين قواد جيوشها . ضاق صدر الخديو لذلك ،  
فركب يوماً مع شريف باشا وهو مخرج فأراد أن يفرج عن نفسه فقال  
لشريف باشا ماذا نصنع حينئذ بل بك مله تريد أن ندفعها ؟ فقال يا أفندي  
إن الله عودني إذا حاق بي شيء من هذا أن أجيأ الى صحيح البحاري  
بقرؤه لي علماء أطهار الأفاضل فيفرح الله عني ، قال : فكلم شيخ الجامع  
الأزهر وكان الشيخ العروسي فجمع له من صاحباء العلماء جمعاً أخذوا

يتنوع في البخاري أمه القسمة القديمة في الازهر ، قال ومع ذلك ظلت  
أخبار الهزائم تنمو الى . فذهب الخديو ومعه شريف باشا الى العلماء وقال  
لهم محققاً : إما أن هذا الذي تقرأونه ليس صحيح البخاري ، أو أنكم  
لستم العلماء الذين نعهد من رجال السنف الصالح ؟ قال الله لم يدفع بكم  
ولا بتلاوتكم شيئاً ، فوجم العلماء لذلك . وابتدعه شيخ من آخر الصف  
يقول له : منك يا اسماعيل . فإنا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال  
( تَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ لِيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شُرَكَاءَكُمْ  
فَيَدْعُوْا خِيَارَكُمْ فَلاَ يَسْتَجِابَ لَهُمْ ) أو كما قال (١) فزاد وجوم المشايخ  
والعصف الخديو ومعه شريف باشا ولم يندسا بكلمة : وأخذ العلماء  
يومون القائل ويؤثرونه . فبينما هم كذلك إذا بشريف باشا قد عاد يسأل  
أين الشيخ القائل للخديو ما قال ؟ فقال أنا . فأخذه وقام ، وانقلب  
العلماء بعد أن كانوا يلومون الشيخ يودعونهم وداع من لا يأملون أن  
يرجع وسار شريف باشا بالشيخ الى أن دخلا على الخديو في قصره . فإذا  
به قاعد في البهو . وأمامه كرسي . جلس عليه الشيخ ، وقال له أءديأستاذ

(١) حديث حسن - رواه الزبيري والطبراني في الاوسط - ( من الجامع الصغير )

، روى ابن ماجة وابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت :  
دخل علي النبي ﷺ فمرفت في وجهه أن قد حصره شيء . فتوأمأ وما كام أحداً ،  
فاصفت بالحجرة أستمع ما يقول فقم على المبر محمد الله وأنتي علماء وقال : يا أيها  
الناس إن الله يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فبنا أن تدعوا فلا تستجيب  
لكم ، وتسالوني فلا أعطيك ، وتستصرونني فلا أصرركم ، فما زاد عليهن حتى نزل  
الله من كتاب الزواجر لاین حجر - ص ٢٧٧

ماقلته لى فى الأزهر . فأعاد الشيخ كلمته وردّد الحديث وشرحه . فقال له الخديو وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء ؟ قال له يا أفتدينا أليست المحاكم المختلطة قد فتحت بقانون يبيع الربا ؟ أليس الزنا برخصة ؟ أليس الحمر مباحا ؟ أليس أليس وعدّ له منكرات تجرى بلا إنكار . وقال فكيف تنتظر النعم من السماء ؟ فقال الخديو . وماذا صنع وقد عاشرنا الأحابس ، وهذه مدينتهم ؟ قال إذن فما ذنب السعاري وما حيلة العلماء ؟ ففكر الخديو مليا وأمارق صويلا ثم قال له صدقت صدقت ، وأمر فرئت له فى ( الزنا بعة ) ثلاثون جنيها ، وعاد الشيخ بعد هذا الى الأزهر وإخوانه قد يأسوا منه . فكانما قد ولد جديدا

٢١٩ - أقول - وإني أنقل هنا كتاب سيدنا عمر ففيه تفسير قول

الشيخ للخديو

كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص قائده الذى وجهه

لمفتح فارس

أما بعد فإنى آمرك ومن معك تقوى الله على كل حال . فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب . وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منك من عدوكم . فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوكم . وإنا نناي نصر المسلمون بمعصية عدوكم لله . ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة . لأن عدونا ليس كعدوكم ، ولا عدونا كعدوكم ، فإن استموتنا فى المعصية كنز لهم الفصل علينا فى القوة . وإلا نتمصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوةنا ، فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفصة

من الله يعملون ما يفعلون . فاستحيوا منهم . ولا تعملوا بماصى الله وأنتم  
 في سبيل الله . اخ - هن هذا الكتاب يظهر السر والضحك في سقوط  
 المسلمين وتهاوى نجومهم . لا هم يعملون بعمل أهل الدنيا فيعدوا واستطاعوا  
 من قوة ويزاحموا أبناءها بالعلم والعمل والكشف عن أبواب الصرة  
 والسطوة والأخذ بأسباب وتولى هذه الأسباب ولأء من يراها تتعنه  
 العزة والسطوة فهو يعمى فيها ويجد للمزيد منها ومساومة من يسبقه ايها  
 ولا هم رجعوا إلى عز التقوى واستنزلوا النصر من السماء أعمال الصالحين  
 وإخلاص المؤمنين . والله قد وعد أن ينصرهم وكان وعده سميحاً لا . فترانا  
 اليوم في الدنيا ونحن منها على هون بعد أن كن آباءاً باسادة والدادة  
 ترانا كما قال الحق تعالى « خلف من بعدهم خيف أصابعوا الصلاة واتبعوا  
 الشهوات فسوف يفتنون غيابة »

## تشددهم فيما برؤه حقاً

٢٢٠ قال أبو ذر : لو وصفتهم الصمصامة على هده ، وأشار إلى  
 فده ثم صمت . في فقد كلمة سمعتها عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن  
 تحيروا على لا تفقدتها  
 « الحارث بن عبد المطلب »

٢٢١ وكان لسعيد بن المسيب التابعي العظيم رأى في البيعة لولي  
 العهد . لا . لها في وجود الوالى حديث مهم على وجه صحيح عنده . واعتقد  
 أنه مقصود الحديث ، وقد آذاه الولاية في سبيل هذا . وثبت على ربه  
 إلى أيام عبد الملك بن مروان أراد أن يبايع لابنه الوليد وكتب لولاية

الأمصار بأخذ البيعة له . قال يحيى بن سعيد : كتب هشام بن اسماعيل  
والى المدينة إلى عبد الملك بن مروان إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة  
للوايد وسليمان إلا سعيد بن المسيّب . فكذب أن اعرضه على السيف ،  
فلما مضى ، فأجلده خمسين جلدة وطف به أسواق المدينة . فلما قدم  
الكتاب على الوالى . دخل سليمان بن يسار وعروة بن الزبير وسالم بن  
عبد الله على سعيد بن المسيّب وقالوا : جئتك فى أمر . فدفع كتاب  
عبد الملك إن لم تبائع ضربت عنقك . ونحن معرض عليك خصالا ثلاثا  
ما علمت إحداهن وإن الوالى قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب فلا  
تقر . لا ، ولا نعم ، قال . يقول الناس بايع سعيد بن المسيّب ، ما أقابض  
وكن اذا قال لا ، لم يستطيعوا أن يقولوا نعم . قالوا ، فتجلس فى بيتك  
ولا تخرج إلى الدلالة أبدا . فإنه يقبل منك إذا طابك فى مجلس فليجده  
قال ، فانا أسمع الأذان فوق أذنى حتى على الصلاة وحتى على الصلاة ؟ ما أنا  
به . مل . قالوا : فاشقل من حملك الى غيره فإنه يرسل إلى حملك وإن  
لم يجده أمسك عنك : قال أفرقا من مخلوق ؟ ما أنا بمتقدم شبرا ولا  
متأخر . فخرجوا . وخرج إلى صلاة الظهر فجلس فى مجلسه الذى كان  
يجلس فيه : فلما صلى لوالى ، بعث إليه فأقضى به ، فقال ، إن أمير المؤمنين  
كتب يأمرنا إن لم تبائع ضربت عنقك . قال ، نهى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم عن بيعتين . فلما رآه لم يجب . أخرجه إلى السدة . فذمت  
عنقه وسدت السيوف ، فلما رآه قد مضى ، أمر به بجرده ، وإذا عليه ثياب  
شعر . وقال ، لو علمت ذلك ما استشرت بهذا الشأن ، فصر به خمسين

موقوفاً ثم صاف به أسواق المدينة ، فلما رددوه ولتاس مصرهون من صلاة العصر قال : إن هذه الوجوه ما نظرت إليها منذ أربعين سنة . ومنعوا الناس أن يحالوه . وكان من ورعه إذا جاء إليه أحد يقول له قم من عندي . كراهية أن يضرب بسببه . قال مالك رضى الله عنه : ينبغي أن سعيد بن المسيب كذا يلزم مكاناً من المسجد لا يصلي من المسجد غيره . وأتته ليأبى منع به عبد الملك ما منع . قيل له : أن يترك الصلاة فيه ؟ أبى إلا أن يصلي فيه ، وكان يقول لا تمسوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم كيلاً تحبط أعمالكم

٢٢٢ - وقال الفقيه بن عياض وناهيك به حلاله : كان أبو حنيفة معروف بأدبه مشهوراً بالورع . ومن عظيم ورعه ما قال الإمام عبد الله ابن المبارك أنه أراد شراء أمة فمكث عشرين سنة يستخير ويشاور من أي سبي يشتري ؟

٢٢٣ - ومن ذلك أيضاً أنه ترك لحم لغنم لما فطنت شاة في الكوفة إلى أن عر موتها ، لأنه سأل عن أكثر ما تميش ؟ ف قيل له سبع سنين . فترك أكل لحمها سبع سنين تورعاً منه ، لاحتمال أن تبقى تلك الشاة احرام فيصادف أكل شيء منها فيظلم قلبه ، إذ هذا هو شأن أكل الحرام وإن اتنى الإثم للأجهل بعين احرام « من . . . »

٢٢٤ - وفي « ترجمة إمام الحرمين » أن أباه ( أبا محمد الجويني ) كان في أول أمره يبيع بالأجرة . فاجتمع له من كسب يده شيء اشترى به جارية موصوفة بالخير والصلاح . ولم يزل يطعمها من كسب يده أيضاً

الى أن حجت بإمام الحرمين وهو مستمر على نريتها بكسب الخل ولما  
وضعت أوصاها ألا تمكن أحداً من إرضاعه : فافق أنه دخل عليها يوماً  
وهي متأللة والصغير يبكي وقد أخذته امرأة من جيرانهم وشاعلته بتدبيرها  
فرضع منها قليلاً ، فلما رآه شق عليه . وأخذة اليه ونكس رأسه ومسح  
بطنه وأدخل إصبعه في فيه ولم يزل يفعل ذلك حتى قاء جميع ما شربه ،  
وهو يقول بسهل على أن يموت ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه .  
ويحكى عن إمام الحرمين أنه كان يلحقه بعض الأحيان فترة في مجلس  
الناظرة فيقول . هذا من بقايا تلك الرضعة

٢٢٥ . . . وهنا يطيب لك القول اذا تقلت عن المختصر « ج ٢ »

ص ١٨٤ « أب أبا المعالي الجويني إمام الحرمين المذكور ترك خراسان  
كاهناً ، وهاجر منها الى مكة أربع سنين إذ كان وزيرها عميد الملك كثير  
الوقعة في الشافعي وحاطب « طغرل بك » في لمن الراضة على مسابر  
خراسان فأمر له بذلك . فأمر بلعنهم وأضاف اليهم الأشعرية قال الملك  
المؤيد « أنف من ذلك أئمة خراسان منهم أبو القاسم القشيري وأبو المعالي  
الجويني وأقام بمكة أربع سنين ولهذا لقب إمام الحرمين اه وسترى في  
الكتاب سرور نظام الملك واعتزازه به حتى بنى له المدرسة النظامية  
بتيسابور



## افرارهم للحس

٢٢٦ - قال محمد بن جرير : لم يكن أحدهم أصحاب معروف  
 حرّروا هتياه ومذهبه في الفقه غير أبي مسعود ، وكان يترك مذهبه وقوله  
 لقول عمر ، وكان لا يكاد يحالعه في شيء من مذهبه ويرجع من قوله إلى  
 قوله ، وقال الشعبي : كل عبد الله لا يقنت ، ولو قنت عمر لقنت عبد الله  
 ٢٢٧ وعن أبي بكر الهذلي قال : بعث عمر بن هبيرة إلى الحسن  
 البصري وابن سيرين والشعبي فقدموا عليه وهو بواسط ، وكان رجلاً  
 يحبّ حسن السيرة ويجمع من الفقهاء ، فلما دخلوا عليه ألقاهم وأمر  
 بهم أنزل وحسن صياغة ، فأقاموا على بابه شهراً ، فعدا عليهم حسن بن  
 هبيرة ذات يوم فقال : إن الأمير داخل عليكم ، فجاء يتوكل على عكاز  
 له حتى دخل ، فبّيه ثم قال ، إن يزيد بن عبد الملك عبد من عبيد الله أحد  
 عهودهم وأعطاهم هذه كي يسمعوا له ويعطوه . وإنه يأتي منه كتب  
 أعرف في تنفيذها الهلكة ، فإن أطعته عصيت الله . فماذا مروء ؟ فقال  
 الحسن . يا ابن سيرين أحب للأمير ، فسكت . فقال له شعبي أحب  
 الأمير . فكلم بكلام هيبه . فقال يا أبا سعيد ما تقول ؟ فقال . أما إذا سألتني  
 فأنه يحقّ عليّ أن أجيبك ، إن الله جل وعز ما بعث من يزيد ولن يبعث  
 يزيد من الله . وإنه يومئذ أن ينزل بك ملك من السماء فيستنزلك من  
 سريرك وسمة فصورك إلى باحة دارك ثم يخرجك من باحة دارك إلى  
 صيق قهرك ثم لا يوسع عليك إلا عملك . يا ابن هبيرة إنني أنهاك عن الله

جلّ وعزّ لما جعل الله جلّ وعزّ السلطان ناصراً لعباده ودينه ، فلا  
تركبوا عباد الله يسطرون الله فتدأروهم فاته لاطاعة مخلوق في معصية  
الخالق . يا ابن هبيرة لا تأمنن أن ينظر الله جلّ وعزّ إليك عند أقبح  
ماتعمل في طاعته نظرة مقت فيخلق عنك باب الرحمة . يا ابن هبيرة أتى  
قد أدركت ناساً من عبود هذه الأمة كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم  
فيما حرّم الله عليكم ، وكانوا حسناهم ألاّ تقبل أحوف منكم لسيئاتكم  
ألاّ تغفروا وكانوا لتواب الآخرة أبصر منكم لاتباع الدنيا بأعينكم . وكانوا  
عن الدنيا وهي عليهم مقبلة أشدّ إدباراً من إقبالكم عليها وهي عنكم  
مدبرة . يا صرأتى أحوفك مقاماً خوفاً من الله جلّ وعزّ من نفسه فقال  
« ذلك لمن حاف مقابى وخاف وعيد » يا عمر إن تكن مع الله على يزيد  
يكفك الله بانيته . وإن تكن مع يزيد حتى الله يكث إليه . قال . فبكى  
ابن هبيرة ، وقام في عمرته وانصرف . وأرسل إليهم من الغد بجواثهم .  
وأعطى الحسن أربعة آلاف درهم . وابن سيرين والشعبي ألفين ألفين ،  
نفرح الشعبي إلى المسجد وقال . من قدر منكم أن يؤثر الله جلّ وعزّ  
على خلقه فليصل . قال ابن هبيرة أرسل إلى وإلى الحسن وابن سيرين  
فسألت عن أمر الله ما علم الحسن شيئاً جهلته ، ولا علمت شيئاً جهله  
ابن سيرين . ولكنا أردنا وجه ابن هبيرة ففصانا الله جلّ وعزّ  
وقصر بنا ، وأراد الحسن وجه الله فغياها ببارك اسمه وزاده

٢٦٨ - وقال الليث بن سعد : كنت سمع بذكر أبي خنيفة وأتتني  
رويته . فأتني بمكة إذ رأيت الناس مجتمعين على شخص ، فسمعت إنساناً

ينادى يا أبا حنيفة فعلت أنه هو ، فسأله رجل فقال له : إن لي مالا كثيرا ، وولدت أزواجه وأتفق عليه المال الكثير فيطيق فيذهب مالي ، فهل لي من حيلة ؟ قال : أدخل به سوق الرقيق واشتر من يعجبه ثم زوج له إياها . فان طلقها رجعت مملوكة لك . وإن أعتقها لم ينفع عتقه . قال الليث قوائمه ما أعجبنى جوابه كم أعجبنى سرعة جوابه

٢٢٩ وقال الأوزاعي لابن المبارك : من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكسب أبا حنيفة ؟ فأراه مسائل عويصة من مسائله . فلما رآه مدسوبة للهمان بن ثابت قال : من هذا ؟ قلت شيخ لقيته بالمراق . قال هذا نبيل من المشايخ . اذهب فاستكثر منه . قلت هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه ، ثم لما اجتمع بأبي حنيفة بمكة جراه في تلك المسائل ، فكشفها أبو حنيفة له بأكثر مما كشفها ابن المبارك عنه ، فلما افترقا ، قال الأوزاعي لابن المبارك ، غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله وأستغفر الله تعالى لقد كنت في عاط ضاهر ، إرم الرجل فإنه بخلاف ما بلغني عنه . ٢٣٠ - قال يحيى بن الليث : باع رجل من أهل خراسان جمالا على مرزبان المحوسى وكيل أم حمير زينة زوج الرشيد ثلاثين ألف درهم فخطبه شتمها وعرفه عن سمره . فطال ذلك على الرجل ، فأتى إلى بعض أصحابه وشاوره كيف يعمل ؟ فقال اذهب إلى مرزبان وقل له اعطني ألف درهم وأحيل عليك بالمال الباقي وأسافر إلى خراسان . فإذا عمل معرفتي حتى أشير عليك ، فأتى إلى مرزبان وقال ذلك . فأعطاه ألف درهم ورجع إلى الرجل فاخبره ، فقال له عد إليه وقل له إذا ركبت غدا فاجعل

طريقك على القاضي حتى أوكل بقبض المال منك في دفعت وأروح أنا إلى حراسان ، فإذا جاء وجنس إلى القاضي فادع بمالك ، فإذا أقر حسبه القاضي وأخذت مالك منه . هرجع الحراساني إلى مرزبان وسأله ذلك فاجابه وقال غدا استظرنى بباب القاضي . فلما ركب من العدة قام إليه الرجل وقال إن رأيت أن تنزل إلى القاضي حتى أوكل بقبض المال وأروح ؟ فنزل مرزبان فتقدم إلى القاضي وكان « حمص بن غث » فقال الرجل أصليح الله القاضي . لي على هذا تسعة وعشرون ألف درهم . قال له القاضي ما تقول ؟ قال مرزبان صدق أصليح الله القاضي . قال قد أوفيت لك . قال يعطيني مالي وإلا فأحبس . فقال القاضي لمرزبان ما تقول ؟ قال هذا مال على السيدة أم جعفر ، قال له حمص يا أحمق تقر ثم تقول هذا على السيدة ؟ ما تقول يا رجل قال إن أعطاني مالي وإلا حدسته . فقال حمص يا مرزبان ما تقول ؟ قال المال على السيدة قال حمص : خذوا بيده إلى الحبس . فلما حبس . بلغ الخبر إلى أم جعفر فغضبت . وبعثت إلى « السدي » وقالت وجهه بمرزبان إلى وعمل . فأسرع السدي وأخرجه من الحبس . وبلغ الخبر إلى حمص أن مرزبان قد أخرج . فقال أحبس أنا ويخرج السدي . والله لا جلست للقضاء أو يرد مرزبان إلى الحبس . وأعلق باب بيته . فسمع السدي ذلك فغاب إلى السيدة أم جعفر فقال الله في فإن حمصاً لا تأخذه في الله لومة لائم وأخاف من أمير المؤمنين الرشيد يقول لي بأمر من أخرجته ؟ رديته إلى الحبس . وأنا أكلهم حمصاً فيه . فأجابته وردته إلى الحبس . وقالت أم جعفر للرشيد : قاصيك هذا

أحمو حبس وكيلى واستحفّ به . اكتب إليه ومره لا يصدر فى الحكم  
 عليه . فأمر لها بالكتاب . وبنع حفص . ذلك فقال للرجل احضر لى  
 شهوداً لاستعمالك على المجوسى بالمال . وجلس حفص وسجل على المجوسى  
 خذ خادم السيدة ومعه كتاب الرشيد فقال هذا كتاب أمير المؤمنين  
 فقال له حفص مكافك . نحن فى حكم شرعى حتى نخرج منه . فقال كتاب  
 أمير المؤمنين ، فقال اسمع مايقال لك . فلما فرغ حفص من السجل أخذ  
 الكتاب من الخادم وقرأه وقال اقرأ على أمير المؤمنين السلام . وأخبره  
 أن كتابه ورد وقرأته وقد أظنت الحكم عليه . فقال الخادم قد عرفت  
 والله ما صنعت . أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد  
 والله لأخبرن أمير المؤمنين بما فعلت . فقال له حفص . قل له ما أحببت  
 خذ الخادم وأخبره هارون الرشيد بذلك . فنهضت وقال للحاجب . مر حفص  
 ابن عيات بثلاثين ألف درهم . هر كى يحيى بن خالد فاستقبل حفصاً مصرفاً  
 عن مجلس الحكيم . فقال أمها القاضي . فسردت أمير المؤمنين اليوم وقد أمر  
 لك ثلاثين ألف درهم . فما كن السبب فى هذا ؟ فقال حفص . تم الله سرور  
 أمير المؤمنين وحمضه وكلامه . ما زدت على ما فعل كل يوم . قال ومع  
 ذلك ؟ قال لا أعلم إلا أننى سجدت على مرزبان مجوسى عال وحب عليه  
 فقال يحيى من هذا سر أمير المؤمنين . فقال حفص الحمد لله كثيراً . من  
 قام بحقوق الشريعة ألبسه الله رداء المهابة

## أداء الحق مع رعاية الأدب

٢٣١ - عن لؤلؤة حادم الرشيد قال : جرى بين الرشيد وبينت عمه زبيدة كلام فقال هارون . أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة ثم قدم فجمع الفقهاء فاحتلفوا . فكتب إلى البلدان فاستحضر علماءها إليه . فلما اجتمعوا جلس لهم - وألهم فاحتلفوا ، وبقي شيخ لم يتكلم وكان في آخر المجلس . وهو الليث بن سعد . قال فسأله . قال إذا أخلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته ، فصرفهم فقال ، يدعي أمير المؤمنين فأذنه . قال أتكلم على الأمان ؟ قال نعم ، فأمر بإحضار مصحف فأحضره ، فقال تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل إلى سورة الرحمن فاقرأها ففعل . فلما انتهى إلى قوله تعالى ( ولمن خاف مقام ربه جنتان ) قال أملك يا أمير المؤمنين ، قل والله فاشتد ذلك على هارون . فقال يا أمير المؤمنين . الشرط أملك ، فقال والله حتى فرغ من العيين . قال قل إني أخاف مقام ربي . فقال ذلك ، فقال يا أمير المؤمنين ، هي جنتان وليست بحجة واحدة . قال فمعنا التصديق والفرح من وراء السر . فقال له الرشيد . أحسنت . وأمر له بأجوائز والحلج . وأمر له بإقطاع الجزيرة ولا يتصرف أحد بعمر إلا بأمره وصرفه مكرماً

« من » ارمه القبة »

أقول : هذا تصرف عال من جمال العلم روعي فيه الحق والأدب معاً ، ترى الليث عرف وجه الفتوى وهو أن الطلاق لا يقع إذا كان الرشيد ممن يخاف مقام ربه ، ورأى في نفسه أنه لا يبيع لها أن يطلق الفتوى

على علائها حتى يتوثق من الشرط وهو خوف الله تعالى . ويكون هذا  
تخفيف الرشيد حتى تطمئن نفس الإمام إلى أن فتواه صادقة حقاً ،  
فصرفه من مجلس الخليفة حتى لا يكون تخييفه بمرأى منهم ، ولا  
تأخذ الرشيد نفسه كما قد همت حين أراد تخييفه ولم يذكره بشرطه  
عنده أن له الأمل منه حتى سكن . ثم لم تنكر فتوى الإمام حجة نفس  
بل من القرآن نفسه وذلك أفراء المصحف حتى بهدول من خاف مقام  
ربه جنتان ، فاضمان بذلك الرشيد وعرف أنه يملك حرمه على حل جميع  
بعض قاطع من كلام الله . وهذه موهبة الحق في عالم أحوالها لانفك  
عن حسن الأدب عند من عقل وعرف

٢٣٢ قال يحيى بن عبد الحميد : خوصم موسى الهادي أمير  
المؤمنين إلى أبي يوسف في بستانه . فكان الحكم في الظاهر لأبي  
المؤمنين ، وكان الأمر على خلاف ذلك ، فقال أمير المؤمنين لأبي يوسف  
ما صنعت في الأمر الذي يتنازع إليك فيه ؟ قال ، خصم أمير المؤمنين  
يسألني أن أحل أمير المؤمنين أن يشهوده شهدوا على حق ، فقال له  
موسى وتري ذلك ؟ قال قد كان ابن أبي ليلى يراد . قال فاردد البستان عليه  
أقول : وهذا أئيب ذوق حاصر من القاضي أبي يوسف . عرف كيف  
يصل بالحق الذي رآه إلى صاحبه من غير أن يخرج صاحب الدعوى الذي  
قامت له البيئة وأظهرت القصة في جانبه . فإنه جنح إلى طريقة يعرف  
أنفة الخليفة أن يسلكها وهي الخلف على صدق شهوده . ثم لم يقيد القاضي  
نفسه بهذا البدء ليأخذ عليه في غيرها . فلما سئل عنه قال إن ابن أبي ليلى





اذهبوا وأدخلوا إلى حنيس القاضي بساطاً وفرشاً وما تدعو الحاجة إليه  
 ثم مضى إلى شريك . فلما وقع بين يديه أدى الرسالة . فقال القاضي لعلام  
 حنيس . خذ بيده فضعه في حنيس . فقال صاحب الشرطة . والله قد علمت  
 أنك تحبني فقدّمت ما أحتاج إليه إلى حنيس . وبلغ موسى بن عيسى  
 الخبر فوجه الخاحب إليه . وقال له . رسول أدى رسالة : أي شيء عليه ؟  
 فقال شريك . اذهبوا به إلى رفيقه . إلى حنيس . حنيس . فلما صلب لأبيه  
 موسى المعصر . بعث إلى إسحق بن الصباح الأشعني وإلى جماعة من  
 حوّه لكوفة من أصدقاء القاضي شريك . وقال لهم امضوا إلى القاضي  
 وأعلموه السلام وأعلموه أنه استحبّ في . وأتى لست كالعادة . فمضوا  
 إليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة المعصر . فأبلغوه الرسالة . فلما  
 انتهى كلامهم . قال لهم . ما أراء جئتوني في غيرة من الناس فكلمتوني ؟  
 من ههنا من خيار الحي ؟ فأجابهم جماعة من 'معتين' . فقال ليأحد كل  
 واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى حنيس . ما أنتم إلا أمة . وحرّاؤم  
 حنيس . فلو أنه أراد أنتم من حنيس حتى لا يعدمه أباه . والله . فجلسهم  
 وأمر موسى بن عيسى في إتيان إلى باب المعصر . ففتح الباب وأخرجهم  
 كما هم . فمضى كل واحد . حنيس شريك . فمضى حنيس إلى أخيه . فمضى  
 المعصر . فمضى به إلى منزله . وقال لعلامه . اخرجي بثقتي إلى بغداد .  
 والله ما علينا هذا الأمر منهم . ولكن أكرهونا عليه . ولقد حسوا ما  
 فيه الإيعاز إرادته . ومضى نحو فطرة . فمضى إلى بغداد . وبلغ  
 الخبر . إلى موسى بن عيسى فركب في موكره وحقه وجعل يناديه الله

ويقول . يا أبا عبد الله قدّمت . انظر يا خواتك تحبسهم ! ادع أعوانى . فان نعم ، لأنهم مشوا لك في أمر لم يجز لهم المشى فيه ، ولست بينارح أو يردوا جميعاً إلى الحبس ولا معصيت إلى أمير المؤمنين المهدي فاستعصيه مما قلدي . فامر موسى ردهم جميعاً إلى الحبس وهو واقف و الله مكانه حتى جاءه السجّان فقال قد رجعوا جميعاً إلى الحبس ، فقال لأعوانه خذوا بلحام دانت به يدي إلى مجلس الحبس فقرأوا بين يديه حتى أدخل الله جد . وحس في مجلس القضاء . فقامت المرأة المتطلّمة فقال هذا خصمت وقد حصر . فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه . قبل كل أمر أنا قد حصرت . أولئك يخرجون من الحبس ، فقال شريث أمّا الآن فنعم . أخرجوهم من الحبس . فقال ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة ؟ قال صدقت . قال ردّ ما أخذت منها ونبي حائضاً سريعاً كما كن ، قال أفعل ذلك ككّه . قال لها أبق لك عليه دعوى ؟ قالت بيت الرحا الحارمى ومتعه ، قال موسى بن عيسى ويردّ ذلك ككّه . قال أبق لك عليه دعوى ؟ قالت لا . وبارك الله عليك وجزاك خيراً . قال موسى . فقامت من مجلسه ، فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه . وقال السلام عليك أيّها الأمير ، أنا أمر بشيء ؟ فقال أى شيء آخر . وضوح ، فقال له شريك ، أيّها الأمير ذلك الفعل حقّ الشرع . وهذا القول الآن حقّ الأدب . فقام الأمير وانصرف إلى منزله وهو يقول . من عظم أمر الله أدلّ الله له عظماء خلقه الله الفرد

٢٣٤ - وعن الحسن بن سهل قال : جلس للأموون ذات يوم للمصالح وذا هو برحان قد مثل بين يديه وفي يده رقعة فيها سطران . ثم سمى الله

لرحم الرحيم ، مظلمة من أمير المؤمنين أطال الله بصره . فقال أظلمة  
 مي ؟ قال أفا خائب بالخلافة سواك ؟ قال له وما خلاصتك هذه ؟ قال ثلاثون  
 ألف دينار . قال وما وجهها ؟ قال إن سعيد وكيف اشتري مي جوهرأ  
 بثلاثين ألف دينار وحمله الى منزلك ولم يوقر على المال ، قال فإذا اشتري  
 سعيد منك الجوهر تشكو الظلمة مي ؟ قال نعم إذا كانت الوكالة قد  
 صححت له منك . قال إن كلامك هذا يحتمل ثلاث جهات . أما أول ذلك  
 ففعل سعيد قد اشتري هذا الجوهر منك كما زعمت وحمله إليك وأخذ المال  
 من بيت المال ولم يوقر عليك أو لعنه قد ووره وأدعيب باطلا ، أو  
 شتراه لنفسه . أما في العاجل فلا يلزم منك حق ولا أعرف لك ظلمة ،  
 فقال الرجل إن الله جل وعز قد أهلك أوضاع جميع ، واختصك بنسب  
 جعلك أولى الخلق معه بالإحسان والاعتداف ، فانك منسب لرسول الله  
 صلى الله عليه وسلم واسترعاك على خلقه ، فهلا تحمل على كتاب الله جل  
 وعز وسنة ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة عمر بن الخطاب  
 رضي الله عنه في رسالته في أني موسى الأشعري وهي التي أخذتموها  
 صدور أحكامكم ووصية قضائكم إذ يقول : البيه على من ادعى واليمين  
 على من أنكر ؟ قال المأمون فأتى والله قد عرفت البيه فما يجب لك إلا  
 حدة . وأنت حفيظ لأنا صادق . إذ كنت لأعرف لك حقا يلزمي . قال  
 فإذا أدعوك الى الحاكم الذي نصبته لرعيته . قال نعم . بإعلام علي يحيى  
 ابن أكرم . فإذا هو قد مثل بين يديه ، فقال يا يحيى . قال لبيك يا أمير  
 المؤمنين . قال أفض يمتنا ، قال في حكم ووصية ؟ قال نعم . قال لا أعمل

قال ولم ؟ قال لان أمير المؤمنين لم يجعل داره محسباً قصائي . قال قد فعلت  
قال فأتني أبداً بالعامة أو لا ليصبح المجلس للقضاء . قال افعل . ففتح الباب  
وفعد في ناحية من الدار وأذن للعامة وتنادى للتنادى وأخذ الرافع ودعا  
بالنفس . ثم دعا الرجل المنتظم فقال له يحيى ما تقول ؟ قال أقول أن تدعو  
بمخصي أمير المؤمنين المأمور ، فتنادى التنادى قائداً المأمور قد خرج في رداء  
وقيص وسراويل قد أرسلها على عقيبه في نعل رفيق ومعه علام يحمل  
مصلي حتى وقف على يحيى وهو جالس . فقال له اجلس . فطرح المصلي ليقعد  
عبيه . فقال له يحيى . يا أمير المؤمنين لا تأخذ على خصمك شرف المجلس  
فطرح له مصلي آخر فجلس عليه ، وقال له يحيى ما تقول ؟ فقال لي على  
هذا ثلاثون ألف دينار . قال ومن هذا ؟ قال أمير المؤمنين المأمور بالله .  
قال له يحيى يا أمير المؤمنين قد سمعت ما يقول ، قال سلمه ما وجهها ؟ فأعاد  
حبر الوكيل . فقال المأمور ما أعرف له حقاً . فأقبل على الرجل فقال قد  
سمعت أنك بيّنة ؟ قال لا ، قال فما تريد . قال ما يوجه الحكيم لمن عدم  
البيّنة ، قال المأمور ويحك قد لججت في البين . قال يا أمير المؤمنين  
أتحلف ؟ قال إني والله ، ولا أؤطىء نفسي المشوة ( ركوب الأمر على  
غير بيان ) في إعطاء رجل ما لا يحب له طاماً ، فقال قل والله فاستحلته  
نموساً . ثم وثب يحيى عند فراخ المأمور من يمينه فقام على رجليه . فقال  
له المأمور ما أقامك ، فقال إني كنت في حق الله جل وعز حتى أخذته  
منك ، وليس الآن من حقتك أن أنصذر عليك . وقبض على الرجل لثلاث  
يخرج ، فقال المأمور ارفقوا به ثم قال يا علام احضري ما ادعى من

المال ، فلما أحضره ، قال خذ إليك ، والله ما كنت أحنف على خرة ثم أصبح لك فافسد ديني ودينلي والله يعلم ما دعوت إليك هذا المال إلا خوفاً من هذه الرعية لعلها ترى أني تدوئتك من وجه القدرة وأني منعت واجبك بالاستطالة عليك ، وإنها لتعلم الآن ما كنت أسمع لك بالخير وبالمال ، فقال يا أمير المؤمنين أفأحاط في المال حتى أصل إلى حيث من عليه ؟ قال إي والله ولو بالنفر . غزو إسبيجاب ، فأخرج الرجل مع المال وبذرق به (أخضر) إلى أن بلغ مأمنه . «س ١٥١» الحسن والساوي . البيهقي .

٢٣٥ . وهنا طريقة يصح إلحاقها بهذا الباب . نسي غيبها أدب العلم على الرتب والألقاب . فإن الوزير العالم يحجب برهيرة كان شغوفاً بالعلم وجمعه وجلوس لأربابه في زمن ولايته وفراصة الحديث والاستماع له ، وكان أبو محمد الأشتري من علماء المالكية قد طلبه الوزير من الشهيد نور الدين محمود بن زنكي ، فأرسل به وأكرمه الوزير غاية الإكرام . وكان يحضر مجلس علمه ويقرأ فيه « ابن شافع » فوقعت بينهما في مجلس مشادة نددت فيها كلمة من الوزير للأشتري بسبب أن الوزير ذكر في محاسنه حديث انفرد به أحمد بن حنبل ، فلادعى الأشتري أن مالكا رواه أيضا فرد عليه الحاضرون وأحضر الوزير كتب المفردات لأحمد فوجد فيها الحديث ، فبقى الأشتري على إنكاره مع هذا ، فقال له الوزير : هبسة أنت ، أما نسمع هؤلاء الأئمة يشهدون بأمراد أحمد . والكتب المنسقة كذلك وأنت تنازع ؟ وتهرق المجلس على هذا فلما كان المجلس الثاني . واجتمع الحلق لسماع الحديث : أخذ « ابن شافع » في القراءة ، فسمع الوزير وقال

كر الفقيه أبو محمد جرى في مسألة أمس على ما لا يليق به من العدول  
 عن الأدب والانحراف عن نهج النظر حتى قلت تلك الكلمة . وهأنذا  
 فليتلى لي كما قلت له . فنسيت بخير منك ، ولا أنا إلا كما حدثك : فضع  
 المجلس بالبكاء ، وارتفعت الأصوات بالدعاء والثناء . وأخذ الأشرى  
 يعتذر ويقول . أنا المذنب والأولى بالاعتذار من مولانا الوزير . وهو  
 يقول القصاص القصاص . فقال يوسف الدمشقي مدرس انصامية بامولانا  
 إذا أبي لقصاص فالمداء ، فقال الوزير له حكمه ، فقال الأشرى نعمك  
 على كبيرة فأى حجة لي ؟ فقال الوزير قد جعل الله لك الحكم عيسا  
 بما أجاتنا به إلى الافتيات عليك . فقال على بقية دين مند كنت بالشام  
 قال ابن الجوزي : إن الوزير قال ، يعطى مائة دينار لإبراء ذمته ، ومائة  
 دينار لإبراء ذمتي ، وعفا الله عنهم وعني ، وغفر لك ولي اهـ

ص ١٣ مقدمة الإيضاح عن معاني الصحاح

فانظر إلى هذا الأدب في رعاية الحق . يأتي الوزير العالم إلا انقصاص  
 إذ لا يرتفع في مجلس اعيان إلا أدب العلم ، ويأتي الشيخ العالم أن يطلبه رعاية  
 لسابق النعم ثم يشفر الحكم برضا الطرفين وتحقيق الطلبتين وينتهي  
 هذا المجلس بكلمة العزة للعلم إذ يقول الوزير : والله لقد كنت أسأل الله  
 تعالى الدنيا ، لأخدم بما يرزقنيه الله منها العلم وأهله

## عزتهم في أنفسهم

٢٣٦ - وفي « ص ٣٧ من المحزون » قال مقاتل بن سليمان : دخلت على حماد بن سلمة فإدا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس وفي يده مدحج يقرأ فيه . وجراب فيه علمه . ومطهرة يتوضأ منها . فبينما أنا جالس إذ دق الباب . فقال ياحبيبة اخرجي فانظري من هذا ؟ فمالت رسول محمد بن سليمان الى حماد بن سلمة . فأذن له فدخل . فقال : أما بعد فبسمك الله بما أصبح به أوليائه وأهل صاعته ، وقعت مسألة فأتنا سألت عنها والسلام . فقال ياحبيبة هدي لدواة . ثم قال لي اذهب الكتاب واكتب أما بعد و أنت صبيحك الله بما أصبح به أوليائه وأهل طاعته . إنا أدركنا العبد . وهم لا يأتون أحداً فإن وقعت لك مسألة فأتنا و سل ما بدا لك ، وإن تبتني فلا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح إلا نفسي والسلام . فبينما أنا جالس إذ دق الباب فقال ياحبيبة اخرجي فانظري من هذا ؟ قالت محمد بن سليمان . قال قولي له بدخل وحده . فدخل وجلس بين يديه ثم ابتدأ فقال . مالي إدا نظرت إليث امثلاث منك رعبا . قال حماد . حدثني ثابت البناني قال . سمعت أنسا يقول . سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء ، وإذا أراد أن يكفر الكنوز هاب من كل شيء . فقال ما تقول رحمك الله في رجل له ابنان وهو عن أحدهما أرضى فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي ماله ؟ فقال لا يفعل رحمك الله . فأني سمعت أنسا يقول سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا أراد الله أن يعذب عبداً من عباده في حياته وقفه لوصية جائرة » قال فمرض عليه مالا فلم يقبله حماد

٢٣٧ - ولما حج سليمان بن عبد الملك وعظه أبو حازم بما هو مشهور ، فقال له ارفع الينا حوائجك : قال قد رعتها لي من هو أقدر منك عليها : يا أعطاني منها يكنى وما منعتني منها رعتني ، يقول الله تعالى ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ فمن الذي يستطيع أن ينقص من كثير ما قسم الله أو يزيد في قليل ما قسم الله ؟ وبكى سليمان بكاء شديداً . فقال رجل من جلسائه أسأت الى أمير المؤمنين . فقال أبو حازم اسكت فإن الله تعالى أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتموه

٢٣٨ - ولما حج الرشيد تلقى العلماء حتى مضى إلى العصيل بن عياض ودخل عليه فوعظه بما وعظه ، فلما تم ليخرجه قال الرشيد له . أعليك دين ؟ قال نعم . دين لربى لم يحاسبني عنيه فالويل لى إن سألنى والويل لى إن ناقشنى والويل لى إن لم يلهمنى حجتى قال إنما أنا أعنى دين العباد قال إن دينى لم يأمرنى بهذا ؟ أمرنى أن أصدق وعده وأدبى أمره . فأعطاه ألف دينار فردّها وقال أنا أدلك على السجدة وتكافئى بمثل هذا . سلمك الله ووفقك . وصمت ولم يكلمه بعدها

٢٣٩ - وبهذه العزّة أجاب العالم الصريح ( المحدث أبو معاوية محمد بن حازم ) هارون الرشيد لما صبّ الماء على يديه وأعلمه بذلك بعد أن فرغ : إنا أكرمك العلم يا أمير المؤمنين

٢٤٠ - ودخل أبو عمرو بن العلاء على سليمان بن عليّ وهو عمّ



السفاح فسأله عن شيء فصدقه ولم يعجبه ما قاله ، فوجد أبو عمرو في نفسه وخرح وهو يقول :

أنفت من الدل عند الملو ك وإن أكرموني وإن فرّوا

٢٤١ - وبلغ من عزّة أحمد بن أبي دؤاد في نفسه أن كان واحد

الدولة - قال ابن خلكان ( ج ١ ص ٢٧ ) : كان الإخشيد يحدّ أبا دلف القاسم بن عيسى المعلى للمريّة والتشجاعة : فأحتال عليه حتى شهّد عليه بخنيه قتل ، فأخذه ببعض أسبائه ، فخلّس له وأحضره وأحضر السياف ليقتله . وبلغ ابن أبي دؤاد الخمر ، فركب في وفد مع من حضر من عدوّه . فدخل على الإخشيد وقد جرى بأبي دلف ليقتله . فوقف ثم قال : إنّي رسول أمير المؤمنين إليك وقد أمرك ألاّ تحدث في القاسم بن عيسى حديثاً حتى تسلمه إلى ثم التفت إلى العدول وقال : اشهدوا أنّي أدّيت الرسالة إليه عن أمير المؤمنين والقاسم حتى معافى ، فقالوا قد شهدنا وخرج . فلم يقدر الإخشيد عليه ، وسار ابن أبي دؤاد إلى المعتصم من وقته ، وقال يا أمير المؤمنين قد أدّيت عنك رسالة لم تقلها لي . ما أعتدّ بعمل خير منها . وإني لأرجو لك الحنة بها : ثمّ أخبره أخبر فصوّب رأيه ووجهه من أحضر القاسم فأعطاه : وذهب له وعفّ الإخشيد فيما عزم عليه

٢٤٢ - وصمت عزّة العزم بالعلماء حتى فرّوا أنّ حائب العلم كفه

لبست السلطان ، بل تجاوزوا هذه الرتبة ورفعوه فوقها : ففي ترجمة ابن السيّب أنّ عبد الملك بن مروان خطب ابنته لولده الوليد حين ولّاه

العهد ، فأبى أن يزوجه . قال أبو وداعة : كنت أجالس سعيد بن المسيب  
ففقده أياماً ، فلما جئت قال أبى كنت ؟ قلت توفيت أهلى فاشتعلت بها  
قال فهلاً أخبرتنا فشهدناها ؟ قال ثم أردت أن أقوم فقال هل أحدثت  
امرأة غيرها ؟ فقلت برحمتك الله ، ومن زوجى وما أملك إلا درهمين أو  
ثلاثة ؟ فقال ، إن أتا فعات تعمل ؟ قلت نعم ، فحمد الله تعالى وصلى على  
النبي وزوجنى على درهمين أو على ثلاثة ، قال ففقت وما أدرى ما أصنع  
من الفرح ، وصرت إلى منزلى وجعلت أفكر بمن آخذ وأستدين ،  
وصليت المغرب ، وكنت صائماً فقدمت عشائى لأفطر وكسر خبزاً وزيتاً  
وإذا بالباب يقرع ، ففقت من هذا ؟ فقال سعيد ، ففكرت فى كل إنسان  
اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، فإياه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين  
بيته والمسجد ، ففقت وخرجت وإذا بسعيد بن المسيب ، وطلعت أنه  
قد بدله ، ففقت يا أبا محمد ألا أرسلت إلى قاتيتك قال ، لا . أنت أحق  
أن تزار . قلت فى تأمرنى ؟ قال . رأيته رجلاً عزباً قد تزوجت  
فكرهت أن تبيت الليلة وحده ، وهذه امرأتك . فإذا هى قائمة خلفه فى  
طوله . ثم : فعيا فى الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوتعت  
من الباب ثم صعدت إلى السطح وناديت الجيران ، فجاءونى وقالوا ما شأنك ؟  
قلت زوجنى سعيد بن المسيب ابنته ، وقد جاء بها على غفلة وهما فى  
الدار ، فزلا إليها ، وبلغ أئى فجاعت . وقالت وجهى من وجهك حرام  
إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام . فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها . فإذا  
هى من أجل الناس . وأحفظهم لكتاب الله تعالى ، وعلمهم بسنة رسول

الله ، وأعرسهم بحق الزوج . قال فكنت شهر الأيائيني ولا آتية ثم أتيت  
بعد شهر وهو في حقيقته فسلمت عليه فرد علي ولم يكلمني حتى انقضت من  
في المسجد . فما لم يبق غيري قال ، ما حال ذلك إلا بان ؟ قلت على ما يحب  
الصديق ويكره العدو . اهـ

٢٤٣ - وكان لعلاء الدين السمرقندي صاحب تحفة الفقهاء ابنته  
«طامة» الفقيهة المأمنة ، حفظت التحفة لأبيها . وطلبها جماعة من ملوك  
الروم . فلما صنف أبو بكر الكسافي للنقيب (ملك العلماء) كتابه «البدائع»  
وهو شرح التحفة ، عرضنه على شيخه وهو أبوها : فازداد به فرحاً ،  
وزوجه ابنته . وجعل مهرها منه ذلك . فقالوا في عصره ( شرح تحفته  
وتزوج ابنته ) قال صاحب (الموائد البهية ص ١٥٨) في ترجمة السمرقندي  
(محمد بن أحمد) بن أبي أحمد أبو بكر علاء الدين السمرقندي صاحب  
تحفة الفقهاء أستاذ صاحب البدائع . شيخ كبير فاضل حليل القدر  
تهقه على أبي المعين ميمون الكجوري وعلى صدر الإسلام أبي اليسر  
اليزدوي . وكانت ابنته طامة الفقيهة المأمنة زوجة علاء الدين أبي بكر  
صاحب البدائع . وكانت تهقبت على أبيها وحفظت تحفته ، وكان زوجها  
يخطئ ، وتردّه إلى الصواب . وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها  
وخط أبيها . فلما تزوجت بصاحب البدائع كانت تخرج وعليها خطها  
وخط أبيها وخط زوجها

٢٤٤ - وقيل أخذ عثمان بن عفان رضي الله عنه بمائة دينار إلى  
أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، وقال لتلامه : إن قبل ذلك فأنت حرّ ،

حملها إليه فلم يقبل . فقال اقبل ففيه عتي . فقال أبو ذر . إن كان فيه عتقك ففيه رقي .

« المخزون ص ٦٦ »

٢٤٥ قال وكيع : قال لي أبو حنيفة ما ملكت أكثر من أربعة آلاف منذ أربعين سنة إلا أخرجته « أي الأكثر » وإني أمسك الأربعة لقول علي كرم الله وجهه ، أربعة آلاف ودونها ناقة ؟ ولولا أني أخاف أن أحتاج إلى هؤلاء ما أمسكت منها درهما واحدا

٢٤٦ -- وقد تواتر عن أبي حنيفة رحمة الله عليه أنه كان يتعجر في الخبز مسعوداً ماهر فيه . وله دكان في الكوفة وشركاء به يافرون له في شره ذلك ، ويبيعه مستضيئاً بنفسه لا يميل إلى صبح . ومن ثمة قال الحسن بن زياد . والله ما قبل لأحد منهم أي الخلاء والأمراء حائزة ولا هدية ، ووصل إليه من المنصور ثلاثون ألف درهم في دفعات فقال له : يا أمير المؤمنين إني سفد غريب وعندي ودائع الناس . وليس لها عندي موضع . فأجبتها في بيت المال ، فأجابني . فلم مات أخرجت ودائع الناس من بيت المال فأروها . فقال المنصور . خذ عنا أبو حنيفة « ح ١ »

٢٤٧ . لما حج الرشيد . رغب إلى أبي يوسف القاضي وهو بالكوفة أن يأتيه المحدثون فيحدثوه . فتحلف عبد الله بن إدريس وعيسى بن يونس فركب الأمير والمأمون إلى ابن إدريس فحدثهما بمائة حديث . فقال المأمون يا عم أتأذن لي أن أعيدهما من حفظي . قال اعمل . فأعادها . فعجب من حصه ثم صار إلى عيسى بن يونس فأمر المأمون له بعشرة آلاف فأتى أن يقبها وقال : ولا شربة ماء .

.. مرة الخط ،

٢٤٨ أراد المكتني أن يقف وفقاً يجتمع عليه أقاويل العلماء ،  
فأحضر ابن جرير فأملى عليهم كتاباً لذلك : فأخرجت له جائزة . فلم  
يقبلها . فقبل له . فلا بد من فضله حاجة . قال أسأل أمير المؤمنين أن  
يمنع السؤال يوم الجمعة ، فعلى ذلك

٢٤٩ والتس منه الوزير . فكتب له في الفقه كتاب « الخفيف »  
فوجه له ألف دينار فردّها « تذكرة »

٢٥٠ - لما ورد أبو نصر الفارابي على سيف الدولة وكان علمه جمع  
الفصلاء في جميع المعارف . أدخل عليه وهو برزى الأثران ، وكان ذلك  
رثية دأب . فوفى . فقال له سيف الدولة أقعد . فقال حيث أنا أم حيث  
أنت ؟ فقال حيث أنت ، فتعطى رقاب الناس حتى انتهى إلى مسند سيف  
الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه . وكز على رأس سيف الدولة بماليك  
وله معهم اسان خاص يسارهم به قل أن يعرفه أحد ، فقال لهم بذلك  
اللسان إن هذا الشيخ قد أساء الأدب . وإن سألته عن شيء إن لم يوف  
بها فأحرفوا به . فقال له أبو نصر بذلك اللسان . أيها الأمير اصبر . فإن  
الأمور تعوافتها . فعجب سيف الدولة منه ، وقال له اتحنس هذا اللسان ؟  
فقال نعم أحسن أكثر من سمعت لساناً ، فعرض عليه ثم أخذ يتكلم  
مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن ، فلم يزل كلامه يعلو وتلاهم  
سمع حتى صمت الكل وبقى يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون ما يقوله  
فحضرهم سيف الدولة وخلا به ، فقال له هل لك في أن تأكل ؟ فقال لا ،  
فقال هل تشرب ؟ فقال لا . فقال فهل تسمع ؟ فقال نعم ، فأمر سيف

الدولة بأحضار القيان ، فحضر كل ما هر في هذه الصناعة بأنواع الملاهي فلم يحرك أحد منهم آله إلا عابه أبو نصر وقال أخطأت ، فقال له سيف الدولة وهل تحسن في هذه الصناعة شيئاً ؟ فقال نعم ، ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها ، وأخرج منها عيذاناً وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس ، ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب بها فضحك كل من كان في المجلس . ثم فكها وعبر تركيبها وضرب بها ضرباً آخر فنام كل من كان في المجلس حتى البواب فتركهم نياماً وأخرج — فترى القارابي من عزته ثم ير مكانه إلا على مجلس الأمير

## عزة العلم

٢٥٠ --- عزة العلم أو العزة بالعلم هي المرتبة الثانية من مراتب الكمال البشري ، والمرتبة الأولى هي مرتبة النبوة وهذه لا تنال ولا تدرك ، وإنما هي اصطفاة إلهي وهبة ربانية يختص بها من يشاء من عباده بعد أن يهيئه لتلقيها ويمده بآلاتها ليكون رسوله ومهبط وحيه ، والأسوة في خلقه

أما العلم فعزته مدركه ، وغايته في منال الطلاب وصوب السباق للسباق فمنهم من وصل ومنهم من قارب ومنهم من استأقظ في الجولة أو خار عزمه في المضمار

والعلم هو القوة التي ألقاها الله في الكون وسخر بها الكون ، وخلقها ليحوزها الإنسان بعد أن سواه بحواسه لتنفذ منها هذه القوة إلى عقله

فيتصرف بها وبمرانه يصرفها - وعلى مقادير المواهب الخلقية والرياضة العملية تكون سعة احوذ وسلطة التصرف بهذه القوة حتى أصبح الإنسان بها أعز من في الكون على ما في الكون . وحتى قال الحق تعالى خلق لكم في الأرض جميعاً فكن هذا الكوكب الأرضي محوقاً لابن آدم يطعمه ويطبعه ويسيره بهذه القوة التي امتن الله بها على الإنسان إذ خلقه لينفذ كما خلقها لتفعله وترفعه فقال جل من قائل هو والله أخرجه من بطون أممكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والآفئدة لعلكم تشكرون ثم غاب الحق تعالى بين الإنسان المستفيد والإنسان المتبذّر فقال : فمن من يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب . وفي حصره التذكّر في أولى الألباب إشارة صريحة إلى قشور العلوم وإلى الذين يتعلّقون بهذه القشور أنها لا تغني عن الألباب ولا تقسم من مكانة العزة العلمية التي يلقي التصدّدور عليها أنظارهم على هذا الكون فنارات احوط والعزة ونظرات الاستكناه والخبرة . فهم وإن اتقى التساوى بينهم وبين من لا يعلمون . هم دون العزة ومزيتها فهي قد احتضمت بولي الألباب أو احتقدوا بها

العلم الذي عبره الخميد . وقطع الصخر وثقب الألباس . طار بالإنسان في جو السماء . وعاص به تحت ما يمتعت الماء . وثقل أمواته وصوره بين نقله هو ونقله إلى بلد لم يكن يبلغه إلا بشقّ الألفس العبد الذي حفظ الروح والجسد وعمل على يقائهما . وبين السبل لسعادتهما . هو صاحب تلك العزة التي لها أمثال وظواهر ووقائع وسانيد ومشاهد هيبت أن نحفظها

وزورها أو نحوها ونكتب فيها . فهي تعجز الأسفار وتضيق بها الدفاتر  
ولكننا نورد منها أمثلة مخطوفة تترامى لك فيما يتلو من أبواب هذا  
الكتاب

٢٥٢ — قال ابن القيم إن سيدنا سليمان بن داود لما توعد الهدهد بأن  
يعدّه عذاباً شديداً أو يدبّعه إتماماً منه بالعذ . بل أقدم عليه في خطابه  
بقوله : أحطت بما تم تعطيه خيراً ، وهذا خطاب إنما حرّاه عليه لعلم  
وإلا فلهدهد مع ضعفه لا يتمكن من خطابه سليمان على قوّته بمثل  
هذا الخطاب . لو لاسطان العبد

٢٥٣ قال المعمر بن شميل من أراد أن يشرف في الدنيا والآخرة  
فليتعمّق العبد . وكفى بالمرء سعادة أن يوثق به في دين الله ويكون بين الله  
و بين عبده

٢٥٤ وقال سفيان بن عيينة . أوقع للناس منزلة عند الله ، من كان  
من الله وبين عبده . وهم الأنبياء والعلماء

٢٥٥ وقال سهل بن عبد الله : من أراد أن يدر إلى مجلس الأنبياء  
فينتدب إلى مجلس العلماء . يحىء الرجل فيقول يا فلان إيش تقول في رجل  
حلف على امرأته كذا وكذا فيقول طلق امرأته . ويحىء آخر فيقول  
حلفت بكذا وكذا فيقول ليس بحث بهذا الهون . وليس هذا إلا تنبيء أو عالم  
٢٥٦ — عكرمة بن عبد الله التميمي أحد فقهاء مكة لدى قال له

ابن عباس ( يطلع فاعت الناس ) وسئل سعيد بن جبير هل نعى أحداً  
أعبر منك ؟ قال عكرمة ، عكرمة هذا الذي أعزّه الله هذا العزّ ، كن



عبدًا مملوكًا لعبد الله بن عباس، مات مولاه وهو على الرق ولم يعتقه فباعه  
 وده على بن عبد الله بن عباس من حالي بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف  
 دينار فأبى عكرمة مولاه عنيًا، وقال له : ما حير لك ، بعث علم أبيك  
 بأربعة آلاف دينار ! فاستقاله . فأقله ، فأعتقه

٢٥٧ - وقال إبراهيم بن عمرو بن كيسان : أذكرهم في زمان بني مروان  
 يأمرون في الخرج صائحًا يعيخ . لا يفتي الناس إلا عطلة بن أبي رباح  
 وعطاء هذا . كن عبدًا لامرأة من مكة ، أسود . أعور ، أفسس ،  
 أشم . أعرج ثم عمى . مغفل الشعر . كان أهله باقلًا . قال سليمان بن  
 ربيعة دخلت المسجد الحرام والناس يجمعون على رجل ، فاطلمت فإذا  
 عطاء بن أبي رباح جالس كأنه غراب أسود اه

٢٥٨ - هد الغراب الأسود حكى صاحب (مفتاح دار السعادة ص  
 ١٧٣) أن سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين جاءه هو وولدها فجلسوا إليه  
 وهو يصلي ، فصاحني اهتل إليهم وما زالوا يسألونه عن مناسك الحج  
 وقد حوّل قفاه إليهم ثم قال سليمان لأبيه . فوما . فقما . وقال يابى  
 لا تنيا في طلب العلم فأبى لا أنسى ذلكما بين يدي هذا العبد الأسود

٢٥٩ - أبو العالية الزبيعي التميمي المقرئ . لدى قال فيه أبو بكر  
 ابن أبي داود : ليس أحد أعيد بالقرآن بعد الصحابة من أبي العالية ثم  
 سعيد بن جبلة كل مولى لامرأة من بني رباح « ص ٥٨ » مرة الخط «  
 قال أبو العالية هذا : كنت آتي ابن عباس وهو على سريرته وحوله قریش  
 فيأخذ بيدي فيجلسني معه على السرير . فتصم في قریش ، فظن لهم ابن

عباس فقال : كذا هذا العلم ، يزيد الشريف شرقا . ويحس المملوك على  
الأسرة [ ١٧٣ = ١٧٤ : فتح دار الحكمة ]

٢٦٠ — وكان محمد بن عبد الرحمن الأوقصر . عنه داخل في بدنه .  
وكان متكبا خارجيا كأنهما زجان . فقالت أمه يابى لا تكون في علم  
قوم إلا كنت المذموم منه . المدخور به : فعليت لطلب العلم . فإنه  
يرفعك . فولى قضاء مكة عشرين سنة

٢٦١ — وعمر بن عبيد . ذاك الذي أجمع الناس على إحلاله ورفعته  
عزة العلم . مما تنقطع دونه الأعناق . أبوه كان يحلف أصحاب الشرط  
بالبصرة ويظهر أنه كان مغموماً فكان الناس إذا رأوا عمر أجمع أيه قالوا  
( هذا خير الناس بن شر الناس ) . وهنا تثنى كرامة الأبوة لعزة العلم .  
فإن عسداً كان إذا سمع به . يقول صدقتم : هذا إبراهيم وأنا آذراه . وإني  
ألفت النظر إلى سمو الوسط الأسلاف في ذلك أثر من . فهو لم يشن الابن  
بالأب . ولا أدحر أسر الوالد في قيمة الابن . وهذا هو التشجيع الذي  
يقدمه المجتمع الراقى للفرد المجتهد

٢٦٢ — وبمناسبة هذا سن عن كتاب « الأمان » مذكوره عن تايبة  
ابو سبيق في السمين أجمعين « اسحق بن إبراهيم الموصلي » أن أباه  
إبراهيم الموصلي . وشيخه « ابن جامع » كان يضطران إلى الأحدة مع  
ماهما من اسبق في هذا الصغار . ولكن اسحق بما أوتيته من حذراع وإبداع  
عزده عنه حتى حذر الأب العظيم والشيخ الكريم إلى الأخذ عنه  
[ ٢٠٠ = ٢٠١ : انظر ]

٢٦٣ — حدثنا . أبي بن حماد سمعت الليث يقول : حججت أنا

وابن طيعة فرأيت نافع مولى ابن عمر ، فدخلت معه إلى دكان علاف  
 فقلت : هرت بنا ابن طيعة فقال ، من هذا ، قلت مولى لنا ، فلما رجعنا إلى  
 مصر جعلت أحدث عن نافع . فأفكر ذلك ابن طيعة ، وقال أين لقيته ،  
 قلت أمارأيت العبد الذي في دكان العلاف ، هو ذلك . وهذا الإمام أبيه  
 يختلف إلى نافع العبد مولى ابن عمر . يختلف إليه في دكان علاف لينفس  
 إذا عاد إلى مصر فحدث به رواء عن نافع . وابن طيعة القاضي المحدث  
 الكبير يرى هذه العزّة يسألها الإمام أبيه فيبته ويسأله من أين قالها ،  
 وكان معاً ، فيدله على تلك الواقعة التي حدثت لها ووردى فيها الإمام أبيه  
 عن نافع بأنه ( مولى لنا ) وكلمة مولى كلمة متاحة تنسج لصدق الإمام  
 وهجه للاعتراف بعلم نافع وباسمه الذي يرون في بلاد الاسلام ثم يلاقى في  
 دكان علاف حتى ليسر به من يراه ولا يعرفه

٢٦٤ - القاضي ابن عبد الوهاب الفقيه الأديب الذي قال فيه ابن  
 بسام . إنه كان بقية الناس ونسان أصحاب القياس ، لم يجد رعيين يعمد  
 لياً كماها في اليوم فحارها لاعتن قلبى وودعها وهو يقول .

وكانت كخيل كنت أهوى دنوّه وأخلاقه تنأى به وتخالف  
 حدث أنه يوم فصل من بغداد أن ودّعه أكارها . وخرج لتشييعه  
 أصحاب المحابر والأفلام وطوائف كثيرة من الأنام ، فاعتذر إليهم وهو  
 راحل ، بأنه لو وجد الرغيفين كل عداة وعشيّة ماعدل عن بلدهم لبلوع منية  
 وورد مصر فحل نواءها وملا أرضها وسماءها وتناهت إليه الغرائث فأنالت  
 في يديه الرغائب ٣٨٣ ك - فهذا العالم الذي لا يجد رغيفين ١ وجد عزّة العالم

تحققه وتحمل له أعظم عسره يشيعونه من غير أن يؤثر سلطان القمر فيه  
يجب لمزته — ولا بأس أن نستطرد في قصة الدنيا مع هذا العالم فإنه لما  
ورد مصر وأقبلت عليه الدنيا مات لأول ما وصلها، فزعموا أنه قال وهو  
يتقلب ( لا إله إلا الله إذا عشنا متنا )

٢٦٥ — وكل الامام مالك اذا أراد أن يحدث، نوصاً، وجلس على  
صدر فراشه، وسرح لحيته، وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة، ثم حدث.  
ف قيل له في ذلك، فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ولا أحدث به إلا متمكناً على طهارة، وكان يكره أن يحدث على  
الطريق، أو قائماً، أو مستعجلاً. ويقول، أحب أن أنفهم ما أحدث به  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان لا يركب في المدينة مع ضيعه  
وكبر سنه، ويقول. لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله صلى الله عليه  
وسلم مدفونة

٢٦٥ — قال أحمد بن اسحاق التستري: دخل أحمد بن أبي دؤد على  
الوائق بالله. فقال له الواثق يا أبا عبد الله: إني حنثت في يمين قد كفارتها؟  
فقال مائة ألف دينار، فقال أبر الريات، والله ما سمعنا بهذا في الكفارات،  
نما قال الله جل وعز وتلا الآية في كفارة الأيمان: فقال أحمد تلك كفارة مثله  
في بدميته وجلالة قدره أو مثل آياته، إنما تكون كفارة اليمين على قدر  
جلال الله في قلب الخائف بها، ولا نعلم أحداً الله جل وعز في قلبه أجل  
من أمير المؤمنين. فقال الواثق، تحمل إلى أبي عبد الله يتصدق بها. فانظر  
إلى عزة العلم وكيف يفنى بها العالم العزيز لمستفتيه العظيم

٢٦٧ - ولما دخل «على الرضا» نيسابور وكافى تاريخها وشق سوقها  
وعليه مظنة لا يرى من ورأسها، تعرض له الخافض، أبو زرعة الرازي، ومحمد  
ابن أسلم الطوسي ومعهما من طلبية العرب والحديث ما لا يحصى، فتضرعاً إليه  
أن يريهم وجهه ويروى لهم حديثاً عن آباءه، فاستوقف البغلة وأمر غلامه  
بكشف المظلة وأقر عيون تلك الخلائق برؤيه طلعت الماركة، فكانت له  
ذؤابتان مدليتان على عاتقه، والناس بين صارخ وباك ومتعرج في التراب  
ومقبل لحافر بغتته. فصاحت العلماء: معاشر الناس أنصتوا. وأنصتوا،  
واستبلى منه الخافض المذكوران، فقال: حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه  
جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين  
عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال: حدثني جيبتي وقرّة عيني  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: حدثني جبريل قال: سمعت رب العزة  
يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن  
من عذابي. ثم أرخى الستر وسار. فعدا أهل المحابر والدوى الدين كانوا  
يكتسبون فأثافوا على عشرين ألفاً، وفي روايه أن الحديث المروي، إلايمان  
معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، ولعلمها وافقتان

» ٢٨٠ - الصواعق المبرقة »

\*\*\*

٢٦٨ - وهذا الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة الذي طلب العلم  
مطلبته الوزارة، طلق يباهى بعزة العلم. ولا يرى «صا» يستحقها فكان  
يقول وهو وزير ( ثلث يوماً إلى دجلة وليس معي رعييف أعبر به )  
» ٢٨٠ - قصة الأصاح من سائر الأصاح »

٢٦٩ واليك قصة أخرى يفتقها قاضي القضاة في زمن الرشيد  
 كيف كان فقيراً فطلب العلم فأجسه العجز مع الرشيد وأكل على مائدته  
 الزاه نزع بدهن الفستق ، قال علي بن الجعد : أخبرني أبو يوسف ( أبو  
 يوسف أول من دعى بقاضي القضاة في الاسلام ) قال : نوى أبي ابراهيم بن  
 حبيب وخفني صغيراً في حبر أمي ، فأسلمتني إلى قصار أخدمه ، فكاتب  
 أدب القصار وأمرني إلى حنيفة أبي حنيفة فأجس . سمع فكانت أمي  
 تنجي ، حالي إلى الحنيفة فتأخذ بيدي وتذهب بي إلى لقصار . وكان ( أبو  
 حنيفة . يعني في لما يرى من حضوري وحرصى على التعلم . فلما كثر ذلك  
 على أمي وطال عليها هربي ، قالت لأبي حنيفة ما هذا الصبي فساد غيرك ،  
 هذا صبي يتبر لاشي ، وإنما طعمه من مغزى وآمل أن يكسب دافعا  
 يمود به على نفسه . فقال لها أبو حنيفة : مررتى بارعته . هو ذا يتعب  
 أكل الفالودج بدهن الفستق . ونصرفت عنه وقالت له : أنت شيخ قد  
 حرفت وذهب عقلك . ثم لزمته فتغننى الله بالعلم ورفعتى حتى تقلبت  
 القضاء وكنت أجالس الرشيد وأكل معه على مائدته ، فلما كان في بعض  
 الأيام قدم لي هارون فالودجة . فقال لي هارون يا يعقوب كل منه فليس  
 كل يوم يعمل لنا منه . فقلت : وما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال هذه  
 فالودجة بدهن الفستق ، فضحكمت . فقال لي مم ضحكك ؟ فقلت خيراً  
 أبق الله أمير المؤمنين قال : لتخبرني . وألح علي . فخبرته بالقصة من  
 أولها إلى آخرها ، فمعب من ذلك وقال لعمرى أن العلم ليرفع وينفع ديناً

ودنيا وترحم على أئى خليفة وقال : كائن ينظر بعين عقله مالا يراه  
بعين رأسه

٧٠ وهذا السن من السنة العظمى يخاطب الخليفة : صدر القاضى  
أبو يوسف كتابه فى إخراج بهذه الكلمة :

قال : أطل الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له العز فى تمام من النعمة. ودوام  
من الكرامة . وجعل ما أنعم به عليه موصولا بنعم الآخرة الذى لا يفد  
ولا يزول . ومرافقة النبي صلى الله عليه وسلم . إن أمير المؤمنين أيده الله  
تعالى سأل أن أصبح له كتابا جامعاً يمس به فى جباية الخراج والعشور  
والصدقات والجرائى ( جمع حالية وهى الجباية ) وغير ذلك مما يجب عليه  
لغيره والعمل به ، وإنما أراد بذلك دفع الظلم عن رعيته والعلاج لأمرهم  
وفى الله تعالى أمير المؤمنين وسدده وأعان على ما نولى من ذلك وسلمه  
مما يخاف ويحذر . وطلب أن أبين له ما سألنى عنه مما يريد العمل به وأفسره  
وأشرحه وقد حضرت ذلك وشرحته . يا أمير المؤمنين إن الله وله الحمد .  
قد قبل لك أمراً عظيماً ، نواه أعظم الثواب وعقابه أشد العقاب . قبلك أمر  
هذه الأمة فأصبحت وأميت وأنت تبني خلق كثير قد استرعاهم الله  
وأنعمت عليهم واشتلاك بهم ولأنك أمرهم . وليس يلمت النبيان إذا أسس  
على غير التقوى أن يأتبه الله من القواعد فيهدمه على من شاء وأعان عليه ،  
فلا تضيعن ما فلك الله من أمر هذه الأمة والرعية فإن القوة فى العمل  
بإذن الله ، لا تؤخر عن اليوم إلى غد فإنك إذا فعلت ذلك أضعت . إن  
الأجل دون الأمل فبادر الأجل بالعمل فإنه لا عمل بعد الأجل . إن الرعاة

مؤذون إلى ربهم ما يؤدى الراعى إلى ربه ، فأقم الحق فيما ولأك الله وفلك  
ولو ساعة من نهار : فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدي به  
رعيته ولا ترغ فترغ رعيتك : وإليك والأمر بالهوى والأخذ بالفض  
وإذا نظرت إلى أمرين أحدهما للآخرة والآخر للدنيا فاحترأمر الآخرة  
على أمر الدنيا فإن الآخرة تبقى والدنيا تضي . وكن من حشية الله على حذر  
واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد ولا تحب في الله  
لومة لأثم ، واحذر فإن الحذر بالقلب وليس باللسان . وثق الله فإنما التقوى  
بالثوق ومن يثق الله بقره ، واعمل لأجل مفضوض وسبيل مسلك وطريق  
مأخوذ وعمل محفوظ ومتهل مورد ، فإن ذلك المورد الحق والموقف الأعظم  
الذى تطير فيه القلوب وتقطع فيه الحجج ثمرة ملك قهرهم حروقه وخلق  
له داحرون من يديه ينتظرون قصاصه ويخافون عقوبته . وكأن ذلك قد  
كان . فكفى بالحسرة والندامة يومئذ في ذلك الموقف العظيم لمن عم ولم  
يعمل . يوم تزل فيه الأقدام وتتفرق فيه الألوان ويطول فيه القيام ويشته فيه  
الحساب ، يقول الله تبارك وتعالى في كتابه ﴿ وإن يوما عند ربك كألف  
سنة مما تعدون ﴾ وقال تعالى ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ﴾ وقال  
تعالى ﴿ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ﴾ وقال تعالى ﴿ كأنهم يوم يرون  
ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ﴾ وقال ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا  
إلا عشية أو ضحاها ﴾ فبها من عثرة لا تقال ، وبها من ندامة لا تنفع . إنه  
هو اختلاف الليل والنهار يلبان كل جديد ويقرب كل بعيد ويأتين  
بكل موعود . ويجزى الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب



فإن الله . فإن البقاء قليل والخطب خطير والدنيا هالك وهالك من فيها  
والآخرة هي ناز القرار ، فلا تنق الله غداً وأنت سالك السبيل الممتدين ، فإن  
دين يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم . وقد حذر ربك الله  
فاحذر ، فإنك لم تخلق عبثاً ولن تترك سدى ، وإن الله ساتك عما أنت فيه ومما  
عملت به فانظر ما الجواب ، واعلم أنه لن نزول غداً قدما عبدين يلقى الله  
تبارك وتعالى إلا من بعد السألة . فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا نزول قدما  
عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ، عن علمه ما عمل فيه ، وعن عمره فم أفناه ،  
وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقته ، وعن جسده فم أبلاه ، فأعند يا أمير  
المؤمنين للسألة حواشيها ، فإن ما عملت فأنب هو عليك غدا يقر . ، فأذكر  
كشف فباعث فيما بينك وبين الله في جمع الأَشهاد ، وإني أوصيك يا أمير  
المؤمنين بحفظ ما استحفطك الله ورعاية ما استرعك الله ، وأن لا تنظر في  
ذلك إلا إليه وله ، فإنك إن لا تفعل تنوعم عليك سهولة الهدى وتعمى في  
عينك وتعمى رسومه ويضيق عليك رحمه وتسكر منه ما تعرف وتعرف  
منه ما تنكر . نخاصم نفسك خصومة من يريد الفالج لها لا عليها . فإن  
الراعي المصبع يضمن ما هلك على يديه مما لو شاء رده عن ما كن الهلكة  
بأذن الله وأورده أما كن الحياة والتجاة . فإذا ترك ذلك أضاعه وإن تشاغل  
بغيره كانت الهلكة عليه أسرع وبه أضمر ، وإذا أضلح كان أسعد من هنالك  
بذلك ووقاه الله أضلح ما وفى له . فاحذر أن تضيع رعيته فيستوفى  
ربها حتماً منك ، ويضيعك بما أضعت أجرك . وإنما يدعى السنين قبل أن  
ينهدم ، وإنما لك من عملك ما عملت فيمن ولاك الله أمره ، وعليك ما ضيعت

منه فلا نفس القيسم يأمر من ولاك الله أمره فليست تُنسى، ولا تغفل عنهم  
وعما يصلحهم فليس يُغفل عنك، ولا يسمع خطك من هذه الديار في هذه  
الأيام والليالي كثرة تحريك لسانك في نفسك بذكر الله تسبيحا وتهليلا  
وتحميدا والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ورمم الهدى  
صلى الله عليه وسلم، وإن الله بمنه ورحمته وعونه جعل ولاية الأمر خفاء  
في أرضه وجعل لهم نوراً يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور فيما  
بينهم وبين ما اشتبه من الحقوق عليهم . وإضاءة نور ولاية الأمر إقامة  
الحدود ورد الحقوق إلى أهلها بالثبوت والأمر بالبين . وإحياء السنن التي  
مسها القوم الصالحون أعظم موقعا، فإن إحياء السنن من الخير الذي يحيا  
ولا يموت وجور الراعي هلاك للرعية، واستماتته لغير أهل الثقة والخير  
هلاك للمعامة . فاستتم ما أنك الله يا أمير المؤمنين من النعم بحسن ما ورثها  
والتمس الزيادة فيها بالشكر عايتها، فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه  
العزیز : لئن شكرتم لأزيدنكم . وإن كفرتم إن عذابى لشديد . وليس  
أحب إلى الله من الإصلاح، ولا أبغض إليه من الفساد . والعمل بالمعصى  
كفر النعم . وقل من كفر من قوم قط النعمة ثم لم يفرعو إلى لتوبه إلا  
صلبوا عزم وسلط الله عليهم عدوهم، وإنى أسأل الله يا أمير المؤمنين الذى  
من عبث بعرفته فيما أولاك أن لا يكلمك فى شيء من أمرك إلى نفسك  
وأن يتولى منك ما تولى من أوليائه وأحبابه طاه ونى ذلك والمرعوب إليه  
فيه . وقد كتبت لك ما أمرت به وشرحت لك دينته . فتفقهه وتدبره وردد  
قراءته حتى تحفظه فإنى قد اجتهدت لك فى ذلك، ولم آلك وللمسلمين نصحا

ابتغاء وجه الله وثوابه وخوف عقابه ، واني لأرجو إن عملت بما فيه من  
البيان أن يوفق الله لك خراجك من غير ظلم مسلم ولا معاهد ، وبصلاح لك  
« عيتك » فإن صلاحهم بإقامة الحدود عليهم ورفع الظلم عنهم ، وبالتظلم  
فيما اشتبه من الحقوق عليهم ، وكتبت لك حديث حسنة فيها ترغيب  
وتحفيز على مسائلت عنه مما تريد العمل به إن شاء الله . فوقتك الله لما  
يرضيه عنك وأصلح بك وعلى يدك

٢٧١ — أقول : سمع هذه « التصديرة » صديقنا الأستاذ عبدالرحمن  
جميعي ، والكتاب مائل للطبع ، فاستعظم أن يوحه مثل هذا الكلام  
للرشيد ، فابتدعه صديقنا القاضي الشيخ محمود عرنوس وأحضر كتاب  
« المكاهة » لأحمد بن يوسف أحد كتاب الدولة الخوارزمية وفيه يقص  
حديث تمكن أبي يوسف من الرشيد : وصيبه ما كان قد تم به « الهادي »  
من خلعه والمهد إلى ابنه فتناء القاضي ، وكان « الهادي » أبوم أرمه له ،  
ثم سعى بالرشيد إليه فتنى الوشاية عنه وضمن ولاء وطاعته له ، وكان  
الرشيد أقام « مسروراً » لتجسس على الهادي لما قام بنفسه من الخوف  
منه ، فلما أفضت الخلافة للرشيد أنبأ أبا يوسف بما حصل . فعجب كيف  
يلغى ولم يكن معهما ثالث ؟ وقال الرشيد له في ذلك ( لو جاز لي إدخالك  
في نسي ، ومشاركك في الخلافة المفضاة الي ، لكنت حقيقاً به الخ  
ص ) فانظر إلى عزة أمانة العلماء إذ حافظ أبو يوسف في غيبة الرشيد  
عليه الله فكنه الله بها ، هذا التمكن ونوّه المرّ كله

## بالتعليم أرسلت

٢٧٢ - ولقد سجل هذه العزة للعلم سيد المعلمين ومعلم الاميين بقوله عليه السلام « بالتعليم أرسلت » وهي الكلمة التي وضعها تاجا مؤلفاً على دوس العلماء والمدرسين ، فقد روى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال خرج رسول الله ﷺ فاذا في المسجد مجلسان ، مجلس يفقهون ، ومجلس يدعون الله تعالى ويسألونه ، فقال كلا المجلسين الى غير ، أما هؤلاء فيدعون الله ، وأما هؤلاء فيستعلمون ويفقهون الجاهل ، هؤلاء أفضل ، بالتعليم أرسلت ، ثم قدمهم . . . »

٢٧٣ - وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( بلغوا عني ولو آية ) قال ابن القيم : لو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصول مباحة صلى الله عليه وسلم لكفى به فضلاً . ومعلوم أنه لا شيء أحب إليه من الاتصال الهدى إلى جميع الأمة ، فالتبليغ عنه نائبه وخليفته في أمته وكفى بهذا فضلاً وشرفاً للعلم وأهله

٢٧٤ - ويذكر عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه مرّ بالسوق فوجدهم في تجارتهم وياعاتهم فقال : أنتم ههنا فيما أنتم فيه وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقسم في مسجده ؟ فقالوا سرافاً إلى المسجد فلم يجدوا فيه إلا القرآن والدكر ومجالس العلم ، فقالوا أين ما قلت يا أبا هريرة ؟ فقال : هذا ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يتقسم بين ورثته ، وليس بموارثكم ودنياكم ، أو كما قال

« مر ٢٦ ج ١ مناج »

٢٧٥ - أخرج الطبراني بسند حسنه الترمذي عن أبي أمامة رضى

الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق . ذو الشبهة في الإسلام ، وذو العلم ، وإمامه مقصد . وأخرج أحمد بإسناد حسن ( ليس من أمتي من لم يجعل كبريا . ويرحم صغيرا ، ويعرف لعائنا )

٢٧٦ - وإليك حديثا ، يجعل العلم في مكان العزّة ، ويرفع العلماء مقام التشريف ويضع « تقييده » بين السكون والأدب . أخرج الطبراني عنه صلى الله عليه وسلم ( تعلّموا العلم ، وتعلّموا للعلم السكينة والوقار ، وتواضعوا لمن تعلّمون منه )  
 ( ص ٩٩ من جزء )

٢٧٧ - وأما وصف حال الإسلام لما اطلّأت به عزّة العلم ، وعرف فيه العلماء من تذكّرة الحافظ الذهبي يقول بعد أن ذكر رجال الطبقة الخامسة من أهل الحديث

وفي زمان هذه الطبقة كان الإسلام وأهله في عزّ نام وعلم عزيز ، والقوّل الورع باحقّ كثير والعباد متواضعون ، والناس في بآهية من العيش وكثرة الجيوش المحمّدية من أقصى الغرب وحزيرة الاندلس الى قرب ممكة الخطا وبمصر الهند ، وكان في هذا الوقت من السّاخين مثل ابراهيم ابن آدم ودود الطائي وسهيل الثوري . ومن القراء كعمرة وأبي عمرو بن العلاء . ومن الفقهاء كأبي حنيفة ومالك والأوزاعي رحمة الله عليهم أجمعين  
 ٢٧٨ - ولعزّة العلم حرص العلماء على النسبة إليه . واشتدوا في

الحرص على صدق هذه الأتساب والتغالي بها حتى ألف علماء رسائل خاصة بأسانيدهم وذكر شيوخهم . ومن الرواية في الإسلام من جرت فيه الأقلام وفنيت في طلبه أعمار . وبذلت جهود ، إذ كان السند هو مفتاح



## ملطافه العلم

٢٧٩ - هذه العزة التي للعبد غيب سلطانها ، فسمى للتقرب منه السلاطين ، وغلت قيمتها فتنافس في تحصيلها للتنافسون ، وأقر بها ذوو السلطان حتى تمنوها ، وودوا لو يكونون أهلها وأصحاب زمامها ، وانخرط السادة في التمار لها ، فدرحوا في سبيلها بزي رجلها ، حتى روى عن أنامون أنه كن في مجلس العلم يلبس زي العلماء ولا يتخير فيه على الخلطاء وانظرأه ، إعلاء لكلمة العلم وإعزاز العلماء

٢٨٠ - قال ابن القيم بعد أن ذكر الروايتين في تفسير قوله تعالى ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ أن أولى الأمر العلماء أو الأمراء ، قال : والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم ، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء ، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم ، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء

﴿ ص ١١ ج ١ ص ١٧٠ ﴾

٢٨١ - وقال عمر بن عبد العزيز : لأن يكون لي مجلس من عبيد الله ( أحد القراء السبعة ) أحب إلي من الدنيا وما فيها . وقال والله إنني لأشتري ليلة من ليالي عبيد الله بألف دينار من يدت المال ، فقالوا يا أمير المؤمنين تقول هذا مع تحريكك وشدة تحفظك ؟ فقال أين يذهب بحكم والله إنني لأعود برأيه وبشيعته وبهدايته على يدت مال المسلمين بألوف وألوف ، إن في المعادة تلقيحاً للعقل وترويحاً للقلب وتسريحاً للهمم

## وتفصيلاً للأدب

- ٢٨٢ - وقال يحيى بن أكرم : قال الرشيد ما أنبلُ المراتب ؟ قلت ما أنت فيه يا أمير المؤمنين ؛ قال فتعرف أجلى مني ؟ قلت لا ، قال لكى أعرفه . رجل فى حلقه يقول حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله ؛ قال قلت يا أمير المؤمنين أهذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله وولى عهد المؤمنين ؟ قال نعم وبذلك هذا خير منى ، لأن اسمه مقترن باسم رسول الله لا يموت أبدا . ونحن نموت ونفسى . والعلماء باقون ما بقى الدهر . اهـ
- ٢٨٣ - وقال حنيفة بن سليمان : سمعت ابن أبى الحناجر يقول كسافى مجلس يزيد بن هارون والناس قد اجتمعوا إليه ، فرأى أمير المؤمنين عوفى عينا فى المجلس وفى المجلس ألوف فالتفت الى أصحابه وقال : هذا الملك
- ٢٨٤ - كثر المأمون قد وكل الفرءاء ليلقى ابيه النعمان ، فى ذات يوم أراد ان يذهب الى حوائجهم فندرا الى بعض امرءاء يقدمها له فتنازعا ، يما يقدمها له ؟ ثم اصبحتا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة وكان للمأمون وكيل على كل شىء خاص . فرمى ذلك إليه فى اخره فوجه الى امرءاء واستدعاه . فلما دخل عليه . قال له : من أعز الناس ؟ فقال : لا أعرف أحداً أعز من أمير المؤمنين . فقال : بل من إذا نهض تقاثل على تقديم نعله وليا عهد المسلمين حتى يرضى كل واحد منهما أن يقدم له فرداً . فقال : يا أمير المؤمنين لقد أردت منهما عن ذلك ، ولكن خشيت أن أدعما عن مكرمة سبقا إليها ، أو أكرهنهما عن شريعة حرصا عليها
- ص ١٣٠ من كتاب ترعة الابل •



٢٨٥ قدم هرون الرشيد « الرقة » فأنجفل الناس حلف عبد الله بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة : فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج الخشب ، فلما رأته الناس . قالت ما هذا ؟ قالوا عالم أهل خراسان قلم « الرقة » يقال له عبد الله بن المبارك ، فقالت هذا والله الملك ، لأمك هرون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان

٢٨٦ - عن العتيبي عن أبيه قال : ابتنى معاوية بالأبطاح مجلساً . خمس عليه ومعه ابنه « قرظة » فإذا هو بجماعة على رجال لهم ، وإذا شاب منهم قد وقع معتبرته يتغنى :

من يسأله بـ . بـ أجل ما حدا      يتلأأ إلى عقد الكرب  
قال من هذا ؟ قالوا عبد الله بن جعفر . قال خلوا له الطريق ثم إذا هو بجماعة فيهم غلام يتغنى :

بينما به كرتي أبصراني      عند قيد المبل يسمى بي الأغر  
فلن تعرفن الفتى فلن نعم      قد عرفناه وهل يخفى القمر  
قال من هذا ؟ قالوا عمر بن أبي ربيعة . قال خلوا له الطريق فليذهب قال ثم إذا هو بجماعة وإذا فيهم رجل يسأل ميتاً له وميت قبل أن أحلق . وحلفت قبل أن أرى في أميئة أشككت عيبيهم من مناسك أخج فقال من هذا ؟ قالوا عبد الله بن عمر . فالتفت إلى ابنه قرظة وقال هذا وأبيك الشرف . هذا والله شرف الدنيا والآخرة

« من ١٧٤ - ١٧٥ مخرج دار السلطنة »

٢٨٧ قال في (حسن المحاضرة) كان السلطان صلاح الدين يواطب

سماع الحديث حتى إنه سمع في بعض المصايف جزءاً وهو بين الصغين وتبع به بذلك وقال : هذا موقف لم يسمع فيه أحد حديثاً

٢٨٨ - ورحل إلى الاسكندرية بولديه الأفضل والعزير لسماع

الحديث من أبي طاهر السلفي ، قال السيوطي ولم يعمد ذلك لماك بعد هارون الرشيد ، فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون إلى الامام مالك لسماع الموطأ

ص ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢

٢٨٩ - قال السيوطي : كان الملك الكامل معظماً للسنة وأهلها ، قال

الذهبي : وكانت له إجازة من أبي طاهر السلفي محدث الاسكندرية ، وخرج له أبو القاسم بن الضغراوي أربعين حديثاً سمعها من جماعة

٢٩٠ - وسمع الوزير نظام الملك الحديث وأسمعه ، وكان يقول : إن لا أعلم

أني لست أهلاً لذلك ولكنني أريد أن أربط نفسي في قطار النقلة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا الوزير كان من أولاد الهاقين بنواحي طوس ، واشتغل بالحديث وانفقته ثم اتبعه بخدمة ألب أرسلان ووزر لابنه « ملكشاه » وبقي عشرين سنة صاحب الامر ، وأبى الله أن ياتى إلا التفتت والصيد ، ودخل على الخليفة المقتدى فأذن له بالجلوس بين يديه



٢٩١ - كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم : انظر ما

كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكتبه ، وليغشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً

٢٩٢ - وهذا ذكر للإمام مالك وسبب وضعه كتاب «الموطأ» بتقدم  
 أنى جمعقر المتصور إليه بعد أن اعتذر له عما كن من عامله على المدينة فيما  
 صنعه بالامام مالك أنه فتنها ، وقد ساق القصة صاحب كتاب «الامامة  
 والسياسة» وفيها عجب من عزة العلم وإبراز أهله، وعجب من سعى  
 السلطان لهم وتمجده بأطرافهم واستحلاله أماريق علمهم لأمتهم ذلنى  
 إلى تلك القوة التى لمحت من نور الله

قال ابن قتيبة بعد أن ذكر هياج أهل المدينة على المتصور فى أول  
 أمره : إنه أرسل إليهم ابن عمه جعفراً فليشد فى أهل الخلاف وأخذ البيعة  
 لل خليفة فسمى حنفة بالامام مالك إلى الأمير أنه يفتى بالآمين على مكره  
 فيحل بهذا ما أمرتموه بما قام على الاستكراه : فأراد أن يبدرفيه . فقبل  
 له لا تبدر فإنه أكرم الناس على الخليفة . فهدس إلى مالك بعض ثقاته فأشاه  
 على طلائنة منه ، فلم يشعر إلا ورسول جعفر فيه : فأتوا به منتها الحرمه  
 وضربه سبعين سوطاً أضجعه بعد انتهاء الفتنة . وبلغ الخليفة هذا العمل  
 بمالك وأعظمه إعظاماً شديداً وأفكره وكتب بعزل ابن عمه جعفر وأن  
 يؤتى به على فئب من المدينة إلى بغداد . وأراد استقاه ام مالك واعتذر  
 فكتب إليه أن يوافيه فى الحج القابل . فوافاه : وللتيا بن . ومن هنا  
 يروى «مطرف» - وكان من كبار أصحاب مالك - قال : قال لى مالك لما  
 حشرت بنى أنيت السراقات ، فأذنت بنفسى فأذن لى ثم خرج إلى الآذن  
 من عنده فأدخلنى ، فقتل للآذن اذا انتهت بى إلى القية التى يكوز فيها  
 أمير المؤمنين فأعلمنى : فرتبى من سرادق إلى سرادق ومن قبة إلى

أخرى في كلها أصناف من الرجال بأيديهم السيوف المشهورة والأجزرة  
للمرفوعة حتى قال لي الآن هو في تلك القبة ، ثم تركي الآن وتأخر عني  
فمشيت حتى انتهيت إلى القبة التي هو فيها ، فإذا هو قد نزل عن مجلسه  
الذي يكون فيه إلى اليسار الذي دونه ، وإذا هو قد لبس ثياباً قصيرة  
لا تشبه ثياب مثله تواضعاً لدخولي عليه ، وليس معه في القبة إلا قائم على  
رأسه بسيف صلت ، فلما دنوت منه رحب بي وقرب ، ثم قال هاهنا  
إني ، فأومأت للجلوس فقال هاهنا ، فلم يزل يدني حتى أجسني إليه  
ولصقت ركبتي بركبتيه . ثم كنز أول ما نكلم به أن قال : الله الذي لا إله  
إلا هو يا أبا عبد الله ما أمرت بالذي كنز ولا علمته قبل أن يكون  
ولا رضيته إذ بلغني ( يعني القرب ) قال مالك فحمدت الله تعالى على كل  
حال وصليت على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تڑهته عن الأمر بذلك  
والرضا به . ثم قال يا أبا عبد الله لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين  
أظهرهم ، وإني أخالك أماناً لهم من عذاب الله وسخطونه ، ولقد دفع الله بك  
عنهم وقعة عظيمة ، فإنهم ما علمت أسرح إلى الفتى وأضعفهم عنها فأنهم  
الله أني يؤفكون . وقد أمرت أن يؤتى بمجفف والله من المدينة على قتب  
وأمرت بضيق مجلسه والمبالغة في امتنائه ولا بد أن أنزل به من العقوبة  
أضعاف ما نالك منه . فقلت له صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين وأكرم متواه قد  
عفوت عنه لقرايته من رسول الله ثم منك ، قال أبو جعفر وأنت فسي  
الله عنك ووصلك ، قال مالك ثم فاتحني فيمن مضى من السلف والعلماء  
فوجدته أعلم الناس بالناس ثم فاتحني في العلم والحق فوجدته أعلم الناس بما

اجتمعوا عليه وأعرفهم بما اختلفوا فيه : حافظا لما روى : وأعيانا صمغ ثم قال  
 لى . يا أبا عبد الله ، صنع هذا العلم ودوته ، ودوز منه كتباً وتجنب شدائد عبد  
 الله بن عمر ودرخص عبد الله بن عباس وشوذة ابن مسعود واقصد الى  
 أواسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضی الله عنهم لنعمل  
 الناس إن شاء الله على علمك وكتبك ، ونبتها في الأمصار ونعهد إليهم أن  
 لا يخافوها ولا يقضوا بسواها . فقدت له أصلح الله الأمير إن أهل  
 العراق لا يرضون علمنا ولا يرون في علمهم رأينا ، فقال أبو جعفر يحملون  
 عليه وتضرب عليه هاماتهم بالسيف وتقطع طي ظهورهم بالسياط ، فتمجّل  
 بذلك وضعها فسياتيك محمد بن المهدي العام القابل بن شاه الله إلى المدينة  
 ليسمعها منك فيجبدك وقد فرغت من ذلك إن شاء الله ، قال مالك فبينما  
 نحن قعود إذ طلع له بنى صغير من قبة بظهر التي كنا فيها ، فلما نظر إلى  
 الصبي فرح ثم تقهقر فلم يتقدم : فقال له أبو جعفر تقدم يا حبيبي إنما هو أبو  
 عبد الله فقيه أهل الحجاز ، ثم التفت إلى فقال يا أبا عبد الله أتدرى لم  
 فرح الصبي ولم يتقدم ؟ فقلت لا : فقال والله استنكر قرب شمسك مني  
 إذ لم يره أحد ، غيرك قط ، لذلك تقهر . قال مالك ثم مضى بألف دينار عينا  
 ذهباً وكسوة عظيمة وأمر لاني بألف دينار ، ثم استأذنه فأذن لي فقممت  
 فودعني ودعاني ، ثم مشيت منطلقاً فلحقني الحصى بالكسوة فوضعتها  
 على منكبي ، وكذلك يعملون بمن كسوه وإن عظم قدره فيخرج بالكسوة  
 على الناس فيحملها ثم يسأها إلى غلامه . فلما وضع الحصى الكسوة على  
 منكبي انحنيت عنها بمنكبي كراهة احتمالها وتبرؤاً من ذلك فناداه

أبو جعفر بلغها رحل أبي عبد الله

٢٩٣ - وذكروا أن مالك بن أنس لما أخذ في تدوين كتبه ووضع علمه . فلم عليه المهدي ابن أبي جعفر فسأله عما صنع فيها أمره به أبو جعفر فأثام بالكتاب وهي كتب الموطن ، فأمر المهدي بالتساخا . وقرأت على مالك ، فلما أتم قراءتها أمر له بأربعة آلاف دينار ولا به بألف ديناراه

٢٩٤ . لما خرج الرشيد الى الحج اصطحب معه عبد الله بن المبارك وفرخ الرشيد من مناسكه ورغب أن يرى « المفضل بن عياض » وكان يتباعده من رجال الحكم فتعطف ابن المبارك حتى جمع بينهما وجرى بينهما حديث طلي يطيب النفوس العظيمة ثم قام هارون للخروج فقال القديس : يا أمير المؤمنين إني أخشى أن يكون العلم قد صاع فذلك كما صاع عندنا ، فقال الرشيد : أجل . إنه ما قلت ، فلما قدم الرشيد العراق كانت أول ما ابتدأ فيه انتظار أن كتب إلى الأمصار بها وإلى أمراء الأجناد ، أما بعد فانتظروا . من التزم الأذان عند كفاكتبوه في ألف من العطاء ، ومن جمع القرآن وأقبل على طلب العلم وعمر بحال العلم ومقائد الأدب فاكثبوه في ألف دينار من العطاء ، ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفق في العلم واستبحر فاكثبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء ، وإما ذلك ياتبعان الرجال السابقين لهذا الأمر من المعروفين به من علماء عصره وفضلاء دهره فاسمعوا قولهم وأطيعوا أمرهم فإن الله تعالى يقول « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأرأى الأمر

منكم يوم أهل العلم . قال ابن المبارك : فإدأيت عالماً ولا قارئاً للقرآن ولا سابقاً للخيرات ولا حافطاً للمعصيات في أيام بعد أيام رسول الله ﷺ وأيام الخلفاء والصحابة أكثر منهم في زمن الرشيد وأيامه لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمان سنين ، ولقد كان الغلام يستنصر في الفقه والعلم ويروى الحديث ويجمع الأدوار ويتأثر المعلمين وهو ابن إحدى عشرين سنة .  
« من ١١٢ من الأئمة والعلما »

٢٩٥ -- كذلك استبق الأمراء إلى سلطان العلم وتغالوا في النفقة على استجلابه والحصول على عزته فهذا يحيى بن معين شيخ أهل الحديث فاطية وميزان الإسلام في « الجرح والتعديل » كان أبوه معين ابن عوف المري من عمال الدولة الكبار حنط له مليون درهم وخمسين ألف درهم فنفقها يحيى كلها على الحديث . وقد بلغ من بلوغ يحيى هذا في علم الحديث المثلثة أنني لا ترام أن قال أحمد بن حنبل : كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث

٢٩٦ . وأكثر من هذا ما سمعته أم « ربيعة الرثي » شيخ الإمام مالك فإن هذه المرأة أنقشت على نعلين ولاها ثلاثين ألف دينار خاضعاً زوجها عندها وخرج إلى الفروج ولم يعد لها إلا بعد أن استحل ولده الرجولة والشيخة . وكانت أمه قد اشتريتهما له بتلك الرجل . فأخذ الرجل صبيها وأوجع مجارتهما في قصة طائفة ساقها ابن خضكان قال : وكان فروخ أبو ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بي أمية . وربيعة حمل في بطن أمه ، وخف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار فتقدم المدينة

بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرساً وفي يده رمح فزل ودفع الباب برمحه فخرج ربيعة وقال يا عدو الله أتتهجم على منزلي؟ فقال فروخ يا عدو الله أنت دخلت على حرمي؟ فتواتبا حتى اجتمع الجيران وبلغ مالك ابن أنس فاتوا يعينون ربيعة وكثر الضجيج وكل منهما يقول لا فارقتك فلما بصروا بمالك سكتوا فقال مالك أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار ، فقال الشيخ هي داري وأنا فروخ ، فسمعت امرأته كلامه فخرجت وقالت هذا زوجي وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به . فاعتنقا جميعاً وبكيا ودخل فروخ المنزل وقال هذا ابني ؟ فقالت نعم قال أخرجني المال الذي عندك قالت قد دفتته وأنا أخرجته ثم خرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حقيقته فأتاه مالك والحسن وأشرف أهل المدينة وأحدق الناس به ، فقالت أمه لزوجها فروخ أخرج فدخل في مسجد رسول الله ﷺ فخرج فنظر إلى حلقة وافرة فأتاها فوقف عليها فمكس ربيعة رأسه يومه أنه لم يره وعليه فلسوة طويلة فشك أبوه فيه فقال من هذا الرجل ؟ فقبل هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، فقال لقد رفع الله ابني ورجع إلى منزله وقال لو ألدته ، لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها ، فقالت أمه فأينما أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه ؟ فقال لا والله بل هذا . فقالت أنعمت المال كله عليه . قال فوات ما صنعت به ٢٩٧ - ولما ختم حماد ( ولد أبي حنيفة ) سورة انفحة أعطى أبوه المعلم خمسمائة درهم وفي رواية ألف درهم فقال ما صنعت حتى أرسل إلى هذا ؟ فأحضره واعتذر إليه ، وقال لا أستحق ما علمت ولدي والله لو كن معنا



أكثر من ذلك لدفعناه اليك تعظيماً للقرآن « ص ١٩٠ ح ١٤٠ »

٢٩٨ - لما حدث أبو مسلم النخعي أول يوم حدث فيه . قال لابنه  
كم فضل عندما من أئمان غلاتنا ؟ قال ثلاثمائة دينار ، قال فرقها على أصحاب  
الحديث والفقراء شكراً أن أباك اليوم شهد على رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فقبيل شهادة « ص ١٧٠ ح ١٠ »

٢٩٩ - ولما أتم أبو الفرج الأصبهاني كتابه ( الأغاني ) وقدمه إلى  
سيف الدولة بن حمدان أعطاه ألف دينار واعتذر إليه في قلة المطاء  
٣٠٠ - قال إسحاق بن إبراهيم الوصلي أعطيت « منصور زلزل »  
من مالى خاصة حتى تمت ضربه بالعود نحو ألف مائة ألف درهم سوى  
ما أخذته من الخلفاء ومن أبي إبراهيم « ص ١٠٢ ح ١٠٠ »

وزلزل هذا الذي كان أوحده عصره في ضرب العود

٣٠١ - وصنف الوزير ابن هبيرة كتاب الإفضاح عن معاني الصالح  
في عدة مجلدات فلما بلغ إلى حديث « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »  
شرح الحديث وأتجر به الكلام إلى الفقه فذكر مسائله واختلافه واتفاقه  
مخرج به في مجلد أفرد وحده وسمى بالكتاب - وهذا الكتاب صنفه  
في ولايته الوزارة واعتنى به وجمع عليه أئمة المذهب وأوفدم من البلدان  
إليه لأجله بحيث أنه أنفق على ذلك مائة ألف دينار وثلاثة عشر ألف  
دينار وحدث به واجتمع الخلق العظيم لسماعه عليه ، وكتب به نسخة  
تخرانة للمستنجد وبعث ملوك الأطراف ووزراؤها وعلماؤها فاستنسخوا  
لهم به نسخاً ونقلوها إليهم حتى السلطان نور الدين الشهيد ، واشتغل به

الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم ، يدرسون منه في المدارس  
والمساجد ويصيده المعيدون ويحفظ منه الفقهاء « ص ١١ ، قصة الانصاح »

٣٠٢ - وطلب سلطان عالمكير إلى مشهورى العلماء في الهند أن  
يضعوا له كتاباً في فقه أبى حنيفة مرتباً على أبواب الفقه مصبوحاً المراجع  
فشرخوا عن سواعدهم وتبعوا الكتب المحفوظة في داره السلطانية حتى  
أخرجوا الكتاب النفيس المشهور ( بالعتاوى الهندية ) وقد بذل الساطن  
لؤلؤيه على وجه الوضيمة والعطية ما بلغ من الفضة مائتى ألف روية  
وقيمة الروية إذ ذاك ١٢ قرشاً أى أربعة وعشرين ألف جنيه مصرى  
قال أدورد فنديك : وتنسب الفتاوى العالمية هذه للملك ورنك  
نسب الهندى الملقب باسم عالم كير أى فاتح العالم الذى ملك من سنة  
١٠٦٩ إلى سنة ١١١٩ هـ الموافقة سنة ١٦٥٨ إلى ١٧٠٧ م

« ص ١١٩ ، تاريخ السرخس ، ص ١١٩ »

٣٠٣ - وقد أورد صاحب الخطط المقريزية فذلك عن المدارس  
في الاسلام تريك أن القائم بها كن أرباب السلطان ، قال بعد أن أشار إلى  
« دار القراء » التى كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم :  
ولما أراد الخليفة المعتضد بن الموفق بناء قصره في شمسية بغداد ،  
استأذ في الحرم بعد أن فرغ من تقدير ما أراد . فمثل عن ذلك ، وقد كر  
أنه يريد له ليبى فيه دوراً مساكن ومناصير . يرتب في كل موضع رؤساء  
كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ويجرى عليهم  
الأرزاق السنية ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره .

فياخذ عنه

والمدارس مما حدث في الاسلام ، ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين ، وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنى الهجرة ، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الاسلام أهل نيسابور ، فبنيت بها المدرسة البيهقية ، وبنى بها أيضا الأمير نصر بن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها أخوه السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها المدرسة للسيدية أيضا ، وبنى بها أيضا مدرسة رابعة

وأشهر ما بنى في القديم المدرسة النظامية ببغداد ، لأنها أول مدرسة قرّر بها للفقهاء مصالح . وهي منسوبة إلى الوزير نظم الملك أبي علي الحسن بن علي الطوسي وزير ملكشاه بن السلطان ، شرع في بنائها في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة وفرغت في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ودرس فيها الشيخ أبو اسحق الشيرازي الشافعي فافتدى النملية في بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر وفي بلاد الجزيرة وديار بكر

وأما مصرفاتها كانت حيث يبد الخلفاء الفاطميين ومذهبهم مخالف لهذه الطريقة وإنما هم شيعة ، وأول ما عرف إقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جاراطاعة من الناس بديار مصر ، كان في خلافة العزيز بالله ووزارة يعقوب بن كلس فعمل ذلك بالجامع الأزهر ثم عمل في دار الوزير يعقوب مجلس يحضره الفقهاء فكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم ، وعمل أيضا مجلس بجامع عمرو بن العاص لقراءة كتب الوزير ، ثم بنى الحاكم

بأمرائه ( دار العلم ) بالقاهرة فلما انقرضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين، أبطل مذاهب الشيعة وأقام مذهب الإمام الشافعي ومذهب الإمام مالك واقتدى بالملك العادل بن زكي الذي بنى بدمشق وحلب وأعمالها عدة مدارس للشافعية والحنفية . فبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر . وأول مدرسة أحدثت بدير مصر المدرسة لمصرية بحوار الجامع العتيق ثم المدرسة القمحية لمجاورة للجامع أيما ثم المدرسة السيوفية التي بالقاهرة ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرها من أعمال مصر وبالبلاد الشامية والجزيرة أولاده وأمرأؤه ثم هذا حدوث من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وأمرأهم وأتباعهم إلى يومنا هذا لا يتعرف « ١٥٠٠ » « ١٩٢٠ » « ١٩٢٠ » « ١٩٢٠ » المدرسة الفاضلية -- وتقل عما ذكره من المدارس ما جاء في المدرسة الفاضلية قل . هذه المدرسة بدور ملوحيا من القاهرة . سماها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي الياقوتي بحوار داره في سنة ثمان وخمسة . ووقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية والمالكية . وجعل فيها قاعة للأقراء ، أقر فيها الإمام أبو محمد الشافعي زعيم الشافعية ثم تسميته أبو عبد الله محمد ابن عمر انقرض في ثم انشيع على بن موسى الدهار وغيرهم . ورتب لتدريس فقه المذهبين الفقيه أبا تقاسم عبد الرحمن بن سلامة الاسكندراني ، ووقف هذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم ، يقال إنها

( ١ ) جهة « قصر الشوق » . وملوحيا اسم فرانش قصر الفاطميين الكبير

نسب الدرب اليه

كانت مائة ألف مجلد ، وذهبت كلها : وكان أصل ذهابها أن الطيبة الذين كانوا بها ، أوقف الغلاء بتصرف في سنة أربع وتسعين وثمانمائة ، والسلطان يومئذ المثل العادل « كتبنا » المتصوري . منهم الضرر . فصاروا يبيعون كل مجلد بر عيب خيز ، حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب ، ثم تداولتها الأيدي بالعارية فتفرقت . وسها إلى الآن مدحف قرآن كبير القدر جداً ، مكتوب بالخط الأول الذي يعرف بالسكوي : تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان ، ويقال إن القاضي العاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مدحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه . وهو في خزنة ممرودة له . بجانب المحراب من غريبه . وعليه مهابة وجدالة ، وإلى جانب المدرسة كتاب يرسم الأيتام . وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها وقد تلاشت لخراب ما حولها « ص ١٠٧ »

٣٠٤ - المدرسة النظامية - لا خلاف في أن « نظام الملك » أول من اشتهر بإنشاء المدارس في الإسلام في أواسط القرن الخامس للهجرة هي المدارس في بغداد وأصبهان ونيسابور وغيرها . وكل منها تمت بالنظامية نسبة إليه . أشهرها المدرسة النظامية في بغداد . تولى بناءها أبو سعيد الحوفي سنة ٤٥٧ على شاطئ دجلة وكتب عليها اسم نظام الملك وبني حولها أسواراً تكون محمية عليها . وابتاع ضياعاً وخانات وحمامات وقفها عليها : فبلغت النفقة ما يقارب من ٦٠ ألف دينار الخ

« ص ٢٠٣ من تاريخ الإسلام »

٣٠٥ - أقول : في يوم افتتاح المدرسة النظامية ( ١٠ ذى القعدة سنة

( ٤٥٩ ) حضر الوزير نظام الملك وجوع من الناس لسماح درس « الشيرازى »  
وقد رسم الوزير أن يتولى التدريس بها ، فلم يحضر الشيخ فأتى الوزير  
الى العالم « ابن الديلم » فقام مقامه ، ثم ظهر الشيخ فى مسجده ، وبأن أنه  
امتنع من التدريس فيها لما بلغه عن حدوث غصب فى بنائها . فراجعته  
تلاميذه وألحوا عليه أن يقبل سؤال الوزير ويدرس فيها فأجاب بعد  
أن طار ابن الصباح يدرس عشيرين يوماً ، وقام بالتدريس ، وكان إذا حان  
وقت الصلاة يخرج منه ويصلى فى بعض المساجد لما فى خاطره مما بلغه  
٣٠٦ ولما قدم أبوطاهر أحمد السلفى الى الاسكندرية بعد ما جاب  
البلاد ومات الآفاق فى طلب الحديث ولم يكن له فى آخر عمره مثيل فى  
عصره ، وكان قدم فى البحر من « صور » سنة ٥١١ هـ بنى له العادل بن السلار  
وزر الطائر الصيدى مدرسة فى الاسكندرية سنة ٥١٦ هـ عرفت باسمه ،  
وقصده الناس من سائر الأقطار وقد بقيت بعده الى زمن القاضى ابن  
خلكان ويقول إنه لم ير مدرسة للشافعية بالاسكندرية خلافا  
٣٠٧ - ونحتم الباب بقمتين . أولاهما تدل على تحلب شفاء سلطان  
يمنى أن يتول عن سلطانه لسلطان العلم ، والثانية تدل على تحلب سلطان العلم  
على الحقد ، والحقد كما لا يخفى سلطان غالب . ومنها يُقدَّر طبيب العرب  
قال ابن فارس : سمعت الأستاذ ابن الصيد يقول : ما كنت أظن أبى  
فى الدنيا سلاوة ألد من الرياسة والوزارة التى أنا فيها حتى شهدت مداكرة  
سليمان بن أيوب بن أحمد الطبرانى وأبى بكر الجماعى بحضرتى ، فكنت  
الطبرانى يغلب الجماعى بكثرة حفظه وكفى الجماعى يغلب الطبرانى بقطبته

وزكته أهل بغداد حتى ارتفعت أصواتهم ولا يكاد أحدهم يغلب صاحبه ، فقال اجمعاني عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي فقال هاته ، فقال حدثنا أبو خليفة حدثنا سليمان بن أيوب وحدثنا بالحديث ، فقال الطبراني أبا أنا سليمان بن أيوب ومنى سمع أبو خليفة . فسمع منى حتى يعلو إسنادك فانك تروى عن أبي خليفة عنى . فجعل الجعفي وغلبه الطبراني ، قال ابن العميد : فوددت في مكاني أن الوزارة والرياسة ليتها لم تكن لي وكنت الطبراني وفرحت مثل الفرح الذي فرح الطبراني لأجل الحديث أو كما قال

« ص ١٧٢ خزانة دار الحكمة »

٣٠٨ وقال ابن القفطي : من عجيب ما يحكي عن يعقوب بن إسحق الكندي المعروف أنه كان في جواره رجل من كبار التجار موسم عليه في تجارته ، وكان له ابن قد كفاه أمر بيعة وشرائه وضبط دخله وخرجه . وكان ذلك التاجر كثير الأرزاء على الكندي والطمع عليه ، مدمنا لتعكيره والإغراء به . فعرض لايه مكتة بخاة . فورد عليه من ذلك ما أذهله . وبقي لا يدري ما الذي في أيدي الناس وما لهم عليه مع ما دخله من الجزع على ابنه . فبيدع بمدينة السلام طيبيا إلا ركب إليه واستركبه لينصر ابنه ويشير عليه من أمره بعلاج ، فلم يجبه كثير من الأطباء لكبر العلة وخطرها إلى الحضور معه . ومن أجابه منهم فلم يجد عنده كبير غنة فقبل له أمت في جوار فيلسوف زمانه وأعلم الناس بعلاج هذه العلة فلو قصده لو جدت عنده ما تحب ، فدعته الضرورة إلى أن تحمل على الكندي بأحد إخوانه فنقل عليه في الحضور فأجاب ، وصار إلى منزل التاجر ، فلما

ورأى ابنه وأخذ مجسه ، أسر بأن يحضر إليه من تلاميذه في عهد الموسيقى  
من قد أمن في احذق لضرب العود وعرف الطرائق المحزنة والمزعجة  
والمقوية للقلوب والنفوس . فحضر إليه منهم أربعة نفر فأمرهم أن يديحوا  
العرب عند رأسه وأن يأخذوا في طريقة أو قصهم عليها ، وأراح مواضع  
النغم بها من أصابعهم على الدساتين وبقاياها . فزالوا يضربون في تلك  
الطريقة والمكدي أحد مجس الغلام وهو في حلال ذلك يمتد نفسه  
ويقوى نبضه ويراجع إليه نفسه شيئا بعد شيء ، إلى أن تحرك ثم جلس  
وتكلم وأولئك يعربون في تلك الطريقة دائما لا يمترون . فقال الكندي  
لأبيه : سل ابنك عن هذا ما يحتاج إلى علمه مما لك أو عليك وأنته . فجعل  
الرجل يسأله وهو يحبره ويتبينك بعد شيء . فلما أتى على جميع ما يحتاج  
إليه غلب الغارون عن تلك الطريقة التي كانوا يضربونها وتروا فعاد  
العربي إلى الأولى وبشيء له كثر . فقال له أباه : يا بني ، بعدد  
ما كانوا يضربون به ، فقال : هم ما كانوا كانوا قد نيت من حياته  
ولا يمكن فيها ما جى . ولا سبيل إلى ولا لأحد من البشر إلى الزيادة في  
مدة من انقطعت مدته ، إذ قد استوفى العطية والقسم الذي قسم الله له

« من أخبار الخلفاء »

٣٠٩ . وينقل إلى المغرب السهر : فسئل عن « زهره » الاستاذ  
عبد الدين الخطيب فحة من فحات العلم وقد استوفى سلطانه على قلب  
أكبر سلطان في الامدلى « الحكم المستنصر بن عبد الرحمن  
الناصر » قال في ص ١٤ : قال المهرى . كان المستنصر عالما فيها صافي



السريفة أخذ العيم عن قاسم بن أصبغ وأحمد بن رجم ومحمد بن عبد السلام  
 الخشعي وذكر بن خطاب وأكثر عنه . وأجاز له ثوب بن قاسم . وكتب  
 عن خلق كثير سوى هؤلاء ، وكانت يستجلب المصنفات من الأقاليم  
 والتواحي بأدنى فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها خزائنه ، وكان  
 ذا غرام بها قد أثر ذلك على لذات الملوك ، وكان في المعرفة بالرجال والأخبار  
 والأنساب أحوزياً سبيح وحده ، وكان ثقة فيما ينقله ، ووقفاً يوجد كتاب  
 من خزانته إلا وله فيه قراءة أو نظر في أي فن كان ، ويكتب  
 بسبب المؤلف ومولده ووفاته ، ويأتي من بعد ذلك بمراتب لا تكاد توجد  
 إلا عنده . قال ابن خلدون : وأرسل ألف دينار من الذهب العين ثماناً  
 لتسعة من كتاب « الأغاني » سنة ثلثمئة ، وكان بسبب مؤلفه أبو امرج  
 في بني أمية ، فظهر كتاب الأغاني في الأندلس قبل أن يظهر في العراق  
 موطن المؤلف . وكانت « خزنة الكتب العلمية » في الرهراء أيامه من  
 أعظم خزائن الدنيا . روى « تاج الفتى » القتيبي على هذه الخزانة فيما  
 حدث عنه أنه حفظ أبو محمد بن حزم . أن مدّة الفهارس التي فيها تسعة  
 الكتب : في فهرست في كل فهرست ٢٠ ورقة اس فيها لا ذكر الدواوين  
 فقط . اهـ

٣١٠ -- وهذا أمر من أوامر الخليفة يصدره بلسان عالم إلى أكبر  
 ملوك في الإسلام قام بالأندلس أو كما يسمونها ( البر الطويل ) فأرى أهل  
 الغرب عمدة الإسلام وعظمة رجاله . هو « حنقر فريش » الذي سهر بأعماله  
 الحية فأراد أن يستجلبها على وجه الدهر باقية للأحفاد عن الساب بائشاء

مدينة « الزهراء » التي ذهبت شهرتها مع الشمس ولا تزال الى اليوم  
تراهى في دقاتها بما يبين عنه الكشف ، وقد قهق « عبد الرحمن الناصر »  
في مدينته ويداه مبطونتان تسعفانه بالعجب ، فكان مما صنعه فيها  
« الصرح الممرّد » اتخذ لقبته قراميد من ذهب وفضة ، فما أن سمع العالم  
« القاضي منذر بن سعيد » بذلك حتى هاله عمل الحاكم وأخذ يؤثبه عليه ،  
فكان مما قاله : ما ظننت أن الشيطان أخزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ ، ولا  
أن تتمكن من قيادك هذا التمكن مع ما آتاك الله وفضلك به على العالمين ،  
حتى أنزلك منازل الكافرين ، فاقشمر عبد الرحمن من قوله ، وقال : أنظر  
ما تقول ، كيف أنزلى منازلهم ؟ قال نعم ، أليس الله تبارك وتعالى يقول :  
﴿ ولولا أن يسكون الناس أمة واحدة جملنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم  
سققاً من فضة ومعارج عليها يطهرون . وليبيوتهم أبواباً وسريراً عليها  
يتكئون ﴾ ؟ فوجهم الخليفة ونكس رأسه ملياً ودموعه تجري على خيته  
خشوعاً لله تبارك وتعالى وتذمُّ إليه ، ثم أقبل على منذر وقال له جزاك  
الله تعالى يا قاضي خيراً ، عنا وعن المسلمين ، والدّين ، وكثر في الناس  
أمثالك . فالذي قلت هو والله الحق . وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر  
الله تعالى ، وأمر بتقضى سقف القبة وأعاد قراميدها تراباً

## عظمتهم

يقول جامع هذا الكتاب -- بعد هذا الذي قصصنا عليك من أخلاق العلماء وعزة العلم ونفوس أهلها، مانعاً أن تنبت هذه البذور إلا عظمة في العلماء. سواء في أنفسهم أو في المجتمع الذي يعيشون فيه. وسيرد في الباب الآتي إعزازهم، وهذه مثل من عظمتهم بعد أمثال عزتهم

٣١١ - يحكى أن مروان قال لعبد الحميد بن يحيى حين أيقن بزوال ملكه: قد احتجت أن نصبر مع عدوى وتظاهر الغدر في. فإن إهجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك نحوهم إلى حسن الظن بك، فإن استطعت أن تنفسي في حياتي وإلا لم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي. فقال له عبد الحميد: إن الذي أثرت به عليّ أنفع الأمرين لك وأفصحهما في: وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله تعالى عليك: أو أقتل معك وأنشد:

أسرو فناء ثم أظهر غيرة؟ فن لي بعدد يوسع الناس ظاهره  
٣١٢ - روى أن أمير المؤمنين أباً جعفر المنصور استدعى عبداً لله ابن طائوس. ومالك بن أنس رضى الله عنهما. فلما دخلا عليه أطرق ساعة ثم انتفت إلى عبد الله بن طائوس وقال له، حدثني عن أبيك طائوس (ابن كيد - ابن التايص) فقتل: حدثني أبي، أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أمر به الله تعالى في سلطانه فأدخل عليه الجور في حكمه. فأمسك أبو جعفر ساعة، قال مالك فضمت ثيابي خوفاً أن يصيبني دمه، ثم قال له للنمور ناولي تلك الدواة: ثلاث مررات، فلم يفعل، فقال له لم لا تناولني؟ فقال أحاف

أن نكتب بها معصية فأكون قد شاركتك فيها . فلما سمع ذلك قال : قوما  
عني قال ابن طاوس . ذلك ما كنا نبغي ، قال مالك ، قد زلت أعرف  
لابن طاوس فضله من ذلك اليوم

٣١٣ - قال أبو يوسف : كنت أمني مع أبي حنيفة فقتل رجل  
لآخر هذا أبو حنيفة لايتم الليل ، قتال والله لا يتحدث الناس عني بما لم  
أفعل ، فكان يحبي الليل صلاة ودعاء وتضرعا « م ١٦٠ ج ١ تذكرة الخط »

٣١٤ - قال القعقاع بن حكيم : كنت عند المهدي وأتى سفيان الثوري  
فلما دخل عليه . سجد لمير العمامة ولم يسجد بالخلافة وهارون ، فثب على رأسه  
مستكنا على سيفه برقب أسره . فأقبل عليه المهدي بوجه طلق وقال له . ياسفيان  
تقر ههنا وههنا وتقر أننا لو أردناك بسوء لم تقدر عليك ؟ فقد قدرنا  
عليك لأن . أفما تخشى أن نحكم فيك بهوان ؟ قال سفيان . إن تحكم في يحكم فيك  
ملك قادر يفرق بين الحق والباطل ، فقال له هارون . يا أمير المؤمنين أهدأ  
الجاهل أن يستعبدك بمنزل هذا ؟ ائذن لي أن أضرب عنقه . فقال له المهدي  
أسكت ويحك . وهل يريد هذا وأمناله إلا أن تقتلهم فثقي لسماعتهم ؟  
اكتبوا عهده على غطاء الكوفة على ألا يعترض عليه في حكم ، فكتب  
عهده ودفن إليه . فأحذه وخرج ورمى به في دجلة وهرب ، فطلب في كل  
بلد فلم يوجد . ولما امتنع من فضله الكوفة تولاه شريك النعمي فقال الشاعر  
تحمز سفيان وفر بدينه وأمسى شريك مرصدا للدراهم

« م ٢٦٣ تذكرة الخط »

٣١٥ - قال ابن جنبل : غزا عيسى بن يونس المحدث خمسا وأربعين

غزوة، وحيج خم، وأربعين حجة. قال الوزير جعفر البرمكي. ما رأيت في  
 القراء مثل عيسى بن يونس، وذكر أنه عرض عليه مائة ألف درهم فردّها  
 وقال والله لا يتحدث أهل العراق أني أكلت لسنة ثمان مائة درهم ٢٠٠ هـ مرة واحدة  
 ٣١٦ القاضي منذر بن سعيد، وأتى قضاء الجماعة بقرينة للناصر  
 في شهر ربيع الآخر. سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، وبقي فاضيا إلى وفاة  
 الناصر فولى القضاء لأحكام المستنصر إلى أن تولى عقب ذي القعدة من  
 سنة خمس وخمسين وثلثمائة، بلغ من أمره أن الناصر لما بنى مدينة  
 « الزهراء » واستفرغ جوده في تزيينها، وإتقان قصورها، وإنهك حتى  
 يعقل مرة عن شهود الجمعة في المسجد الجامع بقرينة فلما حضر لصلاة  
 الجمعة بعد امتناع الزهراء. وكان منذر يلى الخطبة مع القضاء. وقام  
 بخطاب، بدأ خطبته بقوله تعالى ﴿ أتنبئون بكل أربع آية فنعثون ويتحدّثون  
 مصانع لعلكم تحدّثون، وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاقنوا لله وأطيعون،  
 واثقوا الذي أمركم بما تعملون. أمدكم بأفهام وبنين، وجنات وعيون.  
 إني أخف عابكم عذاب يوم عديم ﴾ ثم وصل ذلك بقوله ﴿ متاح لدينا  
 قبيل والآخرة خير لمن اتقى ﴾ ومضى في ذم تشييد مديان. « سراف في  
 الانفاق عليه. وما زال باليوم حتى خشموا وبكوا وصجّوا. وأخذ  
 الخليفة من ذلك بأوفر حظا وقد علم أنه المتدود فبكى وندم. إلا أنه وجد  
 على منذر. وشك ذلك لولده الحكم وقال والله لقد نعت في منذر بخطبته  
 ومعاني بها تيري. فاسرف على وأفرط في تزيين ولم يحسن السياسة في  
 وعظي، وأنفسم ألا يصلي خلفه صلاة الجمعة، فجعل يلزم صلاحها وراء أحمد

ابن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة . ويحارب الصلاة بالزهراء ، فقال له  
الحكيم فالذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك إذ كرهته ؟ فزجره  
وقال له أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه - لا أم لك - يعزل  
لارضاء نفس ثاكبة عن الرشد سالكة غير القصد ؟ هذا مالا يكون ، وإنى  
لاستحي من الله ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيماً مثل منذر في  
ورعه وصدقه ، ولكن أخرجى فأقست ، ولوددت أنى أجد سبيلاً إلى  
كفارة يميني محكي . بل يصلى بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى فما  
أظننا نعشاض عنه أبداً اه . من مذكرات القاضى العالم الشيخ محمود بن  
محمد بن عرنوس لتلاميذه طلبة قسم التخصص - أقول . صاحب هذه  
المذكرات لو كنت ذا كراً أحداً من الأحياء ، لكان فيما أعرفه من خلايقه  
ما يزين كبيراً من أبواب الكتاب

٣١٧ - كان بكلا بن قتيبة قاضى مصر في زمن أحمد بن طولون  
فغصب عليه وسجنه ، وكان السبب في ذلك . أن أحمد بن طولون لما  
خرج إلى قتال « الموفق » حين ضيق وهو ولى المهدي على أخيه المعتمد  
وهو الخليفة حينئذ حتى إنه لم يبق للمعتمد إلا الاسم . ضاق المعتمد بذلك  
وكانت أسراء الأطراف ، فوافقه أحمد بن طولون وواعده أن يحضر إليه  
ويحمله معه إلى مصر ويجعلها دار الخلافة : قتيلاً المعتمد وأهله أحمد  
بأسره ، فبلغ الموفق فنصب لأحمد الحرب وصرح بعزله ولعنه ، فصرح  
أحمد بخلع الموفق من ولاية المهدي ، وأسر بلعنه ، وخرج بالعسكر من مصر  
واستصحب القاضى بكاراً فلما كان بدمشق ، جاء كتاب المعتمد إلى ابن

طولون بجمع الموفق من ولاية المهدي ، ففعل . وأجاب القضاة كلهم إلى  
خلعه ، فطلب منهم أحمد أن يلعنوا الموفق . فامتنع بشكر . فألح عليه فأصر  
على الامتناع حتى أغصبه ، وكان قبل ذلك له مكرماً معظماً عارفاً بحقه ،  
وكن يميزه في كل سنة بألف دينار - غير راتبه - فلما غضب عليه ،  
أرسل إليه . أين جوازني ؟ فقال . على حالها ، فأحضرها من منزله  
بحواليها ( ستة عشر كيساً ) فقبضها أحمد

« مر ٥١٢ من ملحز كتاب ( قصة ولاية مصر ) »

٣١٨ - ويحكى عن الطبيب « أمين الدولة » أنه كان لا يقبل عطية إلا  
من خيفة أو سلطان ، فمرض لبعض الملوك التائب مرض مزمن . فقبل  
له : ليس لك إلا ابن التليد وهو لا يقصد . خدأ ، فقال أنا أتوجه إليه ، فلما  
وصل أفراد الطبيب له ولعلمانه دوراً وأفضل عليه من الجرايات قدر الكفاية ،  
ولبت مدة . فبرىء الملك وتوجه إلى بلاده وأرسل إليه مع بعض التجار  
أربعة آلاف دينار ، وأربعة نخوت ، وأربعة مماليك . وأربعة أفراس ،  
فامتنع من قبولها وقال : إن عليّ يمينا ألا أقبل من أحد شيئاً . فقال التجار ،  
هذا مقدار كثير . قال لما حلفت ما استثنيت ، وأقام شهر براوده ولا  
يرداد إلا إياه ، فقال له عند الوداع : هأنذا أسافر ولا أرجع إلى صاحبي  
وأتمتع بالنال ، فتقبل منه وتقول لك منفعته ، ولا يعلم أحد بأنك رددته ، فقال  
ألمست أعلم في نفسي أني لم أقبله فنفسى تشرف بذلك . علم الناس أم جهلوا

« انظر ١٩٣٥/٢٠٥ »

٣١٩ - روى في غير واحد من معاصري : أن السلطان عبدالعزيز لما قسم  
مصر زار الجامع الأزهر ، وصحبه الخديو اسماعيل ، فلعظ الخديو على

شيخ بالجامع كأنه غير مهم ، فهو مستند ظهره ، مادرجله . فأشرح السلطان عنه . ثم كلف أحد رجاله وقد أراه الشيخ أن يذهب له بصرة يريد أن يعرف حاله : فلما جاء الرسول ليعطيه . قبض الشيخ عنه يده ، وقال له . قل لمن أرسلتك ، إن من يمدّ رجله لا يمدّ يده

٣٢٠ — وكان « الأمير عز الدين موسك » من أمراء دولة بني أيوب « الذي ينسب إليه شارح المومني بمصر لآله بن فطرقة على الخليفة في هذه الجهة فنسبت إليه وبها عرف انشراح أميراً خيراً يحب أهل العلم والصالح . فلما قدم الإمام التلم الشاطبي المتري الضري ، وكان إماماً منقطع القرن ، رأساً في القراءات ، الذي سارت الركبان بقصيدته ( حرز الأمان ) ووصف للأمير فطلبه ، ولم يتقدم الأمير إليه بنفسه ، فأخذت الشيخ عز الدين وهو الغريب الفقير فكتب له رقة فيها :

قل للأمير نصيحة لا تركن إني فقيه

إن الفقيه إذا أتى أبوابكم لا خير فيه

فبمثل هذه الأخلاق ارتفع العلماء وبمكسها انحطوا ، ولكن لم

تقطع الأمل من إصلاح الحال واستعادة اثرات الماضي

« مر ١٧١ هـ تاريخ فتحه في الإسلام فذهب شيخ هوود مر فوس »

٣٢١ — وهذه سلسلة ذات حبات كل حلقة منها عظمة تحببت

بها حياة عالم دهر في القرون الوسطى أيام الحروب الصليبية ، كل بركة من عند الله على الإسلام في وقت الحاجة إلى مثله ، ملخصة من كتاب ( طبقات الشافعية ) وعد سقنا ما اختص المقام سوفه في هذه الترجمة



كان الملك الأشرف من بني أيوب بلي دمشق ، وأخوه الملك الكامل بلي  
 مصر . وكانت فتنة قامت بدمشق على مسألة كلامية اقتصر فيها المرء بن  
 عبد السلام لشرعية نصر أعصب الملك الأشرف إذ كل ميله للمشائخين  
 على الشيخ ( ٣٢٢ ) فلما مرض الأشرف ، أرسل للشيخ يتحلى ويسأله أن  
 يعودده ويوصيه بما ينفعه ، فأتمم الشيخ . وكان السلطان قد وقعت بينه  
 وبين أخيه الكامل وحشة . فأمر وهو في مرضه أن ينصب دهليزه  
 صوب مصر . فقال الشيخ للسلطان الأشرف ، إن للملك الكامل أخوك  
 الكبير ورحمك . وأنت مشهور بالفتوحات . والثر قد خاضوا بلاد  
 المسلمين . فترك ضرب دهيزك إلى أعداء الله وأعداء الاسلام ونضربه  
 صوب أخيك ؛ غير الحال ولا تقطع رحمتك وأنو مع الله نصر دينه وعزاز  
 كلمته وإن من الله بعافيتك وجونا من الله بدالك على الكفار وكانت في  
 ميزانك هذه الحسنة العظيمة . وإن ففى الله باستقالك كن السلطان في  
 خفارة نيتك ، فقال جزاك الله خيراً عن إرشادك ونصيحتك ، وأمر  
 والشيخ حاضر بنقل دهليزه صوب الشام . ثم قال له زدنى من نصيحتك  
 ووصاياك ؛ فزاده الشيخ حتى أمر بإبطال المكس والافلاخ عن المحرمات  
 والمذالم ، وأطلق له ألف دينار معصية فردها عاياه وقال هذه اجتماع  
 لله لا أكدرها بشيء من الدنيا . وشاع عند الناس صورة هذا المجلس  
 وتبطل المنكرات ؛ وبأثر الشيخ بنفسه تبطل بعضها . وكان الملك  
 الصالح اسماعيل أخو الملك الأشرف نائب أخيه الأشرف في الملك  
 والسلطنة ولم يرض تبطل المنكرات لأنه كان مع أخيه الأشرف في عقيدته

التي أنكرها الشيخ وجاهر بفسادها : ولم يرض على هذا يسير زمن حتى قدم الملك الكامل من مصر بجيوشه وحاصر أخويه : ثم اصطاح ( ٣٢٣ ) وحضر الشيخ عند الكامل . فأكرمه غاية الإكرام ، وأجلسه على نكرمته . والصالح اسماعيل واقف على رأسه يشاهد ذلك ، وولاه الكامل زاوية النزالى وقضاء دمشق وأعطى الصالح بعلبك ، فتوجه إليها وملكها ، ثم اختلست إليه الأشرف والكامل . وتمكك دمشق الملك الجواد : وكتب الملك الصالح نجم الدين أيوب فقدمها . وأكرم الشيخ ثم توجه بعسكره إلى نابلس بعد اتفاقه مع الصالح بعلبك على أن ينجده في حملته التي أراد بها الاستيلاء على مصر ، فخاف الصالح بعد اتفاقه واستولى على دمشق كما استولى نجم الدين على مصر في حكمة تطول ( ٣٢٤ ) لما استولى الصالح على دمشق . وهو قد شاهد ما اتفق للشيخ مع الأشرف والكامل ، ولآه خطابة دمشق : وحينما بلغه استيلاء نجم الدين أيوب على مصر خاف منه ، فاصطاح مع الإفرنج على أن ينجدوه عليه ، وسلم إليهم « صيدا » وقلعة « الشقيف » وغيرهما من حصون المسلمين ، ودخل الإفرنج دمشق لشراء السلاح : فشق ذلك على الشيخ مشقة عظيمة ، وأفتى الناس بتحريم مبايعتهم لأنهم يقاتلون به المسلمين ، وقطع خطبة الصالح ، وزاد في آخر خطبته قبل أن ينزل من المنبر « اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً فخر فيه وليك ، وتذل فيه عدوك ، ويعمل فيه بطاعتك ، وينهى فيه عن معصيتك » والناس يبهلون بالدعاء والتأمين ، فاعتقلوا الشيخ إلى أن قدم الصالح من بعلبك فأخرج من المعتقل ، ونزع

الشيخ من دمشق إلى بيت المقدس ، فأمره صاحب نابلس ( ٣٢٥ ) إلى أن جاءت الجوع من الفرنج وهؤلاء الملوك إلى بيت المقدس يقصدون الديار المصرية . فسير الصالح بعض خواصه إلى الشيخ ، بنديل الأمان ، وأمره أن يلاطمه ، ويعده بالعود إلى مناصبه . قال ، فإن وافقت فتدخل به عليّ . وإن خالفك فاعتقله في خيمة إلى جانب خيمتي فلما اجتمع الرسول بالشيخ . أخذ بلاينه ، وقال له ، بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة ، أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير ، فقال له الشيخ ، ولكن يا مسكين ، ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً أن أقبل يده . يا قوم أنتم في واد وأنا في واد . ولحدق الذي عاناني مما ابتلاكم به ، فقال له . قد رسم لي إن لم توافق أن أعتقلك . قال افعلوا ما بدا لكم ، فاعتقلوه في خيمة ( ٢٢٦ ) وكان الشيخ يقرأ القرآن والسلطان يسمعه ، فقال يوماً للملك الفرنج ، تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن ؟ قالوا نعم . قال هذا أكبر فسوس للمسلمين ، وقد حبسته لانكاره على تسليم حصون المسلمين لكم ، وعزته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه ، ثم أخرجته نجاء إلى القدس وقد جذدت حبسه واعتقاله لأجلكم ، فقال له ملوك الفرنج : لو كن هذا فسيبنا لفسلنا رجله وشربنا ماءها . ثم إن الله نصر المصريين وهزم هذه الجوع ، نجاء الشيخ إلى مصر ، وأقبل عليه السلطان الصالح نجم الدين أيوب وولاه خطباتها وقضاءها وفوض إليه عمارة المسجد للهجرة بمصر والقاهرة ، فأقام على ذلك زمناً . ثم عزل نفسه عن الحكم . فتلفظ السلطان في رده فبأمره مدة وعزل نفسه

مرّة أخرى ، وتلطّف مع السلطان أن يحمي عزله وأمنه ، وأبقى جميع  
 نوابه من الحكّام . وولاه تدريس المدرسة الصاخية بالناهرية . ثم مات  
 نجم الدين ووصل ابنه « تودان شاه » . فعامل الشيخ أحسن معاملة . ثم  
 أقضى ملك بن أيوب وصارت الدولة إلى الأتراك فعامل نجل منهم الشيخ  
 بكبير الإكرام ولا سيما الظاهر بيبرس . فبه كن منفع تحت كلمته  
 لا يستطيع أن يخرج عن أمره ( ٣٢٧ ) وبمات الشيخ في زمنه أمر  
 أمراءه وخاصته وأخذاه بتشييع جنازته وحمل نعشه . وحضر هو دمه ،  
 ولما مات اجنزة تحت القلعة وشاهد كثرة خلق الدين معها قال لبعض  
 خواصه « اليوم استقرّ أمرى في ذلك ، لأن هذا الشيخ لو كن يقول  
 للناس أخرجوا عليه لا تخرج الملك منى

٣٢٨ وتناوب على عظمة الشيخ أن « خجيرة » راء ، لما ولت  
 مصر بكر في بعض نسايقه على ما لا يبتلى المسلمون بهؤلاء امرأة .  
 ومعلوم أن الخليفة المستعصم أرسل يعصب أهل مصر على نوابها  
 ٣٢٩ وأمر ما بدا من عدائته أن « الظاهر بيبرس » لما أقام خلافة  
 بمصر وأثبت قاضي النصارى سم خليفة المستنصر لم يتقدم ببيعةه إلا  
 بعد أن بايعه الشيخ ، وكذلك لما أعقبه الخليفة أحمك بايعه الشيخ أولا .  
 ثم بعده السلطان ثم القضاة والأمراء .

٣٣٠ قال الشيخ الباحي - طلع شيخنا عز الدين مرّة إلى السلطان  
 في يوم عيد إلى القلعة . وشاهد العسكر معطفين بين يديه وجلس  
 الملكة وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة وقد خرج على قومه في

زوجه على حادة سلاطين اديار المصرية ، وأخذت الأمراء تقبل الأرض  
 بين يدي السلطان ، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه : يا أيوب ما حجتك  
 عند الله إذا قال لك ألم أبوي لك ملك مصر ثم يبيع الخور ؟ فقال هل  
 جرى ذلك ؟ فقال نعم . الحدة الفلانية يباع فيها الخور وغيرها من  
 المنكرات وأنت تقف في نعمة هذه المملكة . يباذله كذلك بأعلى صوته  
 والمساكر والقصور . فقال ياسيدي هذا ما عملته ، هذا من زمان أبي .  
 فقال أنت من الذين يقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة ؟ فرسم السلطان  
 بإظهار ذلك . سألته قال الهاجي سألت الشيخ ما جاء من عند السلطان  
 وقد شاع هذا الخبر ، ياسيدي كيف الحال ؟ فقال يا شيخ رأيت في تلك لعظمة  
 فأردت أن أهيئه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه . فقلت ياسيدي أما خفته ؟  
 فقال والله يبي استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قد أوى كل قط

« ذكر كاتبة الشيخ مع أمراء الدولة من الأتراك »

٣٣١ - وم جماعة ذكر أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار ،  
 وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين فيهم . ذلك فعظم  
 الخطب فيه واحتدم الأمر . والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعا ولا شراء  
 ولا سكاه وتعطت مصالحهم بذلك . وكان من جنتهم نائب السلطنة  
 فاستشاط غضبا ، فاجتمعوا وأرسلوا إليه فقال . لتقدركم مجلسا ويباذلي  
 عليكم لبيت مال المسلمين ، وبحصل عتقكم بطريق شرعي ، ورفعوا الأمر  
 إلى السلطان . فبحث فيه فلم يرجع . فخرت من السلطان كلمة فيها علة  
 حاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر . وأنه لا يتعلق به .



وأسكنهم بقلعة الروضة وسماهم « البحرية » وهو الذي أكثر من شراء  
الترك وعتقهم وتأميرهم ولم يكن ذلك قبله ، فقلع الشيخ عز الدين بن عبد  
السلام تقوية الكبرى في يوم أولئك الأمراء وصرف ثمنهم في  
مصالح المسلمين وقال بعض الشعراء ينكر على السلطان :

الصالح المرتضى أيوب أكثر من ترك دولته يائس محلوب  
قد أخذ الله أيوب بفعله قالنا كلهم في ضرة أيوب  
٣٣٢ حكى الشعبي قال : أفتدني عبد الملك بن مروان إلى ملك

الروم فلما وصفت إليه جعل لا يسأل عن شيء إلا أجبت ، وكانت الرسل  
لا تطيل الإقامة عنده ، فحبسني أياما كثيرة حتى استعشت خروجي ،  
فما أردت الانصراف . قال لي ، من أهل بيت الملكة أنت ؟ فقلت لا  
ولكني رجل من العرب في الجلمة . فمس بشيء . فدعمت إلى رقعة ،  
وقال لي . إذ أدت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة ، قال  
فأدبت الرسائل إلى عبد الملك واسميت الرقعة . فلما عرفت في بعض  
الآثار أريد الخروج فذكرتها فوجدت فأوصلها إليه فلما قرأها . قال لي أقال  
لك شيئا قبل أن يدفعا إليك ؟ قلت . نعم قال لي من أهل بيت الملكة  
أنت فمت لا ولكن من العرب في الجلمة ، ثم خرجت من عند الخديفة  
فلما بلغت الباب رددت ، فلما مدت بين يديه . قال لي ، أتدري ما في  
الرقعة ؟ قلت ، لا . قال اقرأها فقرأتها فإذا فيها . عجت من قوم فيهم  
مثل هذا كيف ملكوا غيره ، فقدت له ولقد لو علمت ما فيها ما حنيتها .  
وإنما قال هذا لأنه لم يرك ، قال أتدري لم كتبها ؟ قلت ، لا ، قال

حسدني عليك ، وأراد أن يغري بقتل ، فتأدي ذلك إلى ملك الروم ،  
فقال ما أردت إلا مآل .

٣٣٣ - كثر النعمي عمر بن هيرة الفزارى أمير العراقي في قوم  
حبسهم ليطلقهم فأبى ، فقال : أيها الأمير إن حبستهم بالباطل فالحق  
يخرجهم وإن حبستهم بالحق فالمفوى يسهم ، فاطلقهم

٣٣٤ - الليث بن سعد - كان من عظمته لا يقطع أسراء مصر  
أسرا دونه . ورغب إليه المنصور أن يلى له فاعتذر ، فقال أما إذ أبيت  
فدنى على رجل . وكان له في كل يوم أربعة مجالس

٣٣٥ - وكان اسماعيل بن البسج الكندي قاضى مصر يذهب الى  
إبطال الوقف فحاجه الليث وقال قد حبس النبي صلى الله عليه وسلم وأبو  
بكر ومروان وعثمان وعلى وطلحة والزبير فمن يتى بعد هؤلاء ؟ وكتب الى  
الخليفة «المهدى» «نورد الكتاب بعزله ، فأتاه الليث فجلس إلى جنبه وقال  
للقارىء اقرأ كتاب أمير المؤمنين . فقال له اسماعيل : يا أبا الحارث وما كنت  
تصنع بهذا ؟ والله لو أمرنى بالحروج لخرجت ، فقال له الليث : والله إنك  
لضعيف عن أموال المسلمين ، وكذلك كان كتاب الليث إلى الخليفة  
ما قمنا عليه في الدينار والدرهم إلا خيراً ، إنا لم نتكر عليه شيئاً غير أنه  
أحدث أحكاماً لا نعرفها

٣٣٦ - عن يعقوب بن داود الوزير : قال لى أمير المؤمنين  
«المنصور» لنا قدم «الليث» العراق ، الزم هذا الشيخ فإنه ما بقى أحد  
أعلم بما كان ، منه



٣٣٧ - قال أشهب بن عبد العزيز : كان ليث أربعة مجالس كل يوم ، جلس لحوائج السلطان ، و جلس لأصحاب الحديث ، و جلس لأصحاب المسائل ، و جلس لحوائج الناس لا يسأله أحد فيردّه ، صغرت حاجته أم كبرت ٣٣٨ لما خرج الظاهر « يدرس » إلى قتال التتار بالشام . أخذ فتاوى العلماء به أنه يجوز له أخذ مال من الرعية ليستنصر به على قتال العدو ، فكتب له فقهاء الشام بذلك ، فقال هل ين أحد ؟ فقل نعم ، بى الشيخ محي الدين النورى : فطلبه فخر ، فقال أكتب خطك مع الفقهاء ، فامتنع فقال ما سبب امتناعك ؟ فقال أنا أعرف أنك كنت فى الرقّ للأمير « بندقدار » وليس لك مال ثم من الله عليك وجعلك ملكا ، وسمعت أن عندك ألف مملوك كل مملوك له حياصة من الذهب ، وعندك مائتا جارية لكل جارية حق من الحلى ، فإذا أنفقت ذلك كله وبقيت ممالكك بالبندود الصوف بدلا من الحوائص ، وبقيت الجوارى بشياهن دون الحلى ، أمتيتك بأخذ المال من الرعية ، فغضب « الظاهر » من كلامه وقال : أخرج من بلدى . يعنى دمشق . فقال السمع والمعاة ، وخرج إلى « نوى » ، فقال النقاء ، إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا ومن يعتدى به ، فأعده إلى دمشق ، فرسم برجوعه ، فامتنع الشيخ وقال : لا أدخلها والظاهر بها ، فأتى الظاهر ببد شهر

٣٣٩ - ولما حضر حدى باشا الجزائر إلى مصر وخرج الأمراء المصريون إلى الجهة التقبلية واستباح أموالهم وقبض على نسائهم وأولادهم وأمر بأنزلهم سوق للزاد ويبيعهم ، زاعما أنهم أرقاء لبيت المال ، لتأفعل

ذلك ، اجتمع الاشباخ وذهبوا إليه ، فكَذَّبَ الخاطب له الشيخ محمد أبو  
الأنوار قاتلًا له : أنت أتيت إلى هذه البلدة وأرسلت السلطان إلى إقامة  
العدل ورفع الظلم كما تقول ، أوليس الأحرار وأمهات الأولاد وهتك  
الحريم ؟ فقال هؤلاء أرقاه لبيت لئال : فقال له هذا لا يجوز ولم يثن به  
أحد . فانتأظ عيظاً شديداً وطلب كاتب ديوانه . وقر له : أكتب أسماء  
هؤلاء وأخبر السلطان بمعارضتهم لأوامره . فسمي له السيد محمود  
البنواري : أكتب ما تريد بل نحر مكتب أسماءنا بخدمة ، فأخبروا الكف  
عن إتمام قنده . وتذبح أموال الأمراء وودائعهم . وكن إبراهيم بك  
الكبير قد أودع عند أبي الأنوار ودبعة ، فأرسل يطلبها . فاستنم عن دفعها  
قاتلا إن صاحبها لم يمت . وقد كتبت على نفسي وثيقة فلا أسلم ذلك مادام  
صاحب في قيد الحياة . فاستند غيظاً المسمومة وتصد البش به ، فحياه الله  
منه ببركة لا تصار له في . فكان يقول . لم أر في جميع الملوك التي ولحتها  
من اجترأ على مخالفتي مثل هذا الرجل فإنه أحرق في ٣٤٠ ١٢٠٠  
٣٤٠ - حدثني الشيخ علي الحرلي : أن الشيخ حسن الطويل  
العالم المشهور ، دخل يوماً على الخديوي وعينه عبيته . فأراد رجلاً  
النشريات على أن يجمعها . فأتى وقال . أتني بهارني ولا أقبل بها  
الخديوي ؟

٣٤٣ - وقال لي المرحوم محمود بك أبو العمر : أن الشيخ حسن  
الطويل كن من العزة في نفسه والثقة بالله تعالى على جانب لم يبال معه  
الدنيا ولا أهلها ، كن إنماني بروحه ولا تهمة الثياب -- حدثني أن

رياض باشا وهو رئيس الحكومة ونظر المالية جاء مدرسة دار العلوم  
 يوما . وكان على موعد فيها من علي مبارك باشا . فدخل حجرة المدرسين  
 ومصادف أن كن بها إلا - نادى فسمع حائفاً وجلس منحرفاً متفتغداً ، فبادره  
 الشيخ الحديث . ثم قال له : يا باشا ، أما أنت أقم أن تجملوني معكم ناظراً ،  
 فأخذ رياض باشا دعشا وقال له : ما هذا يا شيخ حسن ؟ قال ما نسمع يا باشا ،  
 قال فأى نظرة تريد ؟ قال المالية . قال لماذا ، قال لأستبيح أموالها ،  
 فوقف الباشا ، ودخل على باشا مبارك وسمع آخر الحديث ثم خرج مع  
 رياض باشا وهو يشررو ويقول له : لا بد أن تخرج هذا الرجل من خدمة  
 الحكومة ، قلت على اننا كرت ؟ وما نسمع مع علماء الأرض وهو عالم عالم  
 فلنعود بك : وكان في التوردد كروم ، رغب على الشيخ جواسيس إذ بلغه  
 أنه يذعن على الانجليز ، يمكن الواحد منهم لا يفارقة حتى يأوى إلى البيت ،  
 وكان الشيخ يجلس على قهوة بالأزهر ، وصاحبها هو الذي يتبعض راتبه  
 ويتورأى الحرف على منزله . فلما طار الأمر ، ألبس جواسيس وصار يتقدم معه  
 ولا يبان أن يتكلم فمامهم تا ينظر له . ولا يهتبه ما يروونه عنه ، وفي يوم  
 رجع الجاسوس إلى التوردد . ثم شيع قال له نعال يا أخى اقعد هنا . ونحن  
 قوم لم نرفعهم إلا بشكوة السداع نبلينا بالسرطاني . لا كان الله لائرك  
 ولا لا عبيد أخ كلما سمع التوردد هذا . قال : إذن فالتشيخ وطى يهته بلده  
 وكان يذعن أنه متعصب ديني ، ووقع عنه الجواسيس ورغب إلى وزير  
 المعارف أن يزيد في راتبه وكان ١٢ ج في الشهر فنصار ٢٠ ج . لكثرة  
 ما كان يحدثه عنه العلماء المستشرقين ، قال محمود بك ، وصارفت هذه

للواقعة قبل أن يطلب رياض باشا ما طلبه بأيام ، ولذلك قال على مبارك  
باشا لرئيس الحكومة : وأيضاً فإن الورد كتب إلى يتطلعه المزيد في  
واتبه ، فكان رياض باشا الذي طلب عزل الشيخ ، هو الذي أخذ  
زيادة الراتب

٣٤٢ - وحدثني محمود بك أبو النصر قال : كثر على مبارك باشا  
كثيراً ما ينشئ مدرسة دار العلوم لأنه هو الذي أشأها . وكان يحل الشيخ  
« حسناً » غاية الإيجاز ، والشيخ ما ذكر يعني بملازمة كذا قلت ، فلما زيد  
واتبه ، دخل الباشا يوماً فوجد الشيخ بثيابه لم يزد فيها . فقال له يا شيخ  
حسن لقد حسنت الحال وزاد الراتب . أفلا تغطي من ثيابك ، فلم يكن  
من الشيخ إلا أن قام إلى السجدة ، وأخذ بيده اصبع طباشير ، وقال  
يا باشا . ما قيمة ثيابك التي عليك ؟ فدهش على باشا ، وصمم الشيخ أن  
يحيب فتوتهما ٢٥٠ ج . قال قوم ثيابي وأبئس فيها . فبغت ٧ قرشاً ،  
قال وما إيرادك من منصبك وملاكك ؟ فأخبره . فعمل الشيخ حاسبة  
تناسب طاعت بها ثياب الشيخ بالنسبة إلى إرادته أغلى من ثياب  
الباشا أضعافاً مضاعفة ، فلم يسمع الباشا إلا أن يقول : أنت آمنت

٣٤٣ - وحدثني الأستاذ الشيخ منصور مهران : أن الخديوي حدد  
يوماً يزور فيه مدرسة دار العلوم : وكانت تظاير وقتذاك إبراهيم بك  
مصطفى ، فاهتم المظاير بتزيين المدرسة ، وكان منه أن أشار على الشيخ حسن  
الطويل ليحسن زينة يوم الزيارة . قال الأستاذ ، ففي يوم الزيارة لم يحضر  
الشيخ ، وأرسل عيبة فيها كسوة حسنة ، وقال للرسول : قل لناظر إنك

يريد زياً يقابل الخديوى ، فيها هو ذاتى العيبة ، فهبت الناظر وتوسل إلى الشيخ أن يحضر كما يهوى ، فجاء بتلابسه العادية ، وجاء الخديوى ومعه ناظر للمعارف تفرى باشا جلسا فى درس الشيخ وهو يقرأ من جلوس حتى فرغ والناظر واقف ، فقام الخديوى وسلم على الشيخ ، وأبدى له الكرامة ، وأخذ يحدّثه هو وتاخر للمعارف ، والحديث يحمى له جانب يستدعى أن يحاطب الشيخ ناظر المدرسة فيسمّيه إبراهيم بك ، وعلم الشيخ بعظمته ، أن القيسة للابس لا للملابس

٣٤٤ - وحدّثنى الأستاذ: أن اللورد كرومر دخل على المرحوم

الشيخ محمد الإقبانى شيخ الجامع الأزهر وسلم عليه . فردّ الشيخ التحية وصافح اللورد من جلوس : فاستعظم اللورد هذا ، وفعد بجوار الشيخ وقال له : يا سيدنا الشيخ ، ألسنت تقوم للخديوى ؟ قال نعم ، قال فلم لم تقم لى ؟ قال : إن الخديوى ولى الأمر ، وأما اللورد فليس منّا ، قال محدّثى . ووقع جواب الشيخ من اللورد موقع الإعظام . فأكره نفس الشيخ وصراحته فى مسدده وأولاه مزيد الاحترام . وقيل إنه كتب الحدث فى أحد تقاريره لحكومته

٣٤٥ - وحدّثنى عن المرحوم الشيخ محمد عبده . أنه مرّ يوماً على

اللورد كرومر يزوره . فقابلته السكرتير ولم يكن يعرفه . وأخبره بنعية اللورد ، فترك الشيخ بطاقته ، وتمشى على النيل ، فلما رفضت البطاقة للورد وعرف الزائر . أرسل السكرتير على عجل يعتذر للشيخ ، ويدعوه . لأن اللورد فى حاجة لمقابلته ، فقال الشيخ ، بلّغه التحية وقل له فى وقت آخر

وَأَبَى أَنْ يَعُودَ

٣٤٦ وقال الأستاذ - رفع إلى الخديو أن الشيخ محمد عبده قبل يد الخاور  
كرهه وهو يودعه على الخصة ، وكان الشيخ مدعو للعشاء عند الخديو  
مع آخرين . فلما ابتدأ الطعام سأله الخديو عما رفع إليه . قال الشيخ منصور  
حدثني من كان مدعواً ليلتها مع الشيخ محمد عبده . أن الشيخ حينما سمع  
السؤال من الخديو . جرى . ورفع يده عن الطعام . فرفعت أيدينا ، وندم  
يتكلم كعب وسط مدرسة . يقول : يا أفندينا . تعرف أن لم أقبل يدك  
ولو كنت هناك يد أجنبية لكنت يد الخديو . فكيف مع هذا يتصور  
أن أقبل يد الخاور ؟ وأمثل هذا الكلام . قال فاعتذر الخديو إلى الشيخ  
وقل . فاتهم الله . إنهم لكذوبون . ولم يهدأ الشيخ حتى اعتذر

## الثامن الماركة لهم

٣٤٧ -- نتيجة لازمة لما عرضنا عليك من أحوال العلماء وآثارهم  
وعزة العلم وسلطانه ، أن يكون العلماء أهل تكريم ، وأولى الخلق وأحقهم  
بالتعظيم . والعلم كز في أصله أرفع من الملك . وكان الملك يسعى للعلم لأن  
الملك يحتاج إلى العلم ولا يحتاج العلم إلى الملك . حتى جاء « فرعون » وادعى  
الآلوهية . فلم ير أنه يتقدم مع جلالها أو يسعى إلى غيره ، ولم ير من  
العلماء الأصلاء يسعى له . فخلق وزيره وهامان واسيلة له بأز يدب أولاد  
السلافة القديسة ، ومن هؤلاء كانت ذلة العلم وأهله . ولكن فلما نور العلم  
الصافي مودوثاً في أهل الحفاء يعزونه ويعزهم ، فعزهم سادته واستقام

الملوك والسوقة لهم بالتبجيل والكرامة - وفيما مضى من أبواب الكتاب آيات تدل ، ونورد مرفعا خالصة لهذا الباب

٣٤٨ - لما دخل الحسن بن محمد بن الحسين على عمر بن عبد العزيز ، حنا له على ركبتيه وقال له : إيه أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ، فقتل له : يا عمر ، ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان من إذا رضى لم يدخله رضاه في باطل ، ومن إذا غضب لم يخرج به غضبه عن الحق . ومن إذا قدر لم يتناول ما يس له

٣٤٩ - وكذا منصور يأمر بالصياح على الناس في الموسم : لا يفتي الناس إلا ما لك ، وابن أبي ذئاب

٣٥٠ - عن عبد الله بن رجاء التمداني قال . كان لأبي حنيفة جار بالكوفة يسر . يعمل نهاره أجمع ، حتى إذا جئته الليل وجع إلى منزله وقد حمل لهما فطبخه ، أو سمكه فيشويها ، ثم لا يزال يشرب ، حتى إذا دب الشراب فيه . غر بصوت . وهو يقول :

أضاعوب ، ولى غنى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويذو هذا البيت حتى يأخذ به اليوم . وكان أبو حنيفة يسبح حنيفة ، وأبو حنيفة كان يصلي الليل كله . فتند أبو حنيفة صوته ، فسأل عنه ، فقيل أحده الشمس منذ ليل وهو محبوس . فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من تحت دركب بنته واستأذن على الأمير . قال الأمير : يئذوانه وأقبلوا به واكبوا . ولا تدعوه ينزل حتى يئذوا البساط ، ففعل ، فم يزل الأمير يوسخ له من مجلسه ، قال ما حاجتك ؟ قال ، لي جار

إسكاف أخذه الممس منذ ليال ، يأمر الأمير بتخليته ، فقال نعم . وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا ، فأمر بتخليتهم أجمعين ، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراه . فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه فقال يا بني أضعناك ؟ قال لا بل حفظت ورعيت ، جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ورعاية الحق . وثاب الرجل . ولم يعد إلى ما كان

ج ١١ ص ٢٢ تاريخ طبرستان

٣٥١ - وبمناسبة هذا البيت الذي كان الإسكاف يتغنى به ، نروى قصة كلمة منه بل حرف من الكلمة . أخذ هام على تصحيحه ثمانين ألف درهم قال النضر بن شميل : دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو ، وعلى أُمّهم مترددة (مترفة) . فقال : يا نضر قد دخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الشيا ؟ فقلت : إن حرّ مرو لا يبرأ إلا بمثل هذه (الشيا) الأخلاق . قال ولكلك رجل متمشّف . فتجارتنا الحديث فقال المأمون : حدثني هشيم بن بشير ، عن مجالد . عن الشعبي ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوج الرجل المرأة لديها وجهها كان فيه سداد من عوز » هكذا قال سداد بالفتح ، قال صدقوك يا أمير المؤمنين . وحدثني عوف الأعرابي عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا تزوج الرجل المرأة لديها وجهها كان فيه سداد من عوز » وكان المأمون متكاً فاستوى جالساً ، وقال : السداد لمن عندك يا نضر ؟ قلت نعم هاهنا يا أمير المؤمنين ، وإني هشيم لمن وكن حاجة ، فقال ما الفرق بينهما ؟ قلت السداد : القصد في الدين والطريقة والسبيل ،



والسداد البلغة ، وكل ملسدت به شيئا هو سداد ، وقد قال المرجى :

أصاعوني وأى قى أصاعوا      ليوم كربة وسداد نغر  
قال : فاطرق المأمون مليا . ثم قال : قبح الله من لا أدب له ، ثم أخذ  
يسأله عن أخليات العرب ، وأنصفه ، وأفمنه ، ونشده أبياتا جزلة  
فيما سأل ، فقال له أحسنت يا نضر ، وكتب إلى الفضل بن سهل بحسينه  
ألفا ، وأمر خادما بإيصال رفقته وتجهيز ما أمر به ، فخطبت معه إليه ،  
فلما قرأ التوقيع ضحك ، وقال لى يا نضر : أنت الملحن لأمير المؤمنين ،  
قلت لا . بل لهشم ، قال فذاك إذا . وأسلم لى الحسين ألف درهم وأمر  
لى بثلاثين ألفا

١٠٥٥ ص ٢٠ ط ٥

٣٥٢ أقول : باب تكريم الأمراء والعلماء والعلماء بمادة ماف  
أيتهم . كان له أفضل الأثر في استفتح العتوز والإيفال بها في مدح  
العلوم حتى أطرف العلماء ولوكم وأنهم يحير مما نلوا ، وهذه شحنة  
الأمم اسية ، يخدمون العلم بالمادة فيتوى العلم على خدمة المادة والروح ،  
وبهذه الوسيلة رعت أمم أحياء وسبقت أمم أخول بما أطلب الأمراء  
به العلماء ، فأطلب العلماء به الأمم . سوق إلى المجد وحن على مله ونصبا  
لغايتهم من طريقها الممد ، ولو شئت أن أفتح هذا الباب لا تأثير  
العلماء في العلم والعلماء ، فخرجت عن مدار الكتب ، ولكن عجت  
بالقارى على صرف من هذه الناحية لأهيب بالحاضرين أن يعرفوا فصل  
السابقين ، وأن يعلموا أن الفضل الذى يمرح الغرب فيه الآن من تعاون  
الأمراء والعلماء إنما كان شرعة أسلافهم ونهج آبائهم ، سلكوه فمروا ،

ونتكبناه فكان ما كن . مما نحن فيه الآن . والليل على هذا ماثر في تاريخ الاسلام . قال من يطع عليه يمدد وبصيرة يرى العلم الاسلامي قد دهمت آسسه . واشتعلت بماؤه في مدى القرنين الاولين ، والقرنان اللذان وليا . كلنا التحسين الصريح وتزويقه والخرقة فيه والروقة به . ثم غدت بعدهم عين العلم اعفاءة تقطع أحيانا على يتحات متسرّقات : الى أرجاء القرون السبع الهجرى . وفيه شهود الروح المسلمين . إذ آيتهم التتار من الشرق والافرنج من الغرب بهجمات كن الظنّ ألا قبل هم بها . ولكن وعد الله كن بفيها . شمع الروح شمل الأمراء والامراء للاضطلاع بأعباء الدفاع . والحق يتال ان المبريتين ووب الاسلام وأخلصا للمسلمين وردا لماديه عنهم وعن بلادهم فكان العلم من هذا التلاقى عود الى الحياة ورجعة الى النروج . ولكن أمواجه في تلك القرون كانت أشبه بأعراج البهيرات لا مدد لها من البحر المحيط ، فكانت جهود العلماء فيها جهود من يدور في دائرة لا يخرج عنها ، بعد أن كانت حدود العلم في القرون الأولى مرفوعة وآفاق العلماء غير منطوقة . الى أن جلا العدو عنهم ، والمانت دار الاسلام بهم ، ودهمت قترات التحول همهم . ورجعت كن نفس في صدرها ، وانحارت كل طائفة الى حوزها ، وفطمت أسباب الاتصال . ونسيت تلك الكتل البشرية منة الله في خلقه وناموس الاحتمام في حاكمه . حينئذ انقضت فتيلة العلم في هذا المحيط المظلم وغنا الحراس وأهمل للسيمون فكذبت البجلة التي تسبق القجر أحلك ما تكون من قطع الليل إلا نجوما خافتة ترائى ولا ترى ، حتى إذا جله

الغرب بعلومه وآثار علومه صحاحا المسلمون على نوره وهو يخصص أبعاضهم  
ولفتى عيونهم بهم لا يرونه ولا يرون به ، وان رأوا فليس ينجلي لشبكيات  
عيونهم تجنيه لأصحابه ومتاعهم به . فكنا كصاحب الدار دحسها الأمر في  
غضته فسلم ما فيها وأبانت يا . ثم عاد وصاحبها نثم فحتمها وسكنها وأزل  
بها أهلها ومتاعه ، حتى إذا زاد ضجيجهم في فناءها وغرقها نيت صاحبها  
من وسط حجته دها عجباً من تغير الحال وتكسر الآل ونصور الباع  
وصيق الدراع : وصاحبها الجديد يومض نوره الجديد ويقول له بلفته  
الجديدة : يا صاحب الدار إن اليوم صاحبها . وصدق الله العظيم ( ولقد  
كُنَّا فِي الزُّبُرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ . أَنْ الْأَرْضُ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ )

٣٥٣ - وهذه حرفة من حُرف هارون الرشيد الذي بلغ الإسلام  
في زمنه مستقر المؤدد بما كن يواليه أولياؤه من رعاية دينهم وديارهم .  
نرى الرشيد العالم الخاضع الغازي الذي فنى عمره في عمل الخير والصلاح  
لأمتة ولدينه لا يفوته وهو يحج بيت الله من سنوز ، فهو يوقد كبر  
مفتية أيا حده عنه ثم يجيزه عليه ما سمعه ، وهكذا حوط الراعي لمطامته  
يشمر اللهام والهام . وبذلك زحزحت . ودانت الدنيا للمسلمين الأولين  
قار إسحاق الموصلي دعان الرشيد لما حج فقال : صر إلى موضع  
كدا وكذا من المدينة فإن هناك علاما بمنون يعنى صوتنا حسنا وهو :

ها فتان لما قمر فخلق وبالشب على شبي بدلان  
وله أم . قصر إليها ، وأقم عندها . واحتل حتى تأخذه ، فخت  
أستدل . حتى وقفت على بيتها تخرجت إلى فوهيت لها مائتي درهم ،

وقلت لها ، أريد أن تحتالي على ابنك حتى اخذ منه الصوت اللطاني  
فقاتت نعم وأدختني دارها وأمرتني فصعدت إلى عليه لها ، فلبثت أن  
جاء ابنها فدخل . فقالت له ياسليمان فدتك نفسي ، أمك قد أصبحت  
اليوم خاترة مفرمة ، فاحب أن تغني ذلك الصوت « هما فتانان لانا نعرفا  
خلقى » فقال لها ، ومتى حدث لك هذا الطرب ؟ قالت ما طربت ، لكني  
أحببت أن أتفرح من هم قد لحقني . فاندفع فغناه . فاستمت أحسن  
من غنائه . فقاتت له أمه . أحسنت فديتك . فقد والله كشفت عن قطعة  
من همي . فأسألك أن تعيده ، قال ، والله مالي نشاط ، ولا أشتري غمي  
بفرحك ، فقلت له : أعدده مرتين ولك درهم صحيح نشتري به ناطعاً  
( نوع من الحلوى ) قال ومن أين لك درهم ؟ ومتى حدث لك هذا السخاء ؟  
فقالت . هذا فضول لا محتاج إليه ، وأخرجت إليه درهماً أعطته إياه  
فأخذته وغناه مرتين . ودار لي وكاد يستوى فأومأت إليها من فوق أن  
تستزیده فقاتت ، يا ابني بحق عليك إلا أعدده ؟ فقال ، أضن أنك  
تريدين أن تأخذه فتعيرى مغنية ، فقالت ، نعم كذا هو ، قال لا وحق  
القبول لا أعدده إلا بدرم آخر ، فأخرجت له درهماً آخر فأخذته ، وقال  
أظنك والله قد ترندفت وعبدت الكباش فهو ينقد لك هذه الدراهم ، أو  
قد وجدت كزراً . فغناه مرتين ، وأخذته واستوى لي ، ثم قام تفرج  
يعدو على وجهه ، فجئت إلى الرشيد فغنيته به وأخبرته بالقصة ، فطرب  
وضحك ، وأمر لي بألف دينار ، وقال لي ، هذه بدل مائتي درهم

٣٥٤ - ودخل عمرو بن عبيد يوماً على أبي جعفر المنصور في خلافته  
وكان صاحبه وصديقه قبل الخلافة وله معه بالسر وأخباره فقرّبه وأجلسه  
ثم قال له عطى . فوعظه بمواعظ منها : إن هذا الأمر أصبح في يدك ، لو  
جئ في يد غيرك بمن كان قبلك لم يصل إليك : فاحذر ليلة تخض يوم  
لا ليلة بعده . فلما أراد النهوض ، قال قد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم ،  
قال لا حاجة لي فيها ، قال والله تأخذها ، قال لا والله لا آخذها ، وكان  
للمهدي ولد المنصور حاضراً ، فقل ، يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟  
فالتفت عمرو إلى المنصور وقال بمن هذا الفتى ؟ قال هو ولي العهد ، ابني  
المهدي ، فقال ، أما والله لقد ألبسته لباساً ماهو من لباس الأبرار ، وسميته  
باسم ما استحقّه ، ومهدت له أمراً أمتنع ما يكون به ، أشغل ما يكون عنه  
ثم التفت عمرو إلى المهدي ، فقال : نعم : يا ابن أخي إذا حلف أبوك حنثه  
حكك لأن أباك أقوى على الكفارات من حكك . فقال له المنصور ، هل  
من حاجة ؟ قال : لا تبعث إليّ حتى آتيك . قال إذن لا تلتقي ، قال هي  
حاجتي ، ومضى فاتبعه المنصور طرفة ، وقال :

كلكم بمشي رويد

كلكم يطلب صيد

غير عمرو بن عبيد

ومات عمرو هذا ودفن بموضع يقال له مرّان فرثاه المنصور بقوله :

صلى الإله عليك من متوسّد قبراً مررت به على مرّان

جراً تضمن مؤمناً متحنفاً صدق الإله ودان بالعرفان

لو أن هذا الدهر أتى صالحاً أتى لنا عمرًا أبا عثمان

ولم يسمع بخليفة يرثى من دونه . سواء

٣٥٥ - قال نعيم المدني : قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة

ومحمد بن عمران الفلعي متوكل القضاء بها وأنا كتيبه ، فحضر جماعة من

الجمالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور في شيء ذكروه ، فأمرني أن

أكتب كتاباً إلى المنصور بأحدور معهم أو لا معهم . فقلت له يعفني من

ذلك فإنه يعرف حقي . فقال أكتب فكتبته وختمت ، فزاروا الله ما عفى

به غيرك ، فخطبت به إلى الربيع حاجبه وجمعت أعتدر إليه . فقال لا بأس

هليك ، ودخل بالكتاب على المنصور ثم خرج الربيع قتال للناس وفد

حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم ، بن أمير المؤمنين يقرأ عليكم

السلام ، ويقول لك . إني قد دعيت إلى مجلس أحبك فلا أحد منك يقوم

إذا خرج . ولا يبدأني بالسلام . قال ثم خرج وبين يديه السيوف والريبع وأنا

خلفه وهو في إزار ورداء ، فسلم على الناس فما قام إليه أحد ثم مضى حتى

بدأ بقدر النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ثم اتفقت ، ولم يره ابن عمران

القاضي أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتجب به . ودعا بأحدور الجمالين . ثم دعا

بالمصور ، فادّعى عليه النجوم ، وعفى لهم عليه . ثم انصرف ، فلما دخل

المنصور الدار . قال للربيع اذهب فإذا قدم القاضي من شيبه فدعه . فلما

دعا ودخل على المنصور ، سلم عليه فردّ عليه السلام ، وقال له . جزاك

الله عن دينك وعن نبيك وعن حبيبك وعن حبيبتك أحسن الجزاء .

قد أمرت لك بعشرة آلاف صلة لك فافضها . فكأنت عامة أموال محمد

ابن عمران من تلك الصلة فما أترك سلوك السنن القويم واتبع الصراط  
المستقيم « من ١٥٠ جلد المريد ليدك الجديد »

٣٥٦ - وقال المأمون : ما قدمت بغداد إلا لا كتب كتب الواقعي

« من ٣٤٥ جلد المريد »

٣٥٧ - كتب الواقعي هذا رخصة إلى المأمون يذكر فيها علة

الذين وغمه بذلك ، موقع المأمون على ظهرها : فيك خاتان ، السخاء  
والحياء . فأما السخاء فهو الذي طلق ماملكك . وأما الحياء فهو الذي  
منعك من إطلاعا على ما أنت عليه ، وقد أمرنا بكذا وكذا ، فإن كنا  
أصبنا إرادتك في بسط يدك . فإن خزائن الله مفتوحة ، وأنت كنت  
حدتني . وأنت على قصاء الرشيد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهري  
عن أنس بن مالك ( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للزبير : يا زبير  
إن باب الرزق مفتوح باب العرش ، ينزل الله على العباد أرزاقهم على قدر  
حقائهم ، من قبل قليل له ، ومن كثير كثير له ) قال الواقعي . وكنت قد  
أسيت هذا الحديث . فكانت تذكره يراي أحب إلى من جائزته ، فل  
هارون بن عبد الله القاضي الزهري بلغني أن الجائزة كانت مائة ألف  
درهم ، فكان الحديث أحب إليه من المائة الألف « من ١٥٠ جلد المريد »

٣٥٨ - أقول : إن هذا اللطف الملوكي في كتب المأمون إلى

الواقعي . مبعنه عزة العلم وشعور الكاتب بعظم من يكتب إليه حتى  
يؤنسه بأخذه عنه الحديث . وأنه يعرف ما فيه من حلال الفضل ، فتوصل  
بذكرها إلى الاشارة بها والاحتجاج لها والقيام بأمر أصحابها . ولا عجب

في هذا بعد أن يكون قدوم المأمون بغداد ليكتب عن الواقدي كما يقول الخليفة نفسه ، وكان بعد اتصاره على أخيه قد تبطل أزمانا ، ولا يخفى قالوا قدي ( محمد بن عمر بن واقد ) هو كما قالوا فيه ( أمن الناس على أهل الإسلام - وأعلم الناس بأمر الإسلام ) واليه يرجع الفضل في جمع تاريخ الإسلام وتحقيقه على الطريقة التي يقولون إنها مستحدثة كما سترى في الفصل الآتي

هذا العالم العظيم ، كان الفصل في انتشار علمه ونوهر راحته وتفتح روضه للوزير الكريم يحيى بن خالد البرمكي . فهو الذي عرفه ولمح عزته فأعزاه وخفف العيش عليه ، وأقام لعله دولة كان كاتبها محمد بن سعد صاحب الطبقات المشهور بكاتب الواقدي ، وفي سوق القصة تعريف لكرم الحكيم ونبل الرياسة . ومن عرف هذا الكرم كانت حياة الواقدي - فقد كان الواقدي مع علمه حنوطا بالمدينة يتجرف في الحنطة ، حصلت في يده مائة أم درهم للناس يصوب بها خسرها كآب ، فشعر إلى العراق وفقد يحيى البرمكي وسأل الإذن ، فقرر له الحجاب هذه الكلمة السامية للتعريف بمعادة ذلك الوزير السلي ( إذ قدم الطعام إليه ، لم يُحجب عنه أحد ) وأدخلوه عيه في ذلك الوقت ، فمر أول جلسة عرفه الوزير وأفاده . وسأله العود إليه فعادده أربعة أيام أفاد فيها أربعة آلاف دينار ، ثم أقطعه دارا وأثبأه وسأله المقام معه وأعطاه ماسد دينه وأصبح حاله ، فأقام بأهله في ناحيته ونولي قضاة الجباب للشرقي ببغداد ثم ولأه المأمون القضاء بمسكو المهدي فلم يزل قاضيا حتى مات



قال « الخطيب » : كان الواقدي جواداً كريماً مشهوراً بالسخاء ، وهو من طبق شرق الأرض وعربها ذكره ، ولم يخف على أحد عرف الناس أمره ، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي ، والسير ، والطبقات وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم ، والأحداث التي كانت في وقته وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم . وكتب الفقه ، واختلاف الناس في الحديث وغير ذلك اهـ  
« تاريخ بغداد ج ٢ »

٣٥٩ - وكان القاضي أبو يوسف لا ينزل عن بغلته حتى تطأ بساط

المجلس

٣٦٠ - وقال لازون بن اسماعيل : ما رأيت أحداً قط أطوم لأحد من المعتصم لابن أبي دؤاد ، وكان يسأل الشيء ان يسير فيستنع منه ثم يدخل ابن أبي دؤاد فيكلمه في أهله وفي أهل النعمور وفي أهل الحرمين وفي أقاصي أهل المشرق والمغرب فيجيبه إلى كل ما يريد . ولقد كلمه يوماً في مقدار ألف ألف درهم ليعفر بها نهراً في أقاصي خراسان فقال له وما على من هذا السهر ؟ فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يسألك عن المطر في أمر أقصى رعيتك كما يسألك عن المطر في أمر أدناها ، ولم يزل يرفق به حتى أطلقها اهـ

وإعزاز المعتصم هذا لأحمد لم يكن مبتدئاً به ، بل كان له مثله وأجلّ عند المؤمنين ، حتى كتب عنه في وصيته التي كتبها لأخيه المعتصم دستوراً يسير عليه بعد توليه ، قال فيها « وأبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد لا يفارقك الشركة في المشورة في كل أمرك . فإنه موضع

ذلك ، فلما ولي العتصم ، الخلافة جعله قاضى القضاة وخص به أحد حتى لا يفضل فعلا بامتنا ولا ظاهرا إلا برأيه ، ولما مات العتصم ، ظل كذلك عند ولده الواقى بالله

٣٩١ - ولما مات أبو اسحق الشيرازى واقضى عزاءه وكان أول من درس بالمدرسة النظامية ، رتب مؤيد الملك بن نظام الملك « أبا سعد المتولى » مكانه ، فلما بلغ الخبر إلى نظام الملك - كتب بإنكار ذلك ، وقال : كان من الواجب أن تخلق المدرسة سنة لأجله ، وزدى على من تولى موضعه ، وولى غيره

٣٩٢ - وكان نظام الملك هذا الوزير الأشهر إذا قدم عليه إمام الحرمين أبو المعالى ، وأبو القاسم القشيري صاحب الرسالة المشهورة فى التصوف ، بالغ فى إكرامهما وأجلسهما فى مقعده

٣٩٣ - ولما عاد إمام الحرمين إلى نيسابور ، فى أوائل ولاية السلطان ألب أرسلان السلجوقى ، والوزير يومئذ نظم الملك ، وإمام الحرمين هو من هو ، بنى له المدرسة النظامية بنيسابور ، وحضر دروسه بها أكابر الأئمة ، وانتهت إليه الرئاسة ثلاثين سنة غير مراحم ، وانظر نبذة ٢٢٥ وقد مرّ عليك فى نبذة ٣٠٦ ما صنعته الملك الكامل للمحدث السلفى وقد بنى له مدرسة بالاسكندرية

٣٩٤ - وقد سبق القول فى نبذة ٢١١ أن نضر الدين بن شيخ الشيوخ المتولى أمر الملكة المصرية فى زمن الصالح بنى « طبلخانه » على مسجد - أمر القاضى عز الدين بهدمها وأسقط ابن الشيخ من

ولايته لذلك . وظنّ نحر الدين أنّه لا يتأثر بهذا الحكم في الخارج ،  
فاثّق أنّ السلطان جهّز رسولا إلى الخليفة المستعصم ، فلما أدّى  
الرسالة ، قال له الخليفة : هل سمعت هذه الرسالة من السلطان ؟ قال  
لا ، ولكنّ حُثنيها عنه نحر الدين ابن شيخ الشيوخ ، فقال الخليفة :  
إنّ المذكور أسقطه ابن عبد السلام ، فنحن لا نقبل روايته ،  
فرجع الرسول إلى السلطان حتى شافهه بالرسالة ، ثم عاد إلى بغداد  
وأدّاها . اهـ

٣٦٥ - حدثني أبي رحمه الله : وكان قد قدم لطلب العلم بالجامع  
الازهر في أواخر أيام شيخه الشيخ ابراهيم البيجوري رحمه الله . قال  
أبي : كتب لي شيخ الجامع ورقة بمساحة اصبعين أقدمها للمدير هنا  
نصّها ( ولدنا مدير الدقلية - رافعه من طلبية العلم يجب إكرامه - خادم  
العلم والفقراء ، الختم ابراهيم البيجوري ) قال أبي : فرغت هذه  
الورقة من عائلتنا كلّها ظلم تلك الأيام ، وعائلتنا من السخرة والمواع  
وجميع تلك المظالم ، قال ، ووقعت من شأنى عالم أحسنه بعد هذا . لمن نال  
أكثر وأكثر

٣٦٦ - وفي أثناء طبع هذا الكتاب أطلعني شقيقى البكباشى عبد  
الحى على هذه التسمية ، عثر عليها في أوراق أينا ، وهي مستند يدلّ  
على بقاء الإعراز للعلماء - وقد أخذت صورتها بالزئكفراف :

در مجموع، این پژوهش نشان داد که

10

محرم پر پہلے اکیس روزہ اللہ کریم عارف و رافع العوالم المستغنیہ

اسماء بنت ابی بکر و امیر و دوی عقیقت اجداد و جد کردند.

المعلمين في مصر

٣٦٧ - وحدثني أبي : أن الخديوي عباس الأول كان يجيء الأزهر  
ويحضر به درس الشيخ البيجورى فيجلب له كرسي قش صغير من قهوة  
بهدية أمام باب المزينين ، يجلس عليه بجوار المستعدين

٣٦٨ - - ومالك مصر الملك فؤاد الأول يقابل عصبته في أيام  
التشريفات ثم يكون العلماء أول الداخلين عليه ، ومن ورأيهم سائر  
رجال المملكة

٣٦٩ - وحدثني أبي ( الشيخ سليمان إبراهيم النورى ) المتوفى سنة  
١٣٢٢ هـ وكان رحمه الله من علماء التشریفة السابقين قال : ما كان أحد  
يجلس وتنزل له القهوة في أيام التشريفات غير الأمراء والعلماء . وغيرهم  
يقابلهم رب القصر وهو واقف فيسلمون وينصرفون . وقال : كان لعلماء  
للتشریفة يوم سبت من كل أسبوعين يلقون فيه ولى الأمر . يجلس اليهم  
وتدور القهوة عليهم ويتكلم معهم ويسمع ما يقولون ؟ ونسى هذه التشریفة  
الصفوى لا يلبسون فيها كساء التشریف إنما هم بلباسهم عليها المراديج  
٣٧٠ أقول : ( والنورى ) نسبة إلى بلدنا كرم الدور من أعمال

مديرية الأقضية ، حدثني أبي أن أول من لقبه به شيخه المرحوم شيخ  
إبراهيم السقا . وكان أبى تلميذاً الأول وقارىء الكتاب في درسه على عادة  
أهل العلم في ذلك الزمن . قال رحمه الله : لما زار السلطان عبد العزيز مصر  
أمر لعلماء الأزهر ببضعة آلاف وزعت عليهم . فكتب كل شيخ أسماء  
طلابه وجاء مدير الأوقاف يوزعها عليهم . وجلس في مسجد محمد بك أبو  
الذهب قبالة الأزهر . فكل من يدعو كل شيخ إذا وصل الدور إلى كنفه فيقعد

معه حتى يصرف لتعليمه . قال أبى وكنت فى ذلك الوقت شاباً أتعلى فى  
ملابسى ، وكنت أصبح الجليلب عند « العجّاغ » أبى صاحب النتيجة  
المشهورة ولا يصبح عنده إلا الأثرياء ، وعلى قفطان بلدى وذى فى ذلك  
الوقت مع الشباب وجيه . فلما نادى الكّتابسمى ( الشيخ سليمان النورى )  
تلفت الحضور جميعاً وجئت فسمعت البشا يقول للشيخ انسقا وهو  
بجوارده ما هذا الاسم « النورى » ؟ فأجبه الشيخ أنه نورى . أى نورى أنا  
فضحك البشا وسر

## العلم - والعمل

٣٧١ - أو مصناك فى هذا الكتاب بلغات من علم النور الذى  
يهدى به الله . ويسمو صلحبه حتى يهلو على طامة المادة وتدلّ له الملة  
بصامرها ، العلم الذى أعزّه أهله ورقوا له حتى استعبدتم فاستعبد لهم  
من سوام . وذافوه فعرفوا أنه لا حدود له . وعرفوا بسمته تقصيرهم  
فيه فجذوا له ونهموا ، وطالب العلم منهم لا يشبع ( ٣٦٤ ) . فيل لأبى عمرو  
ابن الملا ، حتى متى يحس بالمرء أن يتعلم ؟ قال مادامت الحياة يحسن به اه  
٣٧٢ - وكانت الدنيا كلها دار علم لهم ، يقتفلون فى أقطارها كما  
يقتفل أطعمال اليوم فى غرف للكتب . معادتهم إذ ذاك الرّحل والنقل  
وهوهم فى التلق والتلاق عادة متبعة وشئشنة معروفة - ( ٣٦٦ ) قال ابن  
الاثير فى مختصره : كن أبو سعد واسطة عقد البيت السمعاني . رحل  
فى طلب العلم والحديث إلى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها ،

وسافر إلى ما وراء النهر وسائر بلاد خراسان عدة دهرات . وإلى قومن  
والري وإصبهان وهمدان وبلاد الجبال والعراق والحجاز والموصل والجزيرة  
والشام وغيرها من البلاد التي يطول ذكرها ويتمذر حصرها ، ولقى  
العلماء وأخذ عنهم وجالسهم وروى عنهم واقتدى بأفعالهم الحيلة وآثارهم  
الحيدة . وكانت عدة شيوخه تزيد على أربعة آلاف شيخاً .

٣٧٣ — قال أبو أسامة : ما رأيت رجلاً أطلب للعلم في الآفاق من  
ابن المبارك ، وقال ابن المبارك . حملت عن أربعة آلاف شيخ غرويت  
عن ألف منهم . قال العباس بن مصعب في تاريخه . وقع لي من شيوخه  
( ابن المبارك ) ثمانمائة ، وقد جمع ابن المبارك الحديث والفقه والعربية  
والشجاعة والسخاء والتجارة والزهد والشعر والفصاحة والخلق والفرو  
وقيام الليل ومحبة الفرق له

٣٧٤ وقال السيوطي العالم المصري المشهور في ترجمته لنفسه  
سافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب  
والشكروراج وذكر العلوم التي رزق التبخر فيها والعلوم التي أحاط بها  
وقال لو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفًا بأقوالها وأدلتها العقلية  
والقياسية ومداركها ونقوصها وأجوبتها والموازاة بين اختلاف المذاهب  
فيها : لقدرت على ذلك من فضل الله : لا يحول ولا يقوى الخ

« في ١١٩ ج ١٦ إسن المحاضرة »

٣٧٥ — وقد أقدم ( العلماء ) الانقطاع إلى العلم سعة في أنظارهم

وبركة في عقلهم ومعقولهم؟ وغذاء قامة لمداركهم وقوام العقيدة ، وفيما وقفنا عليه من أحوالهم مدهش يعجب له من يسمعه حتى ليضله بعيداً عن التصديق ولكنه الواقع الذي أفاده الاقطلاع له والتوقف عليه ، وفي كثرة ما يروى عن جمهرة من العلماء قرينة صادقة على حصوله وصحة وقوعه ، فقد روى أن الامام أحمد بن حنبل صاحب المسند والمذهب المشهورين كلّف بحفظ ألف ألف حديث

٣٧٦ - وقال يحيى بن معين : كتبت يدي هذه ستمائة ألف حديث وكتب له المحدثون بأيديهم ستمائة ألف وستمائة ألف - وخلف يحيى هذا من الكتب مائة قطر ، وأربع حباب شراية ( جمع حُب وهو الخاية ) مملوءة كتباً وانتهى إليه من علماء الأقطار حتى قال أحمد بن حنبل فيه : كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث

٣٧٧ وأملئ شمس الأئمة السرخسي كتابه «المبسوط» نحو خمسة عشر مجلداً . وهو في السحن نازحند ، كان محبوباً في الحب بسبب كلمة نصح بها الخافان ، وكان يملئ من خاطره من غير مطالعة كتاب وهو في الحب ، وأصحابه في أعلى الحب ، وقال عند فراغه من شرح العبادات : هذا آخر شرح العبادات بأوضح المعاني وأوجز العبارات . أملاء المحبوس عن الجمع والجماعات ، وقال في آخر شرح الإقرار : انتهى شرح الإقرار المشتغل من المعاني على ماهو من الأسرار ، أملاء المحبوس في محبس الأسرار . وله كتاب في أصول الفقه وشرح «السير الكبير» أملاء وهو في الحب . ولما وصل إلى باب الشروط حصل له الفرج فأطلق ، فخرج في آخر عمره إلى



«فرماتة» فأثر له الأمير حسن بمزله . ووصل إليه الطلبة فأكل الاملاء

١ ص ١٥٨ هـ روائع البنية في تراجم الخطبة

٣٧٨ وقال الخطيب في تاريخه : كان للواقدي ستمائة قطر كتب

وكان يقول : ما من أحد إلا وكتبه أكثر من حطه ، وحفظي أكثر من

كتبي ، قال ابراهيم الحربي : الواقدي أعلم الناس بأمر الاسلام ، حدثت

الكلي أنه سمع الواقدي يقول : ما أدركت رجلاً من أشاء الصحابة وأهله

الشهداء ولا مولى لهم إلا سألته هل سمعت أحداً من أهلك يهرك عن

مشبهه وأين قتل ؟ فإذا أعلى ، مضيت إلى الموضع فأصابته . ولقد مضيت

إلى ( المريسيم ) فنظرت إليها ، وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى

أصابته أو نحو هذا الكلام . قال خدي بن منيع قال ، سمعت هرون القروي

يقول : رأيت الواقدي بمكة ومعه ركة فقلت أين تريد ، فقال أريد أن

أمضي إلى ( حنين ) حتى أرى الموضع والوقعة . قال العباس : وحدثني

من أثق به وهو أبو أيوب بن أبي يعقوب قال سألت ابراهيم الحربي

قلت أريد أكتب مسائل مالك ، فأبى أعجب . مسائل ابن وهب أو ابن

القاسم ؟ فقال لي ١٠ كتب مسائل الواقدي ، في الدنيا أحد يقول سألت

مالك والنوري وابن أبي ذئب ويعقوب ( أبا يوسف ) غيره ؟ أراد أن

مسائل الواقدي أكثر لأنه أجمع . ولا يقتصر على جمع ما عند إمام واحد

١ ص ١٦٢ ع ٤ تاريخ بغداد

٣٧٩ - أقول : وطريقة الواقدي هذه طريقة « الجامعيين »

المتحدثين الذين يزعمون أنهم سبقوا الأوثان في نهج تحقيق المسائل ،

فالواقدي المؤرخ الفحل يرى ويكتب . ويسمع ويكتب . وهو على

ما يكتب قادر محيط . إن شاء وسبح وإن شاء اختصر ، فقد عرف عنه أنه يجمع روايت الرجال وأحاديثهم وينسجها في برد يشهره ، فرغبوا إليه أن يميز رواية كل راو ويسردها وحدها ، فأخبرهم أن هذا يطول ، عرضوا أن يطول . فتاب عنهم جمعة ، وأفرد روايات المحدثين عن غزوة « أحد » وجاءهم بها عشرين مجلداً ، فحفلوا وسألوه أن يرجع إلى سبيله ، الأول بعد أن عرفوا غور بحره وبعد ساحله

٣٨٠ - وقال أبو علي القلى : كن أبو بكر بن الانبارى يحفظ فيما ذكر ثلثمائة ألف شاهد في القرآن الكريم ، وقيل له قد أكثر الناس في محفوظاتك فكيف تحفظ ؟ فقال أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً ، وقيل أنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن بأسانيدها ، ومن جملة تصانيف الانبارى عريب الحديث . قيل أنه خمس وأربعون ألف ورقة ، وكتاب شرح السكافي وهو نحو ألف ورقة . وكتاب الهاءات نحو ألف ورقة ، وكتاب الأنداد ، وكتاب الجاهليات ، وهو مسمائة ورقة ، والمذكر والمؤنث ما عمل أحد أئمة منه ، ورسالة المشكل ردّها على ابن قتيبة ، وأبي حاتم

٣٨١ - وكان أبو عمرو : المعروف بفلام ثعلب ، مشغولاً بالعلوم واكتسابها عن اكتساب الرزق والتحصيل له ، فلم يزل مضيقاً عليه . وكان لسعة علمه وغزارة حفظه يملأ أكثر تصانيفه بلسانه من غير صحيفة يراجعها ، حتى قيل أنه أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة في اللغة

٣٨٢ - قال الوليد بن يزيد : لحاد الرواية ، بما استحققت هذا

اللقب فقيل لك الراوية ؟ فقال بآنى أدوى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به : ثم أدوى لأكثر منهم عن تعرف أنك لم تعرفه ولم نسمع به : ثم لا أنشد شعراً قديماً ولا محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث ، فقال إن هذا العلم وأيتك كبير ، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثيراً . ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام . قال - أمتعتك في هذا . وأمره بالإنشاد : فأنشد الوليد حتى منجر ، ثم وكل به من التحلله أن يصدفه عنه ويستوفى عليه ، فأنشده ألفين وتسماية قصيدة للجاهليين . وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم

• • • • •

٣٨٣ - • • • • • تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ١٠٥ • • • كان المتنبي لا يسأل عن شيء إلا استشهد فيه بكلام العرب ، حتى قيل : إن الشيخ أبا علي المارسي قال له يوماً : كم لنا من الجوارح على وزن فعلى ؟ فقال المتنبي في الحال : جعلى وخربى . قال أبو علي ، فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجدهما ثالثاً فلم أجده . وحديث من يقول فيه أبو علي هذه المعالة

٣٨٤ - • • • • • وقرأت في ترجمة الكسائي - عالم العربية في عصره - أنه اجتمع يوماً بمحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي حنيفة . فقال الكسائي : من تبخر في علم يهتدى إلى جميع العلوم ، فقال له محمد : ما تقول فيس سها في سجود السهو ، هل يسجد مرة أخرى ؟ قال الكسائي : لا ، قال محمد لماذا ؟ قال الكسائي : لأن النجاسة تقول . المصغر لا يصغر ، قال محمد : فما

تقول في تعليق الطلاق بالملك ، قال لا يصح ، قال : لم ، قال : لأن الحيل لا يسبق المطر . اهـ

٣٨٥ وهذا لعمري علم النور ، وهذا وحقق نور العلم . صق  
ففس العالم حتى ما عاد يحبسها حجاب . وهذا القدر قدر العلماء أنفسهم  
وقد رم الس . قال ابراهيم بن احسن : كتأ عند المأمون . قدكروا من  
بايع من الأنصار ليلة العقبة ، فاختلفوا في ذلك . ودخل أحمد بن أبي دؤاد  
فقدم واحداً واحداً باستأبهم وكنام . فقال المأمون : إذا استجاس الناس  
فاضلا فتل أحمد . فقال أحمد : بل إذا جالس العالم خليفة فتل أمير المؤمنين  
الذي يهمه ، وبكون أعلم بما يقوله منه

٣٨٦ ومن قصة ابرأى دؤاد ، يرى لمع من حال موظفي الدولة  
الأولى . فلم تلت ماصبهم لتبعدم عن العلم ، أو لتقصيهم عن الانتظام في  
الخدمة من المنقطعين له . بل رجال لا تلبهم أعمالهم عن العلم وتبته  
والاستزادة من مناهله . والقيام في عماله بما ينادى باستحقاقهم لمناصبهم  
وتفوق أقدارهم على مراتبهم ، حتى يتقارض الخليفة والقاضي التناء علناً ،  
والنصاي في العلم جهاراً

وهذا قاض آخر ، لم يشغله مجلس القضاء عن مجلس العلم بل نكاد  
تشر به ، إذ كان القضاء بها مضى والعلم صنوى مجلس واحد ينتظمه المسجد  
الجامع أو دار القضاء العامة ، قال الإيكنوى : كان ليوح بن أبي مريم ،  
قاضي مرو الذي يلقب بالجامع ، لأنه كان جامعاً للعلوم ، كان له أربعة  
محالس . مجلس لآر ، ومجلس أقاويل أبي حنيفة ( وقد تفقه عليه ) ،

ومجلس النحو . ومجلس الشعر والأدب . ٢٢١ فوهائية .

٣٨٧ - وهذا ذكر لسابقة الزمان وحافظ الاسلام أبي عبد الله محمد ابن اسماعيل البخارى صاحب « الصحيح » الذى مكف المسلمون عليه بعد القرآن ، أخذناه طرقة من تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر ( ج ٢ ) فقد ألهم البخارى حفظ الحديث وهو فى الكتاب ثم رقت درجته حتى رد على شيخه « الداخلى » وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وسمع عنه جلة الشيوخ وهو ابن سبع عشرة ، وصنف تاريخه للشهور وهو ابن ثمان عشرة ، وخرج كتاب الصحيح من ستائة ألف حديث ، وسمعه تسعون ألف رجل ، ولم يضع فيه حديثاً إلا اعتسل وصلى ركعتين ، واطمأنت راحته بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره ، ويصلى ركعتين لكل درجة هذا الحافظ العظيم الذى كان يضارع مالكا فى الفقه والحديث ، ويحلس له مسلم صاحب « الصحيح » جلسة السائل المتعلم ، وتقابله الأمصار إذا دخلها مقابلة الفاتح ، ويخشع العلماء فى حضرته خضوع من يضلمهم الجبل . نشأ مشغولاً بالحديث . مشغولاً عمداً بعمى ، حتى روى عنه أنه سد ولا إلى أن مات ما اشترى شيئاً ولا باعه ، حتى الحبر والكاغد الذى يحتاجه ، كان يكلف غيره بشرائه . وروى أصحابه من عاشره أنه كان يقوم بالليل بصع عشرة مرة فيوقد السراج ويخرج أحاديث . فيعلم عليها ويقول البغدادي : أنه دخل فى طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار وكتب بحراسان والجبال ومدن العراق وآثارها وبالبحار والشام ومصر ، وقد ذكر البخارى ، أنه كتب عن ألف شيخ وأكثر . وقال ابن النصر :

دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها فكلمنا جرى  
ذكر البخاري فذاؤوه على أسمهم . وقد وُطن له نبوغه من صغره قوس  
أهل الكبر حتى لقبوه : الكبش النطاح ، ويذكر ابن اسماعيل اختلافه  
معهم في الصبا لسماع الحديث ستة عشر يوما على مشايخ البصرة والعلوية  
يكتبون وهو لا يكتب حتى طابوا عليه ما يضيغ . قتال لما أكثروا : أخرجوا  
ما كتبتم في تلك الأيام ، فاذا بالمكتوب خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها  
كأها عن ظهر قلب . وعُرف عنه هذا النبوغ فكان أهل المعرفة في  
البصرة يمدون خلفه وهو في الطريق حتى يجلسونه كرها فيستلي عليه  
الآلوف . هذا العظيم نشأ كما قلنا مشغولا بالعلم فترك ما عداه ، ويروي  
عن ابن حفص الأشقر أنهم فقدوه أباما من كتابة الحديث قال : فطلبناه  
فوجدناه في بيت وهو عريان وقد بعد ما عنده ولم يبق معه شيء . فاجتمعنا  
وجعلنا له الدراهم حتى اشتريناه ثوبا وكسونا ثم ابدع معنا في كتابه  
الحديث اهـ هذا القتي العاري . هو الذي كان يدخل الأمصار الخواضر  
فيتنادى الناس بمقدمه . ويتعادون لسماع الحديث عنه حتى يبلغ عله  
عشرين ألفا ويربدون . ومن عجب أن يكون معه في زمنه حفاظ الاسلام  
أبو زرعة بالري . ومسلم بنيسابور . والداري بسمرقند . وبقية أصحاب  
الأسانيد قريب من زمنه قبله أو بعده بقليل ، وكذلك الفحول في بقية  
العلوم ، أزمانهم كانت واحدة أو متقاربة مما يعجب له متتبع تاريخ الاسلام  
ويبلغ به عن خصص الاسلام ونماء العلم بين أهله في تلك الاحقاب  
٣٨٨ — ولا ترك القلم حتى تروى المعجبة التي وقعت للبخاري فداها

على أن الله يختص بفضله من يشاء ، وهي إعلان سماوي عن المدي  
 للدهش لقوى العقل البشري في الإنسان . قال ابن عدي : سمعت عدة  
 مشايخ يحكون ، أن محمد بن اسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به  
 أصحاب الحديث ، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقصوا متونها  
 وأسانيدها ، وجمعوا من هذا الإسناد لإسناد آخر ، وإسناد هذا  
 المئتين إلى آخر ، ودفعوها إلى عشرة رجال كل رجل عشرة أحاديث  
 ومروهم إذا حصروا المجلس أن يلقوها على البخاري ، وأخذوا منه  
 موعد المجلس حضر . وحضر جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل  
 خراسان وغيرها : ومن البغداديين . فلما استأن المجلس بأهله . انتدب  
 إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال  
 البخاري لا أعرفه . فسأله عن آخر . فقال لا أعرفه . فما زال يلقى عليه  
 واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه ،  
 فكان الغضب ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون :  
 الرجل فهم ، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز  
 والتمصير وقلة الفهم . ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث  
 من تلك الأحاديث المثوبة فقال البخاري لا أعرفه ، فسأله عن آخر فقال  
 لا أعرفه . فسأله عن آخر فقال لا أعرفه . فما زال يلقى عليه واحداً بعد  
 آخر حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه . ثم انتدب إليه  
 الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقولة  
 والبخاري لا يزيدهم على لا أعرفه . فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا .

التفت إلى الأوتار منهم فقال . أما حديثك الأول فهو كذا ، وحديثك الثاني فهو كذا والثالث والرابع على التوالي حتى أتى على تمام العشرة ، هرذ كل متن إلى إسناده . وكل إسناده إلى متنه ، وفصل بالآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها . فأقر له الناس بأخفها وأذعنوا له بالفضل

« ص ٢١ ج ٢ تاريخ ب ٥٠ »

أقول نقب البخاري عند العلماء هو ( أمير المؤمنين في حديث حبيب المرسلين )

٣٨٩ وفي ترجمة الإمام « الأوزاعي » عالم أهل الشام ، أنه أتى في سبعمائة مسألة . وهذا البحر الحظم يقول عنه أبو الفداء في تاريخه « ص ٧٠ ح ٢ » : إني فخر في قرية على باب بيروت يقال لها « ختوس » لا أعلم من أهلها وإني يقولون . هنارجل صالح « ؟ » انتهى أن « همد » أصبحت اليوم متصلة ببيروت وتسمى باسم « الأوزاعي »

٣٩٠ ومن هذا الفصل الذي تناه الله من شيء من عباده العلماء حتى تركت لهم الخصال ونفذ نوره فأضاه لهم فواعد العلوم وأوسع عقولهم شزعا . « الخلق النشوي منها ، لا يحب القساري » إن قلت له في « دأر يوسف » القاضي الذي اشتهر بالحق : إن اتفق كذا أقل علومه نعم « أبو يوسف » صاحب أب حيفة الأول ، واشرفهم ومنابطه ، والذي يعرف . طلاب مذهب الحنفية أن مسألة عن مسائله لا تترك حتى يكون لأبي يوسف فيها قول بالواقعة أو المخالفة . أبو يوسف هذا الذي بلغ



بمقه أنكر « قاضي الشرق والغرب » في زمن الرشيد . وأنكر أول  
 قاض في الإسلام حوطب بن « قاضي التتابة » وأنكر بمقه في قضاة  
 بعد عمر الدولة ورفعها . وحل كثير من مشكل أخلافة وأمر الملك  
 ونظم القضاء ورتب أمور العدل . أبو يوسف هذا الذي مضى لك في  
 الكتاب أن وقعه رفعه حتى أكل « كذا » أبو حنيفة له « الفلوج » يدهن  
 السمين مع الخليفة ، ويؤخذ من عمدة إياه رآه يوم مع رؤس أصحاب  
 أبو حنيفة . فتتبع مسألة عند أبي حنيفة من حين طلعت الشمس إلى  
 أن غابت الشمس . فلما قضي لأحمد على الآخر قال له الآخر أخطأت  
 ما حدث ؟ فوجد حتى ذكر آخر ذلك أن معنى لأبي يوسف على زور حين  
 يؤدى بالزور . فقام أبو يوسف . فقال : « ضرب أبو حنيفة على زور  
 وقال : لا تظلمن في الرئاسة بأرضي بكوني هذا » .

أقول مث: وأبو يوسف صاحب هذا الفن وصاحب هذا الفن فيه  
صاحب هذا الفن فيه أقول مث: وأبو يوسف صاحب هذا الفن  
قوله من يريد أن يعرف هذا الفن فليقرأ كتابه في هذا الفن  
صاحب هذا الفن فيه أقول مث: وأبو يوسف صاحب هذا الفن  
صاحب هذا الفن فيه أقول مث: وأبو يوسف صاحب هذا الفن

٣٩١ وكذا فاسم عن : إسماعيل الوصلي « نادرة الثناء في الغناء  
ونوسيقى - والذي يد الأواشي ويحقيقه أحد في الأواجر ، احادي في لهي  
فلا يوجد الة من آلات الموسيقى لا يعرف غايها ، ويكره تحي وبيعة

احذّاق من المعروفين فيها بالسباق يحيثون خلفه ، والمغنى علماً وهما ، فهو صاحب إنشاء وتلحين وأداء ، وهو من صغره إلى ثمائه يقرّ له الفحول بالرياسة ويخشونه في حضرته وفي غيبته . ثم يزيد عن الفن والعلم ، فيخترع ويصم القواعد كلها ، وترجم الكتب اليونانية بعد ذلك فتجىء طبق ما فكروا على استقامة ما ابتكر . وهو في كل ذلك لم يسبق إلى تعلمها ولا طلع على سلاطن العلوم التي لا ينال هذا للمال إلا بتسقيها ، اسحق الموصلي هذا الذي ملأ سمع الدنيا وسكر عيور أهاليها بفضه وبغنائه ، يقول صاحب كتاب الأغاني ، إن الغناء كان أصغر علومه وأقل ما حواه عقله قال أبو الفرج : موضع « اسحق » من العلم ، ومكانه من الأدب ، ومحلّه من الرواية ، وتقدمه في الشعر . ومترلته في سائر المحاسن ، أشهر من أن يدلّ عليه فيها بوصف ، وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به وإن كان لغالب عليه وعلى ما كان يحسنه . فإنه كان له في سائر أدوانه نظراء وأكدهاء . ولم يكن له في هذا نظير ، فإنه حق بمن مضى فيه وسبق من بقى . وأحب الناس جميعاً طريقته فأوضحها ، وسهل عليهم سبيلها وأبهرها . فهو إمام أهل صناعته جميعاً . ورأسهم ومعلمهم . يعرف ذلك منه الحاسن والعلم . ويشهد به الموافق والمهاذق . على أنه كان أكرم الناس باقتناء وأشدهم نقضاً لأن يدعى إليه أو يسمى به . وكان يقول : لو ددت أن أصرب كما أراد مرید مني أن أغنى . وكما قال قائل إسحاق الموصلي المغنى ، عشر مفارح ، لا أطيق أكثر من ذلك ، وأعنى من الغناء ولا يدسني من يذكرني إليه ، وكان أدامون يقول : لولا ما سبق على الستة

الناس وشهر به عندهم من الفتنه لوليتته القضاء بحضرتي ، فاعرف مثله  
ثقة وصدقا وعفة وفقها ، وقد روى الحديث ولقي أهله ، مثل مالك بن  
أنس وسفيان بن عيينة وهشيم بن بشير وإبراهيم بن سعد وأبي معاوية  
الضرير وروح بن عباد وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز : ولذلك  
روى ابن المنجم أن إسحاق سأل المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل  
العلم والأدب والرواة لأمع المفتين فأجاب ، ثم سأله بعد حين أن يدخل  
مع الفقهاء . فأذن له ، فكلن يدخل عليه ويده في يدي يحيى بن أكثم قاضي  
القضاة . وفي زمن الوراق كل إسحاق إذا علم عليه : يحضر مع الجلساء  
بغير عود ويدينه الوراق ، ولا يغنى حتى يقول له غن ، فإذا قال قدّم له  
عود حتى يفرغ فيرفع من يده | كراما له وبرآ

د ج ٥ ص ٤٩ ، ٥١٠ - ج ٦ ص ١٦٢ أنان

٣٩٢ - ولا نفوت الفصل قبل أن نعطّره بذكر الإمام ( إبراهيم  
المعمر ) الذي انتهت إليه رئاسة العلم بالكوفة ( نبذة ١٩ ) والذي إذا أطلق  
اسمه ( إبراهيم ) لا ينصرف إلّا إليه من غير حاجة إلى تعريف آخر ،  
ومنه يقول الشعبي : ماتك إبراهيم بعده أعلم منه . قيل له : ولا الحسن  
 وابن سيرين ؟ فقال : ولا الحسن ولا ابن سيرين ولا من أهل البصرة  
 ولا من أهل الكوفة ولا من أهل الحجاز ولا الشام إلخ . هذا العالم  
 العظيم ذكر ابن قتيبة عنه في كتاب ( المعارف ص ١٦٠ ) أنه أعلم العلم عنه  
 وهو ابن ثمان عشرة سنة . وكان رواية علمه حماد بن أبي سليمان شيخ أبي  
 حنيفة ، وبروايته عنه عرف ولقب . ويقول ابن خلكان : إنّه رأى أمّ

المؤمنين عائشة . وكلن يدخل إليها . وسأوى في «خلاصة» ثبت من أحد  
 عنهم وأحدوا . وفي سائر كتب العلم الاسلامي قال أن نجد كتابا حلا من  
 ذكره . وروى ابراهيم هذا الحديث ومات بسنة ست وأربعمون . وحرر  
 هذه الشهرة العلمية وهو يفرق منها وهي تتبعه . قال في خلاصة : كان  
 لا يتكلم إلا بإدائل . وقال معبرة المحدث : كتابها ابراهيم كما يهاب  
 الأمير . قال لأعمش : كذا ابراهيم يتوكل الشهرة ولا يحسن ان لا يصفوه به ،  
 هذا القدر ان يعثرى كل من موافق الجمع . ولكن يظهر أن العرب صوا  
 به . فهو في أكثر كتب النسب موصول بالنسبة بالعرب . حتى قال  
 «يونس» النسابة الراوية : قد ولدته العرب . ومع هذا اجلال العلمى الذى  
 برق به في عمره القصير : يحكون عنه أنه كل من احب . ويقصون من  
 مر حيا مع العلماء قصصا فكاهة مؤدية . ولما حضره ابو جريح حيا  
 شديدا . فقبل به في ذلك ، فقال : وأنى خطر أعصم ما أتاه به . حتى يرفع  
 رسولاً يرد على من ردى . إماما بنجاة بإمام النار . والله لو دبت أمها بلحج  
 في حلق الى يوم القيامة . وصدق الله العظيم : إنما يخشى الله من عباده  
 العلماء ﴿

٣٩٣ - أقول : إني معها تفكر في وصف العلم وذكر أثره . وذهبت  
 أحجم الشاهد والمنل على عجيبة ونوع أمره فليست بمدرك ما صنعه انقضى  
 إياس من معدوية . فقد كشف عظمة من عظائمه وسجنها في حكمه وهو  
 على فصاء البصرة . أكبر القاضى شأن العلم وأعظمه حتى أقامه مقدم السيادة  
 واخرية ، وجعله يفعل لصاحبه ما يروق حد الانسانية ويخرج به عن مرتبة

بشرية ، فقه روى ابن فتيبة في كتاب المعارف ص ١٦٢ . أن إياس  
هذا أجاز شهادة عبد العزيز بن صبيب وحده ! وعبد العزيز حدث وثقه  
أحمد بن حنبل . كان عبداً مملوكاً وأبواه مملوكين . نحوود إياس لعلمه عن  
رقه مع أنه لا شهادة لرفيق ، وفيها منه وحده والشهادة لاثنتين ، إذ رأى  
القاضي أن فصل العلم وصدق العام يغني عن العدد . حريه ( ٣٩٤ ) ولا  
يدخل أحد على حكر إياس وهو الذي بقي من القرن الأول في يومنا هذا  
مضرب المثل في الدكاء والحراسة والفظنة ، ولا يتهمه في حرب الحق وقد  
قضى وشهد على نفسه به ، في ترجمته أنه قال : ما عذب أحد قط سوى  
رجل واحد . وذلك أني كنت في محبس القضاء بالبصرة . فدخل  
على رجل شهد عدي أني بستان الفلاني وذكر حدوده هو بنت فلان .  
فقلت له كم عدد شجره ؟ فسكب ثم قال : عدد . يحكم سيدنا القاضي في  
هذا المجلس ؟ فقلت : مند كذا . فقال : كم عدد حشيش سقفه ؟ فقلت له :  
الحق معك . وأجزت شهادته ( ٤٩٥ ) ولا بأس أن نستعمل ما ذكرنا لبيته  
القضاء حتى نمكن للتدريء من رأى إياس في معجزة العلم . وأن رأيه  
فيها وفي إثباتها بالعجب رأى مستقل بأمر غير خارج ولا مخرج . إذ  
در لم يطلب القضاء وإنما مدد القضاء . ودفع عنه أن ينزله فاني  
فضله عليه إلا أن يقلده أولو الأمر فليدبه . فهو إذ يرى : إذ يقضى ،  
يسكون الرأى ما يراه إياس ، وكفى بالرأى متساقاً أن يدس إلى إياس ،  
وبالتقصاء جداً أن يكون قضاء إياس . كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز  
إلى عدي بن أرطاة . واليه على العراق : أن أجمع بين إياس بن معاوية .

والقاسم بن ربيعة الحرشي . قول قضاء البصرة أظنهما ، فخم بينهما ، فقال له إيلاس : أيها الأمير . سل عني وعن القاسم . فقيهي للصر ، الحسن البصري . ومحمد بن سيرين . وكل من القاسم يحبها وإيلاس لا يحبها ، فعلم القاسم أنه إن سألتها أشارا به : فقال له : لا تسأل عني ولا عنه . فوالله الذي لا إله إلا هو . إن إيلاس بن معاوية أفتقه مني وأعلم بالقضاء . فإن كنت كاذباً فما يحمل لك أن تولي وأنت كاذب . وإن كنت صادقاً فيبني لك أن تقبل قولي . فقال إيلاس الأمير : إني كنت برجل أوفقته على شفير جهنم فنجيت نفسه منها يسمي كاذباً يستغفر الله منها وينجو مما يخاف ، فقال عدي لإيلاس أما ذهبتما فأت لهما ، واستقضاء . فبري من هذا التحليل أن إيلاس فيها أحاز به شهادة عبد العزيز وهو السلوك ابن المملوك ، وأجازها منه وحده لا ثاني معه . إنما فعل ذلك كنهما منه عن عصية العلم ، وأنها تقوى أصحابها مقام الحرمة والعدد . وهو كشف يسجل بالعصار للكشف أو مكشف



٣٩٦ - وكما قلنا إن علم التور يرفع الحجب عن عيون علمائه حتى يبصروا ما وراء حدودهم ، مثله عندهم مصداق ما يروي عن السيد المسيح « النقي يعطى ويرد » فالعلم الحق في اوردباد ابداء وعلمه في نمو دائم وعقله يركه يتسم ويكرر في مدى عده الله من فضله على نماذج ما روينا كذلك نقول إن العلماء عرفوا حق العلم فراعوا معه الأدب في التزام حذره وتوزعوا شيعاً كل فريق لزم فرعاً واحتاز فناً وامتاز بفتن ، وفي هذا

التخصص برع المختص وخرج ، وعرف به وتلقى ، وقامت شهرته عنده  
 وحترمها الناس له . واحترم المشهورون أنفسهم فهم يعملون بها ويعلمون  
 الناس أن يعرفوها ولا يتخطوها . وكان حفظ العلم من هذا التخصص  
 وفيراً . فإنه يحير إلى أن العالم المختص تنشأ له حلّة سادسة خاصة بما  
 التزمه وتفرغ له . هذا البخاري سمع شيخه يروي عن سفيان عن أبي الزبير  
 عن إبراهيم : فقال له : يا أبا فلان . إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم . فأنهره ،  
 وكان البخاري ابن إحدى عشرة ، فقال له إرجع إلى الأصل إن كان عندك ؛  
 فدخل ويطرف فيه ثم خرج فقال : كيف هو يا غلام ؟ قال هو الزبير بن  
 عدي عن إبراهيم . فأخذ الشيخ قلمه وأحكم كتابته وصدقته

«مجموع ٢٤٧ تاريخ بغداد»

ومثل هذا كثير الحاصل في تراجم المحدثين حتى إنهم ليذكر كون من  
 متن الحديث حقيقته . وقد سمعت في ( نبذة ٣٨٢ ) ماقاله حماد الراوية عن  
 حاسته التي يعرف بها الشعر القديم من المحدث بمجرد سماعه

٣٩٧ وقال أبو عبيد : أنشدني « بشار » في شعر الأعشى

وأنكرتني وما كان الذي فكّرت من الحوادث إلا الشيب والصلما  
 وأنكر هذا البيت وقال : هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الأعشى  
 قال أبو عبيد . فعجبت لذلك . فما كان بعد عقر سنين كنت حالساً عند  
 يوسف فقال : حدثني أبو عمرو بن العلاء أنه سمع هذا البيت ، وأدخله في  
 شعر الأعشى وذكر البيت ( وأنكرتني أخ ) فجعلت حينئذ أزداد عجباً  
 من قصة بشار وصحة قريحته وحوودة نقله للشعر

«مجموع ٢٤٧ تاريخ بغداد»

٣٩٨ قال علي بن عبد الكريم زار بن جامع النقي . ابراهيم الموصلي فأخرج ثلاثين جارية ، فصرين جميع طرية واحدة وغنن فنال ابن جامع . في الأوتار وزر غير مستو . فقال ابراهيم بالله شدي مثلك ، فشدة فاستوى . فعجبت أولا من فطنة ابن جامع فوتر في مائة وعشرين وتر غير مستو ، ثم ازداد عجب من فطنة ابراهيم له بعينه . ر ٣٩٩ م . د . هـ .  
أقول : لا عجب . فإن التخصص بفعل المعجب ، فقد حدثنا استاذنا أحمد فهي العمروسي بك . وكان يدرس لما عد (تاريخ الالبان الطبيعي) في مدرسة القضاء الشرعي وذكر المرحوم الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد وأنه كان مرانته على التحرير لا يبالي أن يكتب والناس معه ، أو يكتب وهو يسمع لهم ويحدثهم ، ويكتب وهو يصرف أمور أمور جريدته ويخرج الكلام حذو ولا يقطع سلاسته ما يكور قد قدمه أثناء الكتابه . فعجبا فقال الاستاذ العمروسي لا تعجبوا . إن الشيخ عليا . رجل أصححت أفامه بالمرانته تعقل

٣٩٩ ولهدم المبرة أوغل علماء السبع فيها . ووزعوا الناس بينهم على علومهم ، وتفننوا هم . واتسعت دائرة العلوم في عصرهم . وتاهمهم أهل زمنهم على الترام حدودهم ، ولذلك لما قيل لسعيمان الثوري رأى مالك أحب إليك من رأى أبي حنيفة ؟ قال : أكتب عديب مالك فإنه كن يتقى لرجال ، وافقه صاعا أبي حنيفة وصناعه أصحابه كأنهم حقيقوا له ، وسئل الأعمش المحدث في مسألة فقال : إنما يحسن جواب هذا للثمان بن ثابت . وأطلته بورك له في علمه



٤٠٠ - ومن أنطلف ما أورده مثلاً على التخصص واحترام العامل له وتفرغ كل لخدمة منه . أن أبا حنيفة ذكر عند الأعمش المجتهد . فشر عن مسائل . فقال لأبي حنيفة ما تقول فيها ، فأجابه قال له . من أين لك هذا ؟ قال من أحاديثك التي رويتها عنك : وسرد له عدة أحاديث بطرقها فقال الأعمش . حسبتك . ما حدثتني به في مائة يوم تحدثني به في ساعة واحدة ؟ ما علمت أنك تعمل بهذه الأحاديث . يامعشر الفقهاء أنتم الأولياء ونحن الصيادلة

٤٠١ - ومع أن المجتهدين ما يلزموا مرتبة الاجتهاد الا يباوهم العاية في جميع العلوم الشرعية واستكملهم آلات الاجتهاد وكما من العلوم العربية والآدبية والمنايس الحكيمة الخ فإسبغهم من هم وفقر وروى الناس بهم على العلم الذي اجتهدوا له وفيه وهو انفق . وكانوا هم يسألون أهل الذكر في غيره . وبعدوم الناس في غيره إلى غيرهم . وفي ترجمة الواقدي قال محمد بن صالح ، مثل مالك بن أنس عن المرأة التي سميت النبي صلى الله عليه وسلم بحمير ما فعل بها ؟ فقال ليس عندي بها عمة وسأسال أهل بعث ، فاق الواقدي فسأله فقال : الذي عمدته أنه قتلها . فقتل مالك القديسات أهل البعث فأجبروني أنه قتلها

من ٨ ٤ ٣ ٢ ١

٤٠٢ - ومن أدق ما رأيناه في التزام حدود الاحتصاص . أن الأصمعي كان لا يفسر شعر ، يوافق تفسيره شيئاً من القرآن . وقد ساق صاحب الجهرة جملة من القول امتنع الأصمعي عن الكلام في تفسيرها لأنها وردت في القرآن . فن باب ما ينبغي على فعل وأفعل . بأن في الأمر

وَأَبَارَ ، وَذَرَى وَأَنَارَ ، إِلَى أَنْ قَالَ سِرَى وَأَسْرَى ، اِمْتَنَعَ الْأَصْمَعِيُّ عَنِ  
الْكَلَامِ لِأَنَّهُ فِي الْقُرْآنِ . فَقَدْ قُرِئَ : « فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ » وَاسْرَ بِأَهْلِكَ . وَسَرَدَ  
أَمْنًا لِأَنَّكَ ، وَسَجَّ هُوَ عَلَى مَنَوَالِهِ . فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ : الْأَنْثَامُ لَا أَحَبَّ  
أَنْ أَتَكَلَّمَ فِيهِ . لِأَنَّ الْمَفْسِّرِينَ يَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « يَلْقَى أَنْثَامًا » هُوَ  
وَادٍ فِي جَهَنَّمَ

« ص ٢٠٥ ٢٠٦ للزمر »

٤٠٣ - يَلِ الْأَعْجَبُ مِنْ هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ أَنَّ الْوَاعِدِيَّ مَعَ  
مَا كَانَ لَهُ مِنْ سَعَةِ الْعِلْمِ وَكَثْرَةِ الْحِفْظِ ، كَانَ لَا يَحْفَظُ الْقُرْآنَ . وَقَدْ وَقَعَتْ  
لَهُ قِصَّةٌ فِي هَذَا مَعَ الْأُمُومِ إِذْ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُصَلِّيَ الْجُمُعَةَ غَدًا بِالنَّاسِ فَا مَتَمَّ  
فَصَتَّمُ الْأُمُومِ فَاعْتَذَرَ بِأَنَّهُ لَا يَحْفَظُ سُورَةَ الْجُمُعَةِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُومُ ، أَنَا  
أَحْفَظُكَ . وَاشْتَغَلَ مَعَهُ ، كُلَّمَا حَفِظَ نَصْفَهَا الْأَوَّلَ وَانْتَقَلَ لِلثَّانِي نَسِيَ الْأَوَّلَ  
فَإِذَا عَادَ لِحِفْظِهِ نَسِيَ الثَّانِيَّ حَتَّى نَعِيَ الْمَأْمُومُ وَنَعَسَ ، وَوَكَّلَهُ لِعَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ  
فَكَذَلِكَ كَانَ حَالُهُ . حَتَّى اسْتَيْقَضَ الْمَأْمُومُ وَسَأَلَ عَنْهُ فَأَخْبَرَهُ عَلَى فَقَالَ  
الْمَأْمُومُ لَهُ . هَذَا رَجُلٌ يَحْفَظُ التَّأْوِيلَ وَلَا يَحْفَظُ التَّنْزِيلَ ، وَتَرَكَهُ

٤٠٤ - وَهَذَا حَنِينُ بْنُ إِسْحَاقَ اشْتَهَرَ بِالطَّبِّ وَالترجمة لَكُتِبَ  
الْحِكْمَةُ وَعَرَفَهُ النَّاسُ بِهَذَا الْخِسَابِ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ شَاعِرًا خَطِيبًا فَصِيحًا  
لِسًا . لَزِمَ الْخَلِيلَ بِالْبَصْرَةِ حَتَّى أَتَقَنَ الْعَرَبِيَّةَ . وَهُوَ الَّذِي أَدْخَلَ كِتَابَ  
الْعَيْنِ إِلَى بَغْدَادَ

٤٠٥ - وَإِلَيْكَ مِثْلَانِهَا عَلَى احْتِرَامِ الدُّوْكَ لِتَخْصُصِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى  
مَا يَتَعَدُّونَهُمْ . وَحَتَّى لِيُرْسَلَ الْخَلِيفَةُ « هِشَامُ » إِلَى السَّكُوفَةِ فِي احْتِضَارِ  
رَاوِيَةِ لَيْسَاءَ عَنْ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ رِيحًا كَانَ فِي حَاضِرَتِهِ دِمَشْقُ مِنْ يَهْتَبِهِ

وفيلده ، ولكن كما قلت هي حرمة التخصص ، والقصة طيبة يحكيها صاحبها ، قال حماد الراوية : كن انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك ، فكان هشام يحفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد ، فلما مات يزيد وأوصت الخلافة إلى هشام : خفته فكنيت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرّاً . فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنة ، أمنت فخرجت فسايت الجمعة ثم جلست عند باب الفيل فإذا شرطيان قد وقفا عليّ فقالا لي ، يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر . فقلت في نفسي : من هذا كنت أحذر ، ثم قلت للشرطيّين : هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فودّعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا ما إلى ذلك من سبيل . فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر : فسلمت عليه فردّ عليّ السلام . وودي إلى كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر . أما بعد . فإذا قرأت كتابي هذا فابعد إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مروع ولا متمتع ، وادفع إليه خمسمائة دينار . وحملها مهدياً يسير . عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق ، فأخذت الخمسائة دينار ، ونظرت فإذا حمل مرحول . فوضعت رجلي في الغرور . وسرت اثنتي عشرة ليلة حتى واصلت باب هشام . فاستأذنت فأدخلني : فدخمت عنده في دار فورا ، مفروشة بأرخام وهو في مجلس مفروش بأرخام . وبين كل رحامتين فتريب ذهب ، وحيطان كذلك ، وهشام جالس على طيفسة حمراء ، وعليه ثياب حرّ حرّ ، وقد تضحّج بالسك والعتبر . وبين يديه مسك مفتوت في

أواني ذهب يلقبه يده فتفوح روائحها . فسئمت فرد علي ، واستداني  
فدنوت حتى قبالت رجلا . وإذا جارستان لم أرقبهما مناهما في أذني  
كل واحدة منهما حننار من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقدان . فقال لي .  
كيف أنت يا حميد وكيف حالك ؟ فقصدت بخير بالأمير المؤمين . قال أتدري  
فيم بعثت إليك ؟ قالت لا . قال فبعث إليك أمير حننار ياتي بأمر من  
قائه ، قالت . وما هو ؟ فقبل :

ودعوا بالحبيرح يوما خدمت قينة في بحيرها إبريق  
فدت : هذا يقوله عدى بن زيد في قصيدة له . قال فأشدها .  
فأدث مدته :

سأر العاذلور في وضع شص - ح يقولون لي ألا تصديق  
ويأرمون فيك يا مة عبد الله والقلب عدهم موهوق  
أب أدري إذا أكثروا العدل عندى : أعمدو برسي أو صديق  
وأب حسنم - وخرج عجم وأثيب خدمت الجبين أتيق  
وثيا ممدحات عذاب لا مصار نرى ولا هن روق  
ودعوا بالدجوح يوم خلعت قينة في يمنهم . ما إبريق  
قدمنته على عقار كدير الله يك صق صلاحها الراورق  
مزنة قبل مزجها : هذا ما مزجت . نذ طعمها من يدوق  
وصفت فوقها فقايع كادر صغار يشيرها التصفيق  
ثم كن المزاج مع سماء غير ما آجن ولا مضروق  
عطرب هشام . وقال : أحسنت يا حماد ، سل حوائجك ، فنت :

كأنه ما كنت ؟؟ قارنهم . فنت إحدى الخاريتين . قارن جميعاً ثم  
عابهما وأطهما . ونزله في دار أئمتنا له فوجد الخاريتين وأقام مدة معه  
وصله به بمائة ألف درهم .

ص ١٠٠ ج ١ أعالي

مرويه

٤٠٦ يرى من المذهب هذا أن نقل كلمة لاسيوطي يؤخذ من  
بيان الطريقة الآتية في العبد والتعبد أيام طهارة الحافظ . ساوى فيها بين  
أحدث والنعة . وهو القائل ( عبيد أحدث واللغة أحوال يجريان من و د  
واحد ) قارن . ورواه أحمد في اللغة أربعة . إحداهما وهي العبيد .  
الإملاء كما أن الحافظ من أهل الحديث أئمة . صائغهم الإملاء . وقد  
أملى حفظ النعمة من المتفهم مير السكندر . فأبلى نعلب عالس عديدة في  
عهد ضخم . وأملى ابن دريد عالس كثيرة رأيت منها عالس . وأملى أبو  
محمد قاسم بن الأحمري وولده أبو بكر مالا يحصى . وأملى أبو علي انقالي  
خليفة مشهور . وغيره . ومروية عنهم في الإملاء كطريقة الحديث سواء  
يكتم المستعمل أو لا . ( شمس ) أملا شيخنا فلان بحاميه كذا في يوم  
كذا . ورواه التاريخ . ثم يورد لعلبي استناد كلامه عن العرب والفصحى  
فيه عالس . يحتاج إلى أن يشرح ثم يفسره ويورد من أشعارهم . بوعيرها  
تأسبده . ومن أمثلة الأعراف . سناد وغيره . إله ما يتعاره . وفيه كن  
هد في اندر الآل عشب كثيراً ثم ماتت الحافظ و تقطع إملاء اللغة  
من دهر مديد . واستمر إملاء الحديث . وفي شرعهم في إملاء الحديث  
سنة ثنتين وسبعين ومائة وحدثه بعد انقطاعه عشرين سنة . من

سنة مات الحافظ أبو الفضل بن حجر ، أردت أن أجدد إملاء اللغة وأحييه بعد دثوره ، فأملت مجلساً واحداً . فجدد له حملة ولا من يرغب فيه فتركته ، وآخر من علمته أملى على طريقة اللغويين أبو النعاس الزجاجي . له أمالي كثيرة في مجلد ضخم . وكانت وقته سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ، ولم أفد على أمال لأحد بعده « ص ١٠٩ ج ٢ »

٤٠٧ كذلك يحسن بنا هنا الإلمام بطرف من العلم في المغرب . فنورد وصفاً أجمل العلامة « المقرئ » للعلم ببلاد الأندلس في كتابه فتح الطيب ، وقد ألفه سنة ١٠٣٩ بعد أن ارتحل من بلاده ونزل القاهرة وخدم العلم الشريف بالأزهر المعمر . وهو وصف حاص بالعلوم الشرعية : إذ يظهر منها كانت طلبة السائلين عن حال تلك البلاد في ذلك الزمان . مما علومها الاجتماعية والآلية ، فينبؤك غيره عنها في غير هذا الكتاب . وكفى نعت الأندلس القديم شافياً وحيماً . قال رحمه الله : وأما حال أهل الأندلس في ميون العلوم . وتحقيق لا يضاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التمييز ، فالجاهل الذي لم يوفق الله للعبد . يجهد أن يتميز بصنعة . ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً صالة على الناس : لأن هذا عندهم في نهاية القبح ، والعالم عندهم معظم من التخاصة والعامة . يشار إليه ويحال عليه . ويديه قدره وذكره عند الناس ، ويكره في جوار أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك . ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على صلب العلم ، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة ، فهم يقرؤون لأن يعلموا ، لأن يأخذوا حارياً ، فالعالم منهم بارع ، لائقه يطلب ذلك

العلم يباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه وينفق من عنده حتى يعلم ، وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم : فإن لها حظاً عظيماً عند حواسبهم ولا يتظاهرون بها خوف العامة . فإنه كلما قيل : فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم ، أطلقت عليه العامة اسم « زنديق » ، وقيدت عليه آفاسه ، فإن زل في شبهة رجوه بالحجارة ، أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان . أو يقتله السلطان تقريباً لقلوب العامة : وكثيراً ما يأمر موكلهم بإحراق كتب هذا الشأن إذ وجدت . وبذلك تقرب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه ، وإن كان غير خال من الاشتغال بذلك في الباطن على ما ذكره الحجازي ، والله أعلم . وقراءة القرآن بالسبع ودرواية الحديث عندهم ربيعة ، ولهم روثق ووجاهة : ولا مذهب لهم إلا مذهب مالك : وخواسبهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر موكلهم ذوي العلم . وصحة الفقيه عندهم جليلة . حتى إن المسلمين كانوا يسمون الأئمة العظمى منهم الذي يريدون تدويره به الفقيه ، وهي الآن بالمغرب بمحلة القاضي بالشرق . وقد يقولون للكتاب والنحو والفقه ، فقيه . لأنها عندهم أرفع السمات . وعلم الأصول عندهم متوسط الحال ، والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة ، حتى إنهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه ، لا يزال مع هرم الزمان إلا جدّة ، وهم كثير والمحدث فيه وحفظ مذهبه كمذاهب الفقه ، وكل عالم في أي علم لا يكون متمكناً من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتمييز .

ولا سام من لا يذراه . مع أن كلام أهل الأندلس الشائع في احوال  
والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية . حتى لو أن شخصا  
من العرب سمع كلام « الشيوعيين أبي علي » المشار إليه بعد التحرف في  
عصره . الذي غربت نسايفه وشرقت وهو يقرى درسه . لضحك  
بملء فيه من شدة التعريف الذي في لسانه . والخاص منهم ، إذا تكلم  
بالعرب وأخذ يخبر على فوائد التحول - تنقصوه واستبدوه ، ولكن  
ذلك مراعى عندهم في اقراءات والمحاضرات في الرسائل ، وعن الأدب  
المنشور من حفظ التاريخ والنعم والآثر ومعرفة الحكايات أبلى غير  
عندهم وبه يتقرب من مجالس موكلهم وأعلامهم . ومن لا يكون فيه أدب  
من علمائهم فهو غفل مستنقل . والشعر عندهم له حفظ عظيم ، وللشعراء  
من تركهم وحاجة ولهم عليهم حفظ وروايات . واجيدون منهم يشدون  
في مجالس علمهم ، ويوفون لهم بالصلوات على أقدارهم .

« من ١٠٢ م ١ » ج ١ ط ١ »

سورة

٤٠٨ . وبهذه السنة التي التزمها علماء الاسلام في التخصص  
والتوزيع . أمكن المؤرخين والمحققين أن يتحققوا على مجموعات هائلة  
من أسماء علماء . لولا وسعهم بسمة خاصة بهم لضاعوا أو لاستعصى جمعهم  
وعدا بذلك سكر عد بل لسكن فرع طبقات . انتصر فيها كل عالم اشتهر  
في نوع خاص . انضم من أحسن شهرته هذه في سلك رجالها وإن كان له أثر  
ظاهر في طائفة أخرى . واقتصر بذلك باب جديد « لعلم الرجال » ألقت



فيه الكتب التي لا تحصى .<sup>(١)</sup> فعندنا طبقات الأدباء وطبقات الشعراء

( ١ ) أكبر نفع لطلاب هذا الفن ما وصلوا إليه من استفراء حال الصحابة وتوديعهم ، وذكر أحاديثهم ، وترتيب وفياتهم ، وهو عمل فوق الجهد الشرى إذا علمنا أن عدد الصحابة عند موت النبي ﷺ كان ( ١١٤٠٠ ) وأن حياة أكثر الصحابة كانت قبل الاسلام ، معدومة فيها لوثائق التي يسند اليوم إليها أمور حون ، نواتهم بالعموم والمدد ، وقد تألموا هذا الجهد العظيم بتسليم رواية الحديث أيضا طبقة بعد طبقة فودعهم جميعا ، وذكر وأحوالهم وأسماء من ينسب إليهم وأسماء تلميذهم ومنى مؤلفيهم ووفياتهم ، وهم عدد لا يحصره إلا خالفه ، فبرهنوا على مقدار النصحية والبلل لخدمة الفن ، وعلماء رجال الحديث هم وأصموا طريقة في المقدار التحليلي ، وهم يتصرفون للرواية ويشرحون حياتهم شرحا يعرفون به حالهم وأحوالهم ، وما يتيسر به فيها بأحاديث من حكم الثقة في رواية الراوى أو تضعفها أو تصيبها على مراتب معلومة في باب « الخرج والتعديل » ، وعلى فهمهم درج علماء الرجال في قبة الطبقات الأخر التي اشتمل عليها غير الحديث ، ويرى من هذا أن الحديث عن رسول الله ﷺ والاشتمال به رواية ، رواية في تفرد المسلمين به لا لطيف له عند غيرهم من الأمم ، وأحكم ما فيه مما يسمى بحرم أحكامهم في نسو ، أنهم لا يصدرها على الأحاديث المنسوبة للرسول ، وروى كل حديث منسوب لخدمة حامية به تمن عزله في أحد دليل شرعي ومقدار ما يوجب هذا الدليل ، على أن نهاية المحر هو تصديهم لأحاديث أخرى وضعها عندهم ونسوها للنبي ﷺ ، فهم تبعوا تلك الأقاويل على كثرتها ونسبها ، ووصلوا بسرم إلى مصدرها حتى كذبوا نسبتها للرسول وأقاموا الدليل على كذبه . وهذا عمل فوق اعتد بدل على تمام النقطه والنفه لذلك المقام النبوى السامى الذى يؤخذ كل ما يصدر ،

وطبقات النخاعة وطبقات المقرئين وطبقات الفقهاء ( بجمع مذاهب الفقه )  
وطبقات المقرئين وطبقات المحدثين وطبقات الخاسين والفلكيين والمنجمين  
والمهندسين والأطباء والصيادلة والوزراء والقضاة ورجال المغازى والسير  
السخى بل الأعجب من هذا كله أن قد ألب في طبقات المصوريين  
والمزوقين ، ورأيت « المقرئى » ينقل عن كتاب طبقات المدورين في  
« خطاطه » وهو يتكلم عن الصائغ الاسلاميه ، والمكتبة العربية الاسلاميه  
لا يكاد يحطّر بذلك وأنت فيها خاطر عن بحث أو موضوع إلا رأيت في  
أبعث كتبنا وخطاطك مؤلفين حتى فيما لا يظن ولا يكون ، مما يدل على  
تفهم العمران واتساع الخزانة وانتشار المدنية اللاتى تحكيها هذه  
الكتب وتوضع فيها تلك الوثائق وكنت معلوماً بمادة تأليفها . وهى في  
الوقت « تكاد تصور لك ما راى فى عصرنا هذا الذى نطن رقيه فى مصرنا  
أو فى غيرها من ممالك احصاءه . كثر ما نحن فيه صورة مكررة لما قد كان  
لصديق لفظول الحكيم سيار : لا جديد تحت الشمس وود وقع لى من  
مطالعائى مقابلات كثيرة بين ما يقصه التاريخ الماضى وبين ما شاهدته فى  
الزمن الحاضر . فألفت فيها كتاباً سميت به ( دورة الزمن ) لا موضع لا يقل  
منه الآن وإن كان فيه ما يقضى بالمعجب ويستدعى ضرب المنال ( ما أشبه

منه على العين والرأس ، متفوه من الفصيح والاحسن حتى ينسج جلاله ومكانه فى  
المستوى اللائق » ، ورددوا من أمته آفات الكذب والاحتلاق وإحداث ما لم يأت به  
نصرح حاتم الله بن سيد المرسلين . وهذا عمل يهوق كل تقدير ويرفع أصحبه الى  
عالمين ، رضى الله عنهم أجمعين

الليلة بالبارحة ) حتى المستشفيات الطيارة ( المتنقلة ) وإيراد المرضى  
المعدين « ص ٣٢ ج ٣ ، ٣٢ ج ٤ ، أغاني » وجواز السفر ورد من لاجواز  
له « ص ٤١ ج ٨ ، أغاني » وحكم تسليم الأجرامين وإمراسلة فهم بين ملك  
الروم والمسلمين « ص ١٢ ج ٢٠ ، أغاني » وإعداد روايا الماء في داخل  
المساكن لإطعام الحريق « ص ٢٢ ج ٣ ، صبح الأعشى » وقيام العلماء  
بكتابة مذكرات يومية « ص ١٦١ ج ١ ، المقرئ » بل أكثر من هذا  
أقول لك حتى « حزان أسوان » ذكر في إنشائه مهندس مسلم بالعراق  
قبل عصره هذا بعشرة قرون <sup>(١)</sup> . وعندى كشف مدهش بعمليات أطباء  
العرب الجراحية والتشيعية وسرهم في العلاج ، كعملية قشيت الخسوة  
داخل المثانة بمسبر وكست قطعة اللحم في طرفه ( صبح الأعشى ) ، وكإخراج  
السلعة من تحت عين السيدة سكيئة بنت الحسين ورفع حدةها ( الأغاني )  
وكعلاج استسقاء الخليفة الواثق بطريقة التنوير لمسخن ( ابن جرير ) ،

( ١ ) حطر مال المهندس المصري أبي علي الحسن بن الحسن بن الهيثم ، أن  
يصبط النيل ويحفظ ماءه ، ويصرفه حسب الأحوال ، أن يستعين في عمله هذا  
بإعداد أي الشلالات قبل أسوان إذ يجدر الماء عندها من موضع عال أي أن  
يبنى الحزان في هذه المنطقة . ووصل حرم هذه الفكرة إلى الحاكم بأمر الله وهو  
اليه في السر ( لتنافس الخلفاء العاطية والعاسية إذ ذاك ) حملة من المال ليحضر  
عصره ، يحضر بكرمه الحاكم ، سيرمه لغة في النيل من الصانع المتولين للعمارة  
بأيديهم ليستعين بهم على هدمه ، ووصل مكل الشلال والخيرو من حافيه ورأى  
بعد إقامة الحزان فوقها الخ

ص ١١٤ إخبار العلماء

واستخراج المضارة المعدنية مرجوف احتجاج التفتي ببحث مرصه ! ان  
 خلaskan ) ولطف حيلة جبرائيل بن بختيشوع لبسط الحرارة في حضرة  
 الرشيد حتى استرسلت يدها . وإقتاذ صالح بن مهلة الهندي لصهر الرشيد  
 بطيه بعد أن سطعت روائح المياخر في حضارته : احبار العلماء ) اح اح  
 مما يحقق من غلواء بعض المعاصرين العاقين لآلافهم الصالحين . الذين  
 اجتهدوا حتى أدخلوا في طيهم معرفة حساب الريح . وطبيعة المناخ .  
 واستخدموا له الألوان . والألغام ، بله الأوهام

ومن يقرأ كتب العلوم الاجتماعية الإسلامية يتحلى له العالم  
 الإسلامى فيما معنى بحضارته وسيادته وقوته وما أعدته القوة له من  
 آلات الدفاع في البر وفي البحر . وعلى النفور والحدود ، وما قام به العلم  
 لـ شـر أهـامه من أجل تـمـديـه ورعايته وقاية وعلاج وسعادة وإسعاد  
 حتى كانوا يعلمونهم سادة الدنيا . دادتها . ومصدق لهم قول الله تعالى  
 ﴿ قل من حرم ربة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾  
 قل هي الذين آمنوا في الحياة الدنيا . خالصة يوم القيمة . كهـلـك تفصل  
 الآيات لقوم يعلمون . وقد فصل الحق آياته للمسلمين الأولين . وهم  
 يعلمون طاقبة الأخذ بها سعادة في الدين والدنيا . يعرفوها وتعلموها .  
 وعملوا بعلمهم فيها . فأنعم الله من نعمات العلم ما راقوا به ذلك لرفق  
 العمرانى ، وسادوا به في المجتمع سيادة لم يرو التاريخ مثيلاً لغيرهم حتى لأن  
 وواتهم الدنيا موأنة صدقت فيها النبوة النبوية فيما رواه البخاري عنه  
 صلى الله عليه وسلم : « يوشك القرات أن يحمر عن كثر ذهب » وقد

حضر زمن العباسيين . ولو طأوا على ما أمرهم به بيده في قوله تعالى  
لهذا الحديث من حضرة فلا يأخذ منه شيئاً لفظاً إلى عزيم . ولكن  
فتنهم الدنيا كما فتت من كن قبلهم . وقد ورد في البخاري أيضاً من  
كتاب « الرقاق » عنه صلى الله عليه وسلم . إذ جاء أبو عبيدة عمال من  
البحرين ، ووافقه الأنصار في صلاة الصبح فقال عليه السلام : « أبشروا  
وأمروا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أحسن عليكم . ولكن أحسن عنكم أن  
تسقط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما  
تنافسوها ، وتلهيكم كما ألهمهم »

والى أوجز تلك القول عن مبلغ الحضارة في القرن الرابع الهجري  
بذكر مشهدين لم يتحداً بينهما نصف اقرار ، وقع أولهما في عاصمة المشرق  
« بغداد » والثاني في « قرطبة » عاصمة بلاد الأندلس والمغرب . وقد  
تكفل بهما خزان من العلماء الحافظ أبو بكر في تاريخ بغداد ( والامامة  
المقرى في ( نفع الطيب )

وليس من موضوعي أن أنستق ، وإنما هو استقراء للمبني عن  
ومر من يور تلك الحضارة جراً في « الحافظ » إلى الإقاصه في وصف  
بعداد حدث عن « دار الخلافة » فيها أنها وحدها كانت مثل مدينة  
« شيراز » ورف رسول ملك الروم . وقد قدم ببعداد وأعداً على خليفة  
المقتدر سنة ( ٤٠٥ هـ ) رفة تكذ صحف كتابه بطير بوصفها برفاً وإماماً ،  
ويطير معها قلب التاري ، اهتيالاً وحققنا . وقد جنى المقتدر الرسول في  
فصر « التاج » من قصود الخلافة . جلسة سجد لها التاريخ في عصره .

ويحق للتاريخ أن يسجد لتلك العظمة التي تبص من حلال وصفها في قصورها وزينتها . وفي جحافلها وعذتها . وفي حاشيتها وبهجتها . وفي هبوطها وصعاستها . حتى قيل إن عدد ماعلق من ستور الأيباج لذهبة دلت ز المصدرة الجمادات والهيكل وأحيل وأخجال والسباع والطيور ، ثمانية وثلاثون ألف ستر ، وعدد البسط التي فرشت في المرات والمحزون لدوس القواد والرسل من باب العامة إلى حفرة المتقدر . اثنا وعشرون ألف قطعة ، سوى ما في المقاصير والمجاس مما كن للنظر والهرش ، وقد رسم لرسل أن يدار بهم على قصور الخلافة : وكان يخدم فيها أربعة آلاف خادم من البيض . وثلاثة آلاف من السود ، وسبعائة حاجب ، وأربعة آلاف غلام . وبها دار جمعت من أصناف الوحش ما يقرب من عدد الناس . أخرجت وقد استأنست في قنصتهم وتأكل من أيديهم ، وفي أربعة أفلاك الكل قيل سبعة فر من السند والزرافة بالنار : ومائة سبع كل سبع في يد سباع يحونها بالسلاسل وأخديدها مع مما يهول ويطول . إنما نقش هنا ما ذكره في وصف دار الشجرة . وهي شجرة من الفضة وزنها خمسمائة ألف درم . قال : - دار الشجرة - وفيها شجرة في وسط ركة كبيرة مدورة فيها ماء صاف . وللشجرة ثمانية عشر عصا . لكل عصا منها شاخات كثيرة : عليها الطيور والعصافير من كل نوع ، مدهية ومفضضة ، وأكثر مضبان للشجرة فضة ، وبعضها ذهب ، وهي تمايل في أوقات . ولها ورق مختلف الألوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر ، وكل من هذه الطيور يصغر ويهدر . وفي

حاذى الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارساً . على خمسة عشر فرساً .  
 قد ألبسوا الديباج وغيره . وفى أيديهم مطارد على رماح يدورون على  
 حطّ واحد فى « الناورد » حبيباً وتقريباً فيضن أن كل واحد منهم إلى  
 صاحبه قاصد . وفى الجانب الأيسر مثل ذلك « ص ١٠٢ ج ١ تاريخ بغداد »  
 ٤٠٩ - وبعد هذا التاريخ لأقل من خمسين سنة تكرر المشهد نفسه فى  
 العرب ، وكان المائل فى حضرة الخليفة عبد أسبانيا نفسه . فى سنة ٣٥٩  
 هجرية هرع الملك « اردون بن أدعوش » ومعه عشاء مملكته مستعجراً  
 بالحكم بن الناصر . وهو ينزل « الزهراء » مدينة العظمة والجمال . جلس  
 لهم فى المجلس الشرقى منها ، الذى كان يسمى « المؤنس » وفيه « الحوض  
 الاحضر » . وقد جرّد المقرئ قلبه مستيقاً مع الخائف البغدادى : وفى  
 عظمة بغداد وعظمة « الزهراء » وجلال الملك فى هذه وتلك مستيق  
 عريض لتلك الأعلام الطوال . ونكد الصورة تكون طبق الأصل فى  
 الهول والفحامة ولذلك تقتصر على وصف ذلك الحوض . قال المقرئ  
 « ص ٢٦٢ ج ١ » : وأما الحوض الصغير الأضر المقوش بتماثيل الانسان  
 تحت من القسطنطينية وقالوا إنه لا قيمة له لفرط غرابته وجماله . وحمل  
 من مكان إلى مكان حتى وصل فى البحر . ونصبه الناصر فى بيت المنام فى  
 المحس الشرقى المعروف بالمؤنس . وجعل عليه اثني عشر تمثالاً من الذهب  
 الأحمر مرصعة بالدر النعيس الغالى مما عمل بدار الصناعة بقرطبة : صورة  
 أسد إلى جانبه غزال إلى جانبه تمساح ، وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل  
 وفى المجنبتين حمامة وشاهين وضلوس ودجاجة وديك وحادأة وسر .

وكل ذلك من ذهب مرصع بالجواهر النفيس ويخرج الماء من أفواهها  
 ٤١٠ وقال : وفي الزهراء المجلس المسمى ( قصر الخلافة ) وكان  
 سمكه من الذهب والرخام الغليظ الصافي لونه . ملتونه أحسنه . وحيطان  
 هذا المجلس مثل ذلك ، وجعلت في وسطه ( اليديمة ) التي تحف الناصر  
 بها ( أليون ) ملك القسطنطينية . وكانت فرامد هذا القصر من الذهب  
 والفضة ، وفي وسط المجلس صهريج عظيم مملوء برقيق . وكان في كل  
 جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والآبنوس  
 المرصع بالذهب وأصناف الجواهر قامت على سوارى من الرخام الملون  
 والبأور الصافي . وكانت السحرة تدخل على تلك الأبواب فيضرب شمعها  
 في صدر المجلس وحيطاته ، فيدير من ذلك نور يأخذ بالابصار : وكان  
 الناصر إذا أراد أن يفزع أحداً من أهل مجلسه أو ما إلى أحد مواليه  
 فيحرك ذلك الرقيق فيظهر في المجلس كمنطوق برق من النور ويأخذ  
 بمجمع القلوب حتى يخيل لكل من في المجلس أن المحال قد صار بهم  
 مادام الرقيق يتحرك . وهذا المجلس لم يتقدم لأحد نحوه في الجاهلية  
 ولا في الإسلام وإنما نهياً له الكثرة الرقيق عندهم

« ص ٢١١ - ٢١٢ فتح الطيب »

٤١١ - ولا أقفز بالمقاريء من بغداد إلى قرطبة دون أن أعرج به على  
 « مصر » وهي كانت جنة الدنيا . ولا أريد أن ألقى بالقدح منادحها فهي  
 لا حدود لها من عظم عظمتها وسامق مدنتها ، وقد تكفل « القديس بندي »  
 في كتابه « صبح الأعشى » بما اكتفيت به ، وخفى وهو من دولة المماليك



أن لو كن في زمن الأيوبيين ما استطاع أن يسجل تلك المناخر الفاطمية التي قد تمتلأها الشاعر وعمارة الحمى « مرثيته المؤثرة البليغة وقد كتبها بدمه الذي أهدره « السلطان صلاح الدين » فيما أهدره من دمه ألا وفياء امتك الدولة التي وفيت للحضارة أعظم الوفاء ، والعصيدة مشهورة ومطلوعها :

رمت يادهر كف الجند بالشلل وحيدته بعد حُسن الحلى العطل  
وإني أكل حسب « السلطان صلاح الدين » إلى رب السماء فقد مرّ بي زمن وأنا أوازن بين حسنات ذلك السلطان في حروبه الصليبية وبين سيئاته في تخريب المملكة الفاطمية . وهمت أن أتفرّد للحكم وكتابة أسبابه . ولا أن لزم معنى وتقفى . ولا حاجة بنا إلى نبش القصور - إلا أني أقيد ههنا من آثار العنمة المصرية نقلا عن « تنيس » وكانت من مدن العالم متخذة خاصة بحرك النياب الشروية التي لا يصنع مثلها في الدنيا ، قال المقر بزي « من ٢٨٦ ج ١ » وكان يصنع فيها للخليفة ثوب يقال له « البدنه » لا يدخل فيه من الفزل سداً وحة غير أوفيتين . ويسج باقيه بالذهب . تصاعة محكمة لا تخوج إلى تفصيل ولا خياطة . تبلغ قيمته ألف دينار . وليس في الدنيا صرار ثوب كثناب يسج الثوب منه وهو سدح بغير ذهب مائه دينار عينا غير طراز تنيس ودمياط - اهـ

## العمل

٢١٢ - فلما بن العديستفتح على العم يزيداد اننور بالنور . وبذلك اننور الإلهي حترق الملوك حجب الكائنات ووقعت على أيديهم

المعجبات ، وهم كانوا أعاجيب ربنا وييقنون آيات قدرته في خلقته بما يراه  
الناس فيهم ومنهم . ومن هذا الاستعلاء العلمى جاءهم العلم بعد أن جاءهم  
الفتح من عند ربهم ونعم لهم العاقبة على غيرهم بما أعدوا في أنفسهم من  
عدد العلم . وبما أعدهم به العلم للعلم والمزيد . وغاية هذا كله في أنفسهم  
حصانة النفس وحفظها . وأن تكون أول من يتدقق ثمرها وينتفع  
بخيرها ، وفي ذلك يقول الإمام الشافعى : من أهدى القرآن عظمت قيمته .  
ومن نظر في الفقه نيل مفداه . ومن تعلم اللغة رقى طبعه . ومن تعلم  
الحساب جزل رأيه ، ومن كتب حديث قويته حجته ، ومن لم يبدن  
نفسه لم ينفعه علمه - اهـ

٤١٣ - أى إن غاية العلم العمل . وهذه نتيجة لازمة للعلم وإلا كان  
عبث من العبث . وأما العلم عن فصد من الصلاح والإصلاح ، بل خدماً  
لربقة لهم من عمق العالم أن لا يعمل بما يعلم . وخيانة ظاهرة للمجتمع  
يستحق عليها صاحبها اللقب من الله ومن الناس . وخلق به أن يكون  
مطروداً من تلك الخيرة الظاهرة ، قال أبو الدرداء : لا تكون عالماً  
حتى تكون بالعلم عاملاً . وقال : إن أخوف ما أخاف إذا وقعت على  
الحساب أن يقال لك قد علمت ، ثم إذا عملت فيما علمت ، وقال : ويل  
للذى لا يعلم مرة ، وويل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات

٤١٤ - ذلك بأن وظيفة العلم هي أن يكون إمام العمل ، وأن يبين  
السبيل للعامل كيف يصل : والعلم لا يتخلف عن وظيفته فهو يقوم بها  
من طبعه ، فإن مُعِم وأطيع فذاك العلم المنتج ، وإن عصى وخولف فكانه

لا علم . بل يوشك أن يطمس على قات صاحبه

٤١٥ - وقال بعض السلف : العلم يهتف بالعمل . فإن أجاب حل  
وإلا ارتحل . وما استدر العلم ولا استحلب بمثل العمل وهو من أعظم  
أسباب حفظه وثباته قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وامنوا  
برسوله يؤتكم كملين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به » وقد أخبر  
الحق أنه يجزى المحسنين أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون قال تعالى :  
« والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون . لهم ما يشاءون عند  
ربهم ذلك جزاء المحسنين ، ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ، ويجزيهم  
أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون »

٤١٦ - - ومن أحسن ما يجزى به العالم ، زيادة علمه ، وحكمة فيه  
قال تعالى « ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً ، وكذلك نجزي المحسنين »  
قال بعض العلماء : تقول الحكمة من التمسى علم يجدي فليعمل  
بأحسن ما يعلم وابتكر أقبح ما يعلم . فإذا فعل ذلك فأنا معه وإن لم يعرف  
٤١٧ - وقال « ابن القيم » لم يكن السلف يطلقون اسم الفقه إلا  
على العبد الذي يصحبه العمل . كما مثل سعد بن إبراهيم عن أئمة المدينة  
قال أنقاهم ، وسأل « مرفد النبي » الحسن البصري عن شيء فأجابه ، فقال ،  
إن الفقه يحالفونك . فقال الحسن تكلمت أملك : فريقد وهل رأيت  
يعينيك فقه ؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، البصير  
بدينه ، المداوم على عبادة ربه ، الذي لا يهز من فوقه . ولا يسخر ممن  
دونه . ولا ينتفى على علمه الله تعالى أجراً « من : » « نتائج »

٤١٨ وذكره المتني : أن المسجد الحرام جمع بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير وأخويه مصعب وعروة أيام ما نصيبهم من مد معاوية ابن أبي سفيان ، فقال بعضهم هم قتلتموه . فقال عبد الله بن الزبير مديني أن أملاك الحرمين وأنال الخلافة . وقال مصعب : منيتي أن أملاك العراق وأجمع ابن عقيلتي قريش مكينة بدت الحنين وعائشة بنت طلحة : وقال عبد الملك بن مروان : وإن منيتي أن أمفك لأرض يكمها وأنصف معاوية . فقال عروة لست في شيء مما أنتم فيه . منيتي الزهد في الدنيا والعور بأحمة في الآخرة وأن أكون ممن يروى عنه هذا الكلام . قال : فصرف الله من مرفقه إلى أن بلغ كل واحد منهم إلى أمله . وكان عبد الملك بذلك يقول : من سره أن ينظر إلى وجه من أهل الجنة . فلينظر إلى عروة بن الزبير

« ص ١٩٩ »

٤١٩ ولدت لما مثل ابن المبارك : من الناس ؟ قال العلماء : غيا . فمن الملوك ؟ قال الزهد . بين من انتماه . قال الهدي يا كفى بدنيته

« ص ١٢٩ ج ١ ص ٢١٠ »

٤٢٠ - وهذا بيان « الطريقة النبوية » في التعليم والمقصد من العمل عن عثمان وابن مسعود وأبي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر . فلا يحاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلموا القرآن والعمل جميعاً

« ص ٢٩ ج ١ ص ٢٩٩ »

٤٢١ - ولذلك المقصد العملي من العمل . لا تمحب من تسطو لمص العظماء في الاستظهار إذ كان مقصدهم الأجل هو استظهار العمل لالوك اللسان . ففي « موطأ مالك » أنه بلغه أن عبد الله بن عمر مكث على سورة

والبقرة ، ثماني سنين يتعلمها ، وذكر عبد الله عن أبيه قال : تعلم عمر  
المقرة في ثنتي عشرة سنة . فلما ختمها نحر جزورا

٤٢٢ - ولذلك لا تعجب ان قلنا لك ، ان عبد الرحمن بن شبل الأنصاري  
وهو معدود من علماء الصحابة ، حلة ماله من رواية حديث أربعة عشر حديثاً  
« ص ١٩٧ خلاصة »

٤٢٣ - وسيدنا الحسن بن علي سبط النبي . حلة مارواه عن جده  
المصطفى ثلاثة عشر حديثاً ( ٩٧ خلاصة ) وما رواه أخوه سيدنا الحسين  
عن جده ، ثمانية أحاديث  
« ص ١٩٧ خلاصة »

٤٢٤ - اعمى ثلثي عزته أن يكون لغير نفسه . وأن يقصد لغير  
وجهه . علم أنه يحب أن يكون له . وعم الدنيا يحب أن يكون لوجه  
العلم في الدنيا . ووجهه دائماً لله ، حبيب للخير العام ونمير عبيد الله العليم  
الذي علم بالقلم : علم الانسان ما لم يعلم : ومن قدس بالعلم غير العلم ذلك  
بأنك . ومن سلك بالعلم غير سبيله ضلّ ونبّ ، قال أبو يوسف . من  
طلب عرائب الحديث كذب . ومن طلب المال بالكيمياء افتقر .  
ومن طلب الدين بالكلام تزدق  
« ذكره في خلاصة »

٤٢٥ - وقال معاذ بن جبل : اعلّموا ما ستتم أن تعلموا ، فإن يأجركم  
الله بعلمه حتى تعلموا

٤٢٦ - وروى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله . لا يتعلمه إلا  
ليصيب به عرضاً من الدنيا . لم يجد عرف الجنة يوم القيامة

٢٢٧ - ولما كان العلم للعمل ، فاتهم ما كانوا يرون الكسل ، وفي صحيح البخارى أن النبي ﷺ كان يستعيد بالله من العجز والكسل . ولذلك درج ورثته من علمائه على سنته فكانوا لا يرون العطل ولا يقبلون العاطل " قال في « المعارف » ص ١٥٢ : كان حمدان مولى عثمان ، عامله على البصرة ، فكتب إليه في عام من عبد الله العنبري التابع . أنه لا يأكل اللحم ولا يفشى النساء ولا يقبل الأعمال ، فكتب إليه عثمان أن يعطيه . فان كانت فيه الخصال فسيره . فساله فقال : أما اللحم فاني مررت بقصاب يبيع ولا يذكر اسم الله فإذا انتهيت اللحم اشتريت شاة فذبحتها . وأما النساء فاني في عنهن شغلا . وأما الأعمال فإني أكثر من نجدونه سوى ، فقال له حمدان : لا أكثر الله فينا أمثالك وسيره إلى الشام للعزو فأت هناك

٢٢٨ - والعمر بالعز متشعب النواحي مختلف الدهر ، صار في جميع طرق الحياة للوصول إلى حفظ النفس وقصبتها ، والقيام بأمر الله فيما خلق الإنسان له من العمل لدينه ولدينه حتى يميز بسعادتيهما والإخلاص في العمل برعاية حق الله فيه عاية العامل العالم . وعليه مدار حيره وخير الناس جميعاً . وإلى هذا المرمى نفذهم إلى « أبي رافع » وهو بقرأ وبصوغ ، فقال يا أبا رافع أنت خير مني ، تؤدي حق الله تعالى وحق مواليك

(١) كتب القرى في وصف أهل الاندلس يقول ( : ما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدورة التي تكمل من الخد ونخرج النوحه للطلب في الاسواق تستنقحه عتدم الى النهاية ، وإذا رأوا شعباً صهيحاً قادراً على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه فصلا عن أن يتصدقوا عليه ، فلا يجد بالاندلس ما إلا أن يكون صاحب قدر ) - اهـ  
من ١٠٢ ح ١ فتح الطيب

محاصرات اذدباء، وأبورافع هذا من كبار علماء التابعين، كان مولى لامرأة  
اختلفت الأخبار في تعيينها « ص ٧٢١ ج ١ »

٢٢٩ - وقال «أيوب السختياني، المحدث الناسك الذي أوصى «أبو  
قلاية» أن تدفع له كتبه فجاء بها إليه من السلم إلى البصرة : كن أبو قلاية  
يحتنى على الاحتراف ، ويقول إن الغنى من العافية ، ولذلك فقد كن أيوب  
يبصم جلود السختيان فنسب إليها

٢٣٠ - و«أبو حنيفة» ، كان تاجراً مسعداً ، جاءته امرأة تطلب منه  
نوب خبز ، فأخرجها لها ، فقالت له : إني امرأة ضعيفة ، وإنها أمانة  
فبعتي هذا النوب بما يقوم عليك ، فقال خذيه بأربعة دراهم ، فقالت  
لا تسخر بي وأنا عجوز كبيرة ، فقال إني اشتريت ثوبين فبعت أحدهما  
برأس المال إلا أربعة دراهم ، فبعتي هذا النوب على بأربعة

« ص ٢٦٠ ج ١ تاريخ بغداد »

٢٣١ - فأنت ترى أن العلم يجتمع مع الصناعة ومع الوظيفة ومع  
القيام بجميع أعمال الدولة ، والعبادة تكون أثناء العمل والعمل ، لا تشغل  
صاحبها ولا تقطعه . والدنيا عتدم كما قال صفوان بن محرز : « إذا دخلت  
بنتي فأكلت رعيي وشربت عليه الماء وعلى الدنيا الغناء » ليست هي  
سيدهم ، ولكن كانوا أمسيادها ، إنما يخدمون دينهم بجميع ضروب  
العمل قياماً لله بأداء واجباته في أشخاصهم ومجتمعاتهم ، فهم في الحج  
كما هم في الغزو كما هم في الوظيفة كما هم في الصيام والصدقة .  
عرفوا الباب فاستغنوا عن القشور - سمع أبو حرب بن أبي الأسود

للدولى ، وكان محدثاً وشاعراً وولى للحجاج على « جوخي » فلم يزل عليها حتى مات الحجاج . سمع رجلاً يقول : من يمشى الجائع فدمته . ثم ذهب انتابن ليخرج بمسد العشاء فقال هبالت ، تؤذى المسكين الائلة ، ووضع رجله في القيد « من ١٠٥٠ و ١٠٥١ - عرف »

٣٢ - وقيل لمحمد بن النك ، والتابعي ، أحد الأئمة الأعلام ، الذي يحدث عن نفسه أنه كبدها أربعين مئة حتى استشامت . وكان لا يملك عينه من البهكة إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخذ عن عائشة وطائفة من الصحابة ، وروى عنه الزهري وزيد بن أسلم وخلق كثير ، قيل له : أي الأعمال أفضل ؟ قال إدخال السرور على المؤمن . وقيل له : أي الدنيا أحب إليك ؟ قال الإفضال على الإخوان

« من ١٠٦٩ - عرف - من ١٠٧٠ - حلافة »

٣٣ - وقال الأصمعي : أنت أبا رجاء المظاردي امرأة في حوف الليل فقالت . يا أبا رجاء . إن لطارق الليل حقاً ، إن بني فلان خرجوا إلى سفران وتركوا شيك من متاعهم . فانتعل وأخذ الكتب بذلك وما تركوه . فأدأ وعاد فصلى الفجر . وبينما المكاين مسيرة ليل للابل « من ١٠٨٨ - مسطور »

٣٤ - وأبو عثمان الكوفي المحدث ، الذي أدرك النبي وأسلم وصدق ولم يره صلى الله عليه وسلم وروى عن عمرو بن علي وأبي ذر . قال فيه سليمان التيمي : إني لأحسب أبا عثمان كان لا يصيب ذنباً ، كان ليسله قائماً ونهاره صائماً . وقيل أنه حج واعتصر ستين مرة وهاش ١٢٠ سنة



٤٣٥ - والثرثوى الحافظ العالم ، أعلم الناس بالحديث ، وأملى من حفظه  
عشرين ألف حديث : كن يحتم القرآن في كل ليلتين وكان يحج كل سنة  
٤٣٦ - وأحدث البجلي أبو الحكم العالم العابد : كن يمكث خمسة  
عشر يوماً لا يأكل ، وكان يحرم من السنة إلى السنة ويقول : نبيك لو  
كان رياء لامتحل

« ص ١٩٩ - لائحة السجود »

٣٧ - وأبو أسماء إبراهيم التبيسي الكوفي : أحدث العابد القدوة ،  
كان إذا سجد تجيء العصافير تنقر على ظهره ، وخلال أربعين يوماً لم  
يأكل إلا حبة عنب

« ص ٢٠٠ - لائحة »

٤٣٨ - منصور بن المعتز السلمي وكان من الخبشة أحد الأعلام  
المشهورين وثبت له نحو ألف حديث . صام ستين سنة وقامها ، وقد عمشت  
عينه من البكاء . ولأه يزيد بن عمر القضاء . فقدم للناس وتقدموا إليه ،  
فعمل يقول : لأحسن إن أن عزل - ، الأسود بن يزيد حج ثمانين ما بين  
حجة وعمره : من المعارف

٤٣٩ - قيل ليونس بن عبيد : أتعرف أحداً يعمل بعمل الحسن  
البصري ؟ فقال : والله لا أعرف أحداً يقول بقوله فكيف يعمل بمناه .  
ثم وصفه فقال : كن إذا أقبل وسكاته أقبل من دفن حميمه ، وإذا جلس  
فكاته أمر بضرب عنقه ، وإذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له

٤٤٠ - وأبو ذرعة المصري شيخ الإمام الليث كان يأخذ عطاءه  
في كل سنة ستين ديناراً فما يطعم منزله حتى يتصدق بها قال ابن وهب ثم  
يجيء منزله فيجدها تحت فراشه

« ص ٢٢٠ - لائحة »

٤٤١ - وقال النابرد في الكامل : كان الأصمعي لا يقتر ولا يشد ما كان فيه ذكر الاتواء . لقوله صلى الله عليه وسلم : إذا ذكرت السجود فأمسكوا ، وكان لا يعسر ولا ينشد شعرا يكون فيه هجاء

١٠ ص ٢٠٢ ج ٢ برقم ١٠

٤٤٢ - وروى أبو الفرج عن رجل من أهل الكوفة أن مصيباً الشاعر قدم الكوفة . قال ، فأرسلني إليه وكن صديقاً له فقال أفرأته مني السلام وهل له : إن رأيت أن تبدي لنا شيئاً مما قلت : فأتيت في يوم الجمعة وهو يصلي . فلما فرغ أفرأته السلام وقلت له . فقال قد علم أبوك أني لا أشد في يوم الجمعة ، ولكن تلقاني في غيره . فأبغ ما تحب

١٠ ص ١٤١ ج ٢ أغانى

٤٤٣ - كن ابن جامع المقتنى كثير الصلاة قد أخذ السجود جهته ، من أحفظ حديق الله لكتاب الله وأعلمهم بما يحتاج إليه . كن يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلي الصبح ثم يصف فسدنيه حتى تطلع الشمس . ولا يلى الجمعة حتى يحته القرآن ثم يصرف إلى منزله

١٠ ص ٦٦ - ٦٨ أغانى

٤٤٤ - وأكثر ما تقرأ في تراجم علماء السلف أن كانوا بين الصفوف في الغزو والجهاد . وأر كنوا آخدين عن ربهم علماء ومعملاً . فهذا عبد الله بن المبارك كل يحج سنة ويقزو سنة حتى مات ، فنصره من الغزو وسافر صرة من الشام إلى مرو ، ووجد في رحله فلماً نسيه صاحبه معه من الشام ولم يجد من يبلعه . فعاد إلى الشام حتى رده إليه . وفي الحرب له وقائع مشهورة في الشجاعة ولا فداء . قال الحسن بن الربيع : خرج فارس من المسلمين

ملثم فقتل فارساً من العدو كان قد قفل بالمسلمين، فكبر له المسلمون، فدخل  
 في غمار الناس ولم يعرفه أحد. فتبعته حتى سأله بالله أن يرفع لثامه فمرفته  
 وقالت : أحفيت نفسك مع هذا الفتح العظيم الذي يسره الله على يدك ؟  
 فقال : الذي فعلت له لا يخفى عليه

وخرج من الشرك فارس فالتصّب له : فإذا وقت الصلاة ، فسأله التمتع  
 وصلى ركعتين ، فلما ذهب إليه ، قال حتى أصلي أنا ، وجعل يصلي إلى الشمس  
 فلما خرساجداً ، قال ابن المبارك هممت أن أغدر به ، فإذا قاتل أسيمه ( أو أوفوا  
 بالعهد إن العهد كن مثولاً ) فتركت الغدر. فلما فرغ قال لي ، لم تحركت ؟  
 قلت : ردت الغدر بك . قال فيه تركته ، قلت لأنني أمرت بتركه قال الذي  
 أمرك بترك الغدر . أمرني بالإيمان ، والتحق بصف المسلمين ، ثم الغدر .  
 ٤٤٥ - وفي ترجمة الإمام الشافعي لما قدم مصر أنه سافر إلى  
 الاسكندرية ليرابط شجرها ، وبقي به مدة سبعة أيام ووجهه إلى البحر في  
 مرافقة الخطر

٤٤٦ - وكز محمد بن أبي حاتم الورداني مع الإمام البخاري في نمر  
 حربي اسمه ( فرير ) فعز البخاري يفتي أنيس في التيقظ لجمع الحديث  
 ولعلالة اسحر قال ابن حاتم فتنت له : إياك تحمل على نفسك كل هذا  
 ولا توقظني ؟ فأجابه البخاري : أنت شاب فلا أحب أسد عليك نومك ،  
 وفي يوم كان البخاري قد تعب في تصنيف كتاب التفسير فاستقى على قهقه  
 فقتل له ابن أبي حاتم : سمعتك تقول يوماً : إني ما أتيت شيئاً بغير علم قط  
 منذ عقلت فأني علي في هذا الاستلقاء ، فأجابه : أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم

وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحييت أن أستريح وأخذ أهبة ذلك فلر عافصنا العدو كن بنا حراك ( ص ١٤ ج ٢ تاريخ بغداد ) . فهذا إلمام المحدثين لا يترك العمل لاستخراج الحديث وهو بشعر المسلمين على منظره من العدو ثم هو لا يدع نفسه كلها للعلم « ريمدها بالراحة انتظاراً للقاء العدو حتى لا يجده في المعاصرة شيئاً مهلاً بل رجلاً منصوباً للحرب والقتال بسيفه . كما وجده الجهل بطلاً أى بطل بعقله وبقلمه ، فله در علماء العمل - إنهم هم الأبرار

٤٤٧ --- وهذه الظاهرة الأخيرة لم تنقد من علماء الاسلام حتى الزمن الأخير ، فقد سبق أن قضا إنهم كانوا أهل الحرب والكفاح حتى درست قواعد الاسلام الأولى على سواعدهم وسيوفهم ، وبقوا هم أصحاب السيف والقلم في ملته المطيعة أيام التناز وأيام الأفرنج . وكتب تاريخ فيها عاصمة بأخبار شجاعتهم بسيف أيمانهم وبسيوف إيمانهم حتى روى عن « ابن قيمية » أنه ركب من دمشق إلى مصر على ظهر فوصلها في بضعة أيام يستعمرها على التنازل ثم عاد بعد أن جيئها وتقدم صفوف القتال

٤٤٨ - وفي كتاب ( البطل الفاتح ) لصديقنا طيب الذكر والآثر العلامة « داود بركات » رئيس تحرير الأهرام فصل سمي عن جماعة العلماء الأزهريين الذين اقتدوا أنفسهم لقيادة المرق وتأليفها للانتقام في سلك الجيوش المصري العربي الذي كن يقاتل في بلاد الشام برياسة « بطل الفاتح » إبراهيم بن محمد علي ، وقد ارتقوا فيه إلى رتب عسكرية كبيرة يقف بها أبواب السيف ، منوا هم نخرها إلى ساحلهم به الله من العلم الداعي إلى العمل « ص ١٨١ كتاب البطل الفاتح »



تأخذ نموذج موصفي الدولة الإسلامية من حول العلماء فاليك بعض  
أسمائهم وفيها الغناء والكفاية للدلالة على عهدها وسبب تقدمها وعظمة  
موظفيها الذين تظمت بهم وعظموا فيها

٤٤٩ - أخمين بن حفص الحمداني قتل فيه أبو نعيم . ولى القضاة  
والفتيا والمدالة والنبهة والرياسة وكان وجه الناس وزيتهم ، كان دخه كل  
سنة ثلثمائة ألف درهم فأوجبت عليه زكاة قط ، وجوائز داره على المحدثين  
« مر ٧ غلاب »

٤٥٠ - فبيصة بن ذؤيب المحدث شيخ الزهري ونليذ أبي هريرة ،  
كان على خاتمه عبد المثلث بن مروان . وهو الذي أوصل الزهري لعبد الملك  
فرض له « من ١٥٥ معارف »

٤٥١ - ولزم الزهري هذا وهو ( محمد بن مسلم ) العام المشهور عبد الله  
أخا عبد الملك ، وابنه هشما ، وكان يزيد بن عبد الملك استقضاء . وهو  
الزهري شيخ الشيوخ يقول فيه الإمام الألباني : ما رأيت عالما قط أجمع  
من ابن شهاب وقال مالك . كان ابن شهاب « شهاباً أحد جدود الزهري »  
من أسخى الناس ، وتقياً ماله في الناس فقير . وقال أيوب السخيتاني .  
ما رأيت أعلم من الزهري

٤٥٢ - وقال ابن قتيبة : سليمان بن ربيعة الباهلي أول قاض فصي  
لعمرو بالعراق ثم قتل به إلى القادسية والمداين ، وقتل في أرض الترك  
في الغزو ببلدة اسمها ( بنجر ) وعظامه عند أهلها في تابوت إذا احتس  
عليهم المطر فاستسقوا به ، سقوا - اه

٤٥٣ - وأبو مجلز « لاحق بن حميد » الذي أشخصه عمر بن عبد العزيز من خراسان ليسأله عنها ، ثقة به وقمديلاً له ، كان عاملاً على بيت المال وعلى ضرب السكة في خراسان .  
« ص ١٦١ مطبوع »

٤٥٤ - وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان الذي يجعله أحمد بن حنبل - أمير المؤمنين في الثقة بالحديث - ويقول فيه البخاري : أصبح الأسانيد ( أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ) وراه الإمام الألبان وخلعه ثمانية طلبة ، كان والي عمر بن عبد العزيز على خراج العراق . وابنه عبد الرحمن المحدث ولي خراج المدينة . ولعبد الرحمن هذا ولد محدث اسمه ( محمد ) كان بينه وبين أبيه في الموالاة ١٧ سنة . ولقي رجال أبيه ولم يحدث عنهم حتى مات أبوه قبله بأحدى وعشرين سنة فحدث عنهم ، أي أنه أحترم أباه فلم يرد أن يستوي معه في رتبة التحديث فيأخذان معاً عن واحد ، وهو يأخذ عن أبيه

٤٥٥ - وكاتب الحسن البصري كاتب الربيع بن زياد الحارثي بحراسان ( ٤٥٦ ) وشيخ بن سيري كاتب أسد بن مالك بفارس ( ٤٥٧ ) وشيخي كاتب شريح القاضي ومتولي كثير من أمور مصعب بن الزبير ، ثم ولي قضاء الكوفة ( ٤٥٨ ) وسعيد بن جبير كاتب أبي بردة على القضاء وبيت المال بالبصرة

٤٥٩ - وه ميمون بن مهران التميمي ، الذي يقول فيه أبو الملبح : ما رأيت أفصل منه . وأخذ عن الصحابة وأخذ عنه جمع من كبار المحدثين ، كان والياً لعمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة ، ومن كلام هذا الوالي

( من أسله سرّاً فليتب سرّاً ومن أسله علانية فليتب علانية ) - وابنه ( عمرو ) راوى حديثه ، كان على الديوان - وكان ميمون هذا يزاًزاً ، فكان يجلس فى حاوته وهو يتولى الخراج ، أى انه جمع الوظيفة والتجارة والعلم ، وهو على مسلسل ، فإن ابنه عمراً عالم ، وعمرو ابنه عبد الله عالم أيضاً ١٦٠ - ونزع الإقليم الشافعى إلى اليمن حيث تولى عملاً فى إمارته

مدة من الزمن لم ينقطع فيها عن النعم

١٦١ - وكذب أخونا القاضى الشيخ محمود عرنوس جملة فى مجلة ( المعرفة ج ٣ ص ٣ ) عن ترجمة محمد بن سعيد البوصيرى مدشى البردة والهمزية الشهيرتين ، نقل بها أن البوصيرى كان كاتباً على الخراج ثم تولى مباشرة بليس ، وهى وديعة مالية كان صاحبها يشرف على أرض منطقتة مباشرة ما صبح منها للزرع فيصرف لصاحبه المال والبدر ، حتى إذا نصح الزرع حصل ما صرف . وجى الرسم وأخذ العشر الخ . وهى عملية كانت نعم بلاد قطر حتى أبطالها لناصر محمد بن فلاوون - قال : وقد سُم البوصيرى العدل مع موثاقى المباشرة باستئثار من وصيته ووضع فضيلة لطيفة فى ذمّ مستخدميهامها :

تقدت طوائف المستخدمينا  
فم أر فيهمو رجلا أميناً

١٦٢ - والعلامة المؤرخ تقي الدين المقرئى<sup>(١)</sup> تولى ولاية الحسبة بالقاهرة ، والمحاسب كان فى تلك الأزمان يقوم بأعمال هامة تخدم الهيئة

(١) سنة الحارة فى ملكك اسمها ( حلوة انباردة ) ، أصلها وقد جاء أبوه

مصر حيث روى كتابة الوقع وديان الاشاء ، وولده بها تقي الدين المتوفى ٨٤٠ هـ

الاجتماعية، وقد بقي هذا المنصب حتى أواخر القرن الماضي . وأعماله الآن موزعة بين النيابة العمومية ومصلحة المكاييل والموازين والبلديات .  
 وتبقى الدين هذا عالم مؤرخ صاحب تأليف كثيرة ذكر « السخاوى »  
 أسماءها وقال إنها زادت على مائتي مجلد كبار . وبلغ عدد شيوخه ستمائة نفس  
 وأكبرها كتاب « مجمع القرائد ومتبع القوائد » يشتمل على العقل والنقل  
 المختوى على فني الجدة والمهزل بلغت مجلداته مائة - وهو صاحب  
 كتاب « الخطط المقرزية » الذي يروى منه كل وارد ويصدر عنه بالرى  
 كل صادر . ويكاد يكون نسيج وحده في نوعه ، وبه طارت شهرة تقي  
 الدين ، والمعجب أن السخاوى يقول فيه : هو مفيد لكونه ظفر مسودة  
 الأوحى . فأخذها وزادها زوائد غير طائفة « ص ٢٢ في السلك »  
 « الأوحى هو شهاب الدين أحمد عاصر المقريزي ، ومات قبله ثلاثين  
 سنة . قال السيوصى في حسن المحاصرة كثر لهجا بالتاريخ ألف كتاباً  
 كبيراً في خطط مصر والقاهرة

٤٦٣ - والشيخ محمود العيني صاحب الراوية المشهورة بجوار الأذهار  
 والمؤلف الكبير في القرن التاسع قال السخاوى : لم يجتمع القضاء والحسبة  
 ونظر الأحياس « الأوقاف » في آن واحد لا حديثه وما أطن - اه . فهذا  
 العالم جمع ثلاث وظائف كبرى ، وكان يجيد أكثر كية - ومن خصيصى الملك  
 للتوיד حتى إنه أرسله في مهمة سياسية إلى بلاد الروم ، ومن العجب أنه  
 كان والمقريزي قد تدولا حاسبة القاهرة مراراً ومما بلغت النظر في ترجمة  
 العيني قول السخاوى : إنه قرأ على « الحسام الرهاوى » مصنفه ( البعار



الأخيرة في المذاهب الأربعة ) وإنه اختصره في مجلدين وسماه « الدور الزاهرة » مما يدل على عنايتهم إذ ذاك بالأصلاح على المذاهب كلها وإن كن الشيخ مدنيًا وله شرح على مثل الكثر في مجلدين يقرأ بالجامع الأزهر ويتعرض فيه لذكر المذاهب  
 ص ٢٠٩ من التبر السبك

٤٦٤ : وسيجيء أن ابن سعد الزهري المحدث ولي بيت المال في بغداد ، إلى أشياء هذه الأخبار مما لم نعلم إلى قصته بين عمال الحكومة الإسلامية ولكن أردنا أخذ الشاهد منه على قيام العلماء بهذه الوظائف الإدارية مما كان احزن أن يتقاعدوا عنها . ولذلك تركنا وملائم القضاء والإيشاء وما أشبهها مما هو حليق بهم وحدير ألا يتولاه غيرهم  
 ٥٥٥

٤٦٥ - أما الأعمال الحرة فمذه أمثال منها - مالك بن دينار العالم الزاهد الواعظ المحدث . كان لا يأكل إلا من كسبه يده ، كن وزيراً فابكتب المصاحف بالأجرة - وروى عنه قرأت في التوراة : إن الذي يعمل يده ، طوبى لحياته ومماته

٤٦٦ - والهندس العالم العراقي بعد أن رجع من بعثته النيلية ( راجع هامش ص ٢٢٩ ) وظهر بعد وفاة أخاكم . استوطن قبة على باب الجامع الأزهر واشتغل بالتصنيف والنسخ والإفادة . وكان له خط قاعد في غاية الصحة . فكان يسبح في مدة سنة ثلاثة كتب ضمن ما يشتغل به . وهي اقليدس والتوسطات والمجسطي ويستكملها في مدة السنة ، فإذا فرغ في نسخها جاءه من يعطيه فيها مائة وخمسين ديناراً مصرية . وصار ذلك كل رسم الذي لا يحتاج فيه إلى موا كسة : فيجعلها مؤونة سنته « انظر للمصنف

٤٦٧ - وكان « أويس القرني » وهو سيد التابعين ، يمرّ بالمزابل فيلتقط الرقاع ( ٤٦٨ ) وإبراهيم بن آدم كان يؤجر نفسه ( ٤٦٩ ) وكان سليمان الخواص يلتقط ( ٤٧٠ ) وكان حذيفة يضرب اللبن

« من ١١ - ٣٤ » من كتب الفقه على الطريقة والصناعة والسبل »

٤٧١ - وكان « ابن حنبل » يعمل بيده ، ويسوى تراب أرضه ، وربما أخذ القدوم وخرج إلى دار السكار يعمل ، وكان يأمر ولاده أن يختلوا إلى السوق وأن يتعرضوا للتجارة ، وأصحابه من المالكين أن يلزموا ضياعهم ( ٤٧٢ ) وكان السريّ بن يحيى يتجر في البحر ويسافر في مراكب التجارة ( ٤٧٣ ) وخرج سفيلان اشوري إلى اليمن يتجر ورأس مائه سبعون ديناراً ، ولما مات خلف مائتي دينار ، فسأل سائل من أين كان له مائتا دينار وهو زاهد العلماء ؟ فقال يوسف بن أسباط كان يذبح شيء بعد شيء مع إخوانه فيورث له فيه

٤٧٤ - وكان أبو يزيد البسطامي بستانياً ( ٤٧٥ ) وكان سير بن أبو محمد بزّازاً ( ٤٧٦ ) وجمع الراشد خُتّاً ( ٤٧٧ ) والديّ أبو سعيد ذِياناً . وصرّ بك أن أبا حنيفة كان خُزّازاً . وميمون بن مهران كان بزّازاً . والوافدي كان خُتّاً . وغلام ثعلب مطرّزاً ( ٤٧٨ ) وساق في القاموس في مادة ( ب ز ر ) حلة أسماء من العلماء كانوا بزّارين يبيعون البز وقال : والبزّار يباع بز الكتان أي زيتة بشفة البغادة . وإليه نسب دينار أبو عمرو . وخلف بن هشام ، والحسن بن الصباح . وبشر بن ثابت ، وإبراهيم ابن مرزوق ، ويحيى بن محمد ، وعبيد بن عبد الواحد . وأحمد بن عمرو

صاحب السند : وأحمد بن عوف بن جدير ، وجعفر بن محمد العبدى البزارون  
 ٢٧٩ — ويطول في القول وأخرج عن موصوعى لو تلبست صناعات  
 العلم وأعمالهم ، وإنما تمتلئ لا بين الفكرة عند العلماء أنهم كانوا يعملون ،  
 ويفضلون العمل ويقدمونه ، ويجعلونه أداة كسبهم ومادة عيشهم من غير  
 أن يتخذوا العلم أو يجعلوه في نفسه متجراً ومادة ربح وشرك مال . وهم في  
 هذا ورثة صاحب الدين صلى الله عليه وسلم الذى ورثهم علمه ، وكان خير  
 العاملين وسيد من دعا الى العمل وعمل من غير توان ولا كسل . ولأبى  
 بكر أحمد الخلال « محرر المذهب الحنبلى » المتوفى سنة ٣١١ هـ - رسالة  
 « فى الحث على التجارة والصناعة والعمل » منها بين الروح الذى تلبس  
 رجال العلم فساقهم الى العمل ، وانتشر فى الأمة حتى نباحها عن العمل . ولا  
 غرو أن يسودوا وهم عبدة الرب الذى ينمى عليهم فى الآية الشريفة « يا أيها  
 الذين آمنوا لم تقولون مالا تعملون ؟ كرم مقتاً عند الله أن تقولوا مالا  
 تفعلون » ويقول لهم « وما نفعكموا إلا نسكم من خير تجدوه عند الله . إن  
 الله بما تعملون بصير » ولم يحاسب إلا على العمل ولم ينظر إلا  
 الى العمل ، ويجعل رسوله العمل أول واجب الحياة حتى يقول صلى الله  
 عليه وسلم : « إن قامت على أحدكم القيامة وفى يده فسيلة فليغرسها »  
 وهذا انتهى ما يصل إليه المجتمع فى تعبير الدنيا

٢٨٠ — عن هشام بن عروة عن أبيه عن جده قال ، قال رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى الجبل فيجىء  
 بحزمة حطب على ظهره فيبيعها ويستغنى بنفسها ، خير له من أن يسأل

الناس : أعطوه أو منعوه .

٤٨١ - وعن أنس بن مالك قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم مشكياً إليه العانة ، ثم رجع ، فقال يا رسول الله لقد جئتك من أهل بيت ما أراني أرجع إليهم حتى يموت بعضهم . فقال له : اطلق هل تجد من شيء ؟ فاطلق فجاء بحلٍس وقدرح . فقال يا رسول الله . هذا الحلِيس كانوا يفتشون بعضه ويلبسون بعضه ، وعدا لقدح كانوا يشربون فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذها مني بدرهم ؟ فقال رجل أأ يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : من يزيد على درهم . فقال رجل أأ إذا أخذها باثنين ، فقال : هما لك . قال فدعا الرجل ، فقال : اشتر فأشأ بدرهم وبدرهم طعاماً لأهلك . قال فعلى . ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اطلق إلى هذا الوادي فلا تدع حاجاً ولا شوكاً ولا حطباً ولا ثأني خمسة عشر يوماً ، فاطلق فأصاب عشرة دراهم . ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره . فقال : فاطلق فأشتر بخمسة دراهم طعاماً وبخمسة كسرة لأهلك ، فقال يا رسول الله ، لقد بارك الله فيما أمرتني . فقال : هذا خير من أن تحيى يوم القيامة في وجهك نكتة المسألة . إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة : لذي دم موبجم : أو غرم مضطع ، أو فقر مدقع .

٤٨٢ - وسئل الفضيل بن عياض : عن الرجل يقعد ينتظر الرزق في بيته ثقة بالله ، فقال : لم يفعل هذا الأنبياء ولا عيرهم ، وقد كان الأنبياء يؤجرون أنفسهم وكذلك أجر النبي نفسه وأبو بكر وعمر ، يقول الله :

﴿ وابتغوا من فضل الله ﴾ فلا بد من طلب المعيشة - ويشر بن الخوارث  
 كن لا يرى غير الاكتساب - ومحمد بن مقاتل يقول : ينبغي للرجل أن  
 يضر رعيته من أين هو ؟ ودرهمه من أين هو ؟ وسفيان الثوري يقول  
 في كسب الحلال : إعمل عمل الأبطال

١٨٣ - وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أطيح الكسب فقال  
 « عمل الرجل يده » وكل بيع مبرور ، وكان أبو يوسف الفسولي يقول :  
 إنه ليكفي في السنة ١٢ درهما لكل شهر درهم ، وما يحتملني على العمل إلا  
 السنة هؤلاء القراء ، يقولون : أبو يوسف من أين يأكل ؟ ومن لطف  
 أبي يوسف هذا ودقته في الذهب قوله : « أنا أتفقه في معاملي من ستين  
 سنة » فهو في عمله لطعامه يرى أنه يتفقه ويتدبر ولا يسيئ الله وذكره

١٨٤ - - وقد ذكر « الخلال » بعض الأنبياء العظماء فقال : كان  
 داود لا يأكل إلا من عمل يده ، وكان يحطب الناس على منبره وإنه ليعمل  
 الخوص يده ، فيعمل منه القنفة أو الثوب . ثم يبعث به مع من يبيعه  
 ويأكل منه

وكان سليمان ابنه . يعمل الخوص يده ويأكل خبر الشعير  
 والنبي إدريس كان خياطاً ، وكان يتصدق بما فصل من كسبه بعد  
 فوته . وكذلك كان لقمان خياطاً . وكان ذكرى نجاراً

١٨٥ - وقد مر أن النبي كان يعمل وأجر نفسه ، وأبو بكر  
 وعمر . وكان علي رضي الله عنه يعمل حتى تدبر يده ، وأصحاب الرسول  
 يعملون ، وكان أبو بكر أجرة فريش حتى دخل في الإمارة . وسأل رجل

سيدنا عليا عن إزار غليظ عليه . فقال اشترته بخمسة دراهم ، إن أربحتني فيه درهما بعته

٤٨٦ — ومروءة سفيان الثوري « يقوم جالس في المسجد أحرام فقال لهم : ما يجلسكم ؟ قالوا : فما نضجع ؟ قال اطلبوا من فضل الله ولا تكونوا عيالا على المسلمين

٤٨٧ — وقال عمر : يا أيها الناس كتب عليكم أن يأخذ أحدكم ماله فيستفي فيه من فضل الله عز وجل . فإن فيه العبادة والتعديق . وإيم الله لأن أموت في شعبي رحلي وأنا أبتغي بعمالي في الأرض من فضل الله ، أحب إلي من أن أموت على فراشي ، ولو قلت إنها شهادة لرأيت أنها شهادة ، وهذه عظمة عمر ، يرى العمل والموت في سبيله كأنه شهادة في سبيل الله

٤٨٨ — ونفك القاري قصة صياد السمك بل « قاضي القضاة » فقد أخذ حب العمل على قلبه وزهد أن يقبول راتبه من بيت المال ، واستطاع بعظمته نفسه أن يجمع بين خدمة دينه ودنياه . وأنت يعمل لكسبه يده مع أنه يخدم المجهوع بعلمه ويجوزله أن يتناول عاياه ما يكفيه ولكنها عظمة حب العمل وخر العامل . قال في السر الصق :

الشيخ شمس الدين البساطلي قاضي قضاة المالكية ، كان مع جلال قدره زاهدا في الدنيا ، يأكل من صيد السمك ، فكل من يخرج في الغلس بشبكته فيصطاد ما يبيع به بقوت ذلك اليوم وهو في هيئة الصيادين ، ثم يجيء من خوخة في بيته فيدخل منزله ويلبس ملابس القضاة ، وهي

الشاش والطيلسان والملوطة للبيضاء . ويخرج من الباب إلى الدهليز ،  
ويجلس بين القصاة للحكيم بين الناس . وكل في عصر واحد مع شهاب الدين  
ابن حجر المحدث الكبير اهـ ( ص ٢٤٢ ) من كتاب السير للمصنف ، مقابله الخو ،

٤٨٩ - وقد ساق ابن قتيبة فصلاً في صناعات الأشراف سقاه وإن  
كان فيه غير العلماء . قال : كنت أبو طالب يبيع العطر وديماً مع البر  
وكان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه رازياً وكان عثمان رازياً  
وكان طلحة رازياً وكان عبدالرحمن بن عوف رازياً وكان سعد بن أبي وقاص  
يعرض لنبل وكان الموام أبو الزبير خياطاً وكان الزبير جزاراً وكان عمرو بن  
العامر جزاراً وكان العامر بن هشام أخو أبي جهل حداداً وكان طلحة بن  
كثير جزراً وكان الوليد بن المغيرة حداداً وكان عتبة بن أبي معيط خماراً  
وكان عثمان بن طلحة الذي دفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح  
البيت خياطاً وكان قيس بن مخزومة خياطاً وكان أبو سفيان بن حرب يبيع  
الرثيث والبلاد وكان عتبة بن أبي وقاص نجاراً وكان أمية بن حلاف يبيع  
البرء وكان عبد الله بن جدعان نحاساً له جوار يسحق ويبيع ولادهن وكان  
العامر بن وائل أبو عمرو بن العامر يباع الخيل والابل . وكان النضر بن  
الحارث بن كلفة يعرض بالعود . وكان الحكم بن أبي العاص أو مروان بن  
الحكم كذلك وكذلك كان حريث أبو عمرو وقيس المهري أبو الضحاح  
ومعمر بن عمرو بن عبيد الله وسيرين أو محمد . وكان يزيد بن المهلب  
اتخذ بستاناً في داره بحراسان وهو والبها . فلما ولى قتيبة بن مسلم جعله  
لأبيه ، فقال له سرزبان مرو : هذا كان بستاناً وقد جعلته لابلك فقال

فتيبة بن أبي كان ' اشتراني ' يعنى جلالاً ح' اح

٤٩٠ وقد تما هذا الحليط من أصناف العمل . وفيه أسماء  
بعض العطايا الذين بنوا المملكة الإسلامية . ورفعوها على أعناقهم  
رفعة لا يزال بقياتها مشمخراً إلى يومنا هذا رغم معاول الهدم والتخريب  
التي تنالوه ولا تفتأ تنزل به . لنقول للأمة التي تطاول الدنيا في زمتها  
هذا برجالها وثقوب على الناس مخروج عظمائها من بين حبيبات العمال  
والصناع خروجه الباهذين المصاعبة . المجيئين وتدن بروحها العام أنه شمل  
حبيباتها . وعز وهو حتى ايضاح منها أقوى الرجال وأعظم النفوس . ونحن  
نقول ونشر صحف تاريخنا وتراجيم عظمائنا ، إن الأمة الإسلامية الأولى  
كانت أعز نمرًا ، وأعظم قبيلاً ، وأقوى روحاً . وأسمى عايه ، وأفضل  
روحاً ، وأكرم سياسة ، وأبل مفيداً ، فكانت خير أمة أخرجت للناس  
ولي كتب في دأصور الشهورين : مبين فيه أن قوة المنظمة في  
أمتنا لا تنه في من مرد منها يكون نفعاً في التواقة لا يبعد عنه في طرفه أن  
يصهر وأن ينمر . وإد نقول هذا التماجد بن نهيب بأصحابها العاديين . أن هذا  
تراث آلئك ، حمود . وخرم فلا تصيعوه . وسبابهم فسلوكه . ومنصدم  
فأدرهم . ربكم الذي يقول : والذين جاءوا فينا أنه يديهم سببنا وإن  
الله مع المحسين . ويقول : من كان يرجو الله ربه فيعمل عملاً صالحاً  
ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ، فالعمل العمل . وحى على خير العمل . إن  
الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً

٤٩١ وفي المام تعرض لأعمال الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا



مقلدا من فعائلهم وعضائهم . فأولئك قوم هم ملائكة البشر . فكانوا متصايين ( بالدينامو ) الأعظم : فاستضاءوا بقوة التيار أن يتقبلوا الدنيا تلك القلبية . وأن يبدؤوا الاسلام هذه البدية . فحديثهم عجب ، وفاربخهم طرب ، والفرد منهم أمة والأمة منهم بعمالة مجروح : وحسبك أن ترى في كل صحابي رجلا فدائيا . يقادى بنفسه وبنائه وبأهله في سبيل دينه ، وبعاله كله وإصلاح أمته . لا يبنى على ذلك إلا إرضاء الذي في السماء . وعرشه وفي الأرض وعرشه . ولا يرى نفسه في المجموع شيئا ، ويرى العمل . لا بهاد كل شيء . هم مثل الكحل الأعلى . وهم ليس تبعهم قدوة العلية لمثل ذلك استعذوا أن يكونوا حبة القرون ثم بينهم من بعدهم ثم الدين بعدهم إلى مرماهد ، لا أدري ، به من حبر . إلا أنني أعظم الكتاب بصفة من تلك النفحات العلى . وأنقل عن ربي هذه الأمة وسيد شباب أهل الجنة الحسن بن علي سبط النبي مذكوره في الخلاصة قال .

وخرج الحسن خمس عشرة حجة ماشيا . وخرج من ماله صرقيين ، وقاسم الله عز وجل ماله ثلاث مرات ، حتى كان ليعطي فعلا وبمسك فعلا ودهن فعلا ، بمسك فعلا .

و مر ٢٧ خلاصة

وهذا كذا . عموما كتاب صمد عن الأعمال الصالحة . وفيه من جليل وفيه كل عظيم وفيه سر الله القادر على كل شيء . وقد صمم بسم ولهم كل شيء . إنما سفته فأنروني عن نفسي إذ أراي حرجا كما جاءني الأنبياء من أمريك ويريدونيا عن تلك المهمات الهائلة التي يتقدم بها أفراد من قبلة الأمم تكاد تطغى نفوس الأمم . لعل الناريين أن يسمعوا أو أن يعموا ، وأن يعرفوا السر في تقدم الأمم

## سر الإخلاص وقوة الاستمرار

٤٩٢ ربما هال بعض القراء ما رويته عن قوة العبد وإمدادها صاحبها بذلك المدد ، أو استعظم ما نقلته من عمل العاملين واستكثره ، فاذكره بسر الإخلاص وقوة العادة وفائدة الاستمرار والمداومة . وأعود به الى نفسه عسى أن يرضى على نحو خاص . فيرى من زيادته دليل واضح ، أو يتعزى في محيطه ويتبته لما يردده من أنباء الناس . ففي هذا مقنع إسلامه إلى حقيقة العبد وصداة توره ومقدار قوته . وإلى حقيقة العمل ونتيجة الاستمرار عاياه وكثرة ما ينتج به . وإلى تصديق حكم العادة إذا وحده نفسه بها وجهة الخير التي روينا عن رحله . حتى في هذا الرمز من انقطع إلى شيء من الأشياء ، فإنه يراه قد استكنه وأحاط به وقدر عليه . وفي ذلك يقول السيد المسيح لرحله وقد سأله عن سر ما يأتي به من الأوراق : « عملوا بحسبى » . ولولا هذا الخيال الطرح في البحر يطرح . ولما نسي صيام المحقق يوركت في إيرلندا وقد بقيت القلعة ثلاث تواريخ به سبعين يوماً من بضع عشرة سنة . وقوة إحاطته وبداية والمكثرة لا تزال به إلامتها في أبواب الالامة . وهم الذين يحملون اليوم لواء العمل والعمل . فلا ينفى القارىء رأسه لهذا الباب باب العبد والعمل ، وإلى بشارة لؤلؤحه والاستباق في رحابه . والله يختص برحمته من يشاء .

٤٩٣ وهذا سر من الأسرار نجلى لفصطفى صلى الله عليه وسلم وزمه ودعا إليه ، في البخارى من كتاب « الرقاق » أن عائشة رضى الله عنها . مثلت أى العمل كان أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قالت .

الأمم وقالت : كان أحب العمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي  
يدوم عليه صاحبه . وسئل هو صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أحب  
إلى الله ؟ قال أدومها وإن قل ، نعم فالقليل مع الأديعة كثير ، ومن يراجع منا  
أعماله المتكررة بعد حين فانه يجدها من الكثرة بحيث يصعب ، وهؤلاء  
كتاب الصحف اليومية تنظر إلى مجملات صحفهم فيأخذنا هو لها كما  
أخذنا إذا نظرنا إلى ضخامة التأليف اللانفيا لها العلماء وكثرة محلاتها  
وهذه عال صاحب متى ألفوها وجمعوها ؟ ولكن قوة الاستمرار تدفع هذا  
للعجب . وثاني هي . وقد جمعت تفاريقها ، بالعجب . كما أن هذه القوة  
بسمها في سميتها وتوسيع حوزها تحرق الخجب . وتظهر صاحبها كأنه  
حارق للعادة التي يجري عليها وفيها المشتهرون الآكاون المتمشون  
١٩٤ - في ملعب « السرك » ترى الرجل يصارع أسبع ، والفتاة  
تمشي على الخبل . والفنى يحمل من الأثقال مالا يحمله النور ، والخيول  
والكلاب والقطط والسمك والطيور تنعم الماء منظمة مرآة . مما  
عموها من نوحها . كأنها ذوات إدراك ولطق . وتقوم الخوفة فيه بحركات  
تسمعها لها لسانها كذا هل يصدق أن وراءها على سلك مشدود  
في حو السماء يدعه على كتفيه وحلا في يد كل منها إشار وهو يجري  
هذا الجوع خيبا على من السلك ، كأنه جواد راجع على طريق واضح ؟  
وترى إحدى في مشهد من التنصارة وفيه يعرض أعاجيبه . يطلع  
كتكوتا من جيبك . ويستخرج فرسا من أمك ، ويتلق من الهواء  
العناني منديلا كأن الشمس نسجته له ساعة مد يد . وينثر الورق المرق

فتلقاه كأغداً مشهوراً لم كل طائر منه عنق كل نظره . والحال تقصص عليه في يدك ثم تمتعها فلا يكون فيها . وأمامه عمود من عذب داخل بعضها في بعض فهو يفتحها عنبة علبة إلى أن يصل إلى أصغرها وإذا بجائتك في داخلها ، إلى أمثال هذا العجب المدهش . أسحر هذا أم أتم لا نبصرون ، إلى إنه سحر المرافة وبصر التجربة وسر الأتقان والسلامة الخارجة من دوام العمل وكثرة الاستعمال . ومن هذا التفرغ والتحصن لهذا العمل كان ما تراه في الملعب وما تنظره في المشهد من الراكع والحاوي . والأطفي في كليهما ألا ترى خطأ ولا تخيب تجربة ، كأن الحديق غطى كل خبيثة في هذا وذاك . إنني قائم أن العالم إن هو لا متصرح متخصص ذو مرانة وتجربة ودوام واستمرار جعلته هو علمه أو عمله الذي تفرغ له واستقر فيه حتى شربه أو تشربه ، فالعالم الذي قويت حافظته حتى حوت مثل مارويننا . أو اتسعت مفكرته حتى أحرحت المحمول من العلوم وكشعت عن الدقيق غير المفهوم . والعامل الذي صلى وصام ورجع وقام وغزا وهام ، وصاحب الحاق البازل الشجاع المؤثر الباحث بنفسه إلى آثار خلقه طالعة من مصادرها لا مقطوعة ولا ممتوعة . اعلم أن هذا وهذا مثلهم مثل من تراه في الملعب أو المشهد عكف على شئته حتى أباده ، وتفرغ لفته حتى أبدعه . ثم جاك العجب من بدعه وإحاذته . كلا الرجلين متخصص : ولكن العالم بدلا من أن تراه في الملعب على سلك من كستان . تنظره في العمل على سلك من عرفان ، وبدلا من أن يسلك درب الخاوي في خفة اليد فيقطع الكتكوت من الجيب . فدحفت بها حتى أطلقت

نور الكهروءاء من تقطير الفحم ، ونصب وسط الصباح شبكة من سلاك  
دقيقة يلعب النور فوقها فتراه حقيقة نافعة تخدم العالم النائم ، وكذلك  
سنة ، تخليقة في انتفاع الوستنان من الصاحي . وفي خدمة العالم للعالم  
واليوم في عصرنا هذا لا تزال الدنيا بخير . شريعة العلم لا تزال قائمة ،  
والعلم لا زال نوراً . ولكن النور يطلع اليوم من الغرب ، وكن فيما  
مضى يطلع من الشرق ، وهالته من العلماء تبع له يحمقون به حيث كان ،  
ويظهرون معه أين ظهر . وهذه دورة من دورات الزمن ، وتلك  
الأيام تداولها بين الناس . فالدولة في عصرنا هذا ساحية من نواحي هذا  
الكوكب الأرضي . والله وحده وقد حدثه من غير أن يشهدنا حقيقته . هو  
الذي يعد عدد نواحيه التي فيج هذا النور فيها من بدء حقيقته ، وعدد النواحي  
الباقية منه التي فترها أن يفجج فيها . وممدار ما يدوم بها . ووقت  
ينتقل منها في كل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .  
فيها القاري . نحن الطامعين الكسبيين الآكلين الشاريين ، عالة على  
العلماء العاملين . نأكل من فلتهم ، ونعيش بفضلهم . ونحجي وفي أعناقنا  
حقوق منهم . هم الذين أمناوا الليل ومهروا النهار . وهم الذين اكتنهوا ناي  
السكتب وفي الدار . وهم الممتون وخدم بسايعتوون ويجدون وينقبون  
ويضحون فيما يتفتنا وبهنتنا . أبقاط ونحن دهود . حرله ونحن نخود .  
هم الأحياء وأعصاب هذه الحياة ونحن في الحق صيوفهم الثقلا ، لولا كرمهم  
وطيب نفوسهم . تراهم ومن فرط صفاتهم لا يعرفهم فترى المرء منهم ورداً  
وهو أمة . وتعامله على قدم المساواة وهو سماء ومن دونه أرض ، ولكنه

العلم . انه من صبيعه يورث الحليم . ويملا شئ صاحبه بقيمة العلم : ولا يعرف  
الشوق إلا من بكبده . فالعالم كلما تسع أفته عرف صفه بالنسبة للأفق  
الأعلى ، وفي قصة اخضر وموسى . أنها لما ركب البحر وقع عصفور على  
سكن - دية فستر من البحر نفرة ثم طار . فقال اخضر لموسى ما نقص  
علمي وعلمك من عند الله إلا ما نقص هذا العصفور من البحر ، هذا  
الكور الذي يقف كل عقل دون تدويره . وينقطع الخيال ولا يتكلم به  
يعرف العلماء . - منه عظيم لهم مدبرون . واحدة صاحبه ساحدون . ويعجزهم  
أمام قدرته مؤمنون . وهكذا تقوم الساعة ويبقى الكور محالاً لاستباق  
العقول والاستجراح ما فيه من محمول ثم لا يكون هذا الخيال ، هما عرض  
ومال إلا الحسنة في البرية لا تحس بينهما تنسباً بالكيفية . والله واسم  
محيط ، ما نرى حدوداً إلا هو ، سبحانه العالم بما كن وما يكون

إذا تأملنا نوره معدودون إن قاسوا بعقولهم الصغيرة ، أو وزوا  
بمعارفهم الصغيرة . حتى إذا كبروا عرفوا . وهم إن عرفوا جهلوا ، وهكذا  
المعرفة الصحيحة . ما احتمال . أي جهل ما عدا علمه ، وإقراره بحمله غير  
ما يعلمه فهو إذا نجد لمعرفة ، وفي هذا الجند سعادته وسعادة المجموع

٤٩٥ - لما تولى أبي أمانى الناس مقامه . وعلماء الطبيعة يقولون :  
إن الطبيعة تكبر العضو . فكذلك كبرنى مقامى ذلك ، فندقت أطراف  
أمر الذى صبه بر محذات مستفيداً . وكنت أسمع بعد المنطق وأرى  
تصادق التمرسين به . فحضرت دروسه فيما حضرت . وتقيمت كتاب  
إلى الساعو حتى فيه . فرائعى منه تقاسيمه : وأخذ منى بطنين أوابه ورمى

فصله . فما أن حصته حتى انتفعت عرور به ، وكما قدمت في ملا هجر  
في خاطري طاوس العرور يشعم فؤادي فأتساءل في نفسي . ترى هؤلاء الجمع  
أيعرف أحد منهم علم المنطق ؟ ولقني المنطق في ملائته ودعاه من الزمن  
ثم يطل . فقد كتب بعد ثلاث سنين في مدرسة القضاء الشرعي في سر فاضلا  
مطلقا في علم المنطق ، وأتولى في المناظرة طرف المنهج ، أقرر أن علم المنطق  
لا فائدة منه ولا حاجة إلى تعلمه ، وأن الاشتغال به مثله كقل التمر إلى حجر  
يد كل إنسان بصيغته هو معاني . والفطرة الإلهية قائمة في النفس تؤدي  
هدى العمل الذي صمغ الله ألقه فيه ساعة يريدون أن يتقنوا بها كمال العلم .  
وهو خلق أن يتفرغ للبحث عما يكمل البشرية ، ويتعلم الطلبة به ما يشغلها  
ويسد نقصها ويملأ فراغها ، ومن غلب أن يرى العلامة السيوسي على  
هذه المذكرة وقد ألفت رسالة سماها « صون المطلق » الكلام عن معنى المنطق  
والكلام ، ثم رأيت بعد حصة أن « ابن القيم » ينهج هذا المنهج في كتابه  
« مفتاح در السعادة » ويحمل على هذين العلمين أو الصاعتين حملة  
موفقة منتظرة من أرباب النظر . مستندا زاني كما ازدادت في علمي  
غير ط . راد إدراكه فنظرا ينظر ما عندي النسبة للمحدثين . وبخس  
قيمتهم إزاء جواهر المقربين ، واتسع أفق النظر حتى ما أرى تلك الحجب  
والحدود التي غطت على في سابق رمي . وانتفعت أممي فيما مضى من  
عمري . ولذلك ترائي إذا خاطبني غيري . سهل على خطابه وانسجت أذني  
لكلامه . وعدد عندي موقفي مثله في السابق . وإدراكه فيما سيأتي ما أدركت .  
وهي حقيقة التي لطق بها سيد الحق بقول الحق « لكم دينكم ولي دين »

٤٩٦ وفي مثل هذا المعنى يقول الشعبي : العبد ثلاثة أضياف . قر  
 نال منه شبرا شمعاً بأنفه وظنّ أنه ناله . ومن قال الشهر الثاني صغرت  
 إليه نفسه وعلم أنه لم ينله ، وأما الشهر الثالث فهيأت لا يناله أحد أبداً .  
 وحكى الماوردي أنه ألف كتاباً في البيع أحب به ونصود أنه اصطلاح  
 بعلمه ، فجاءه أعرايان يسألانه فمد يدهما حواشي وأحابهما تلميذ من  
 حقيقته فكان هذا واعظه علمه ألا يزعمي ( من صفة العبد السبا والدين )

٤٩٧ ولما كان الإخلاص راداً من كتبنا فيهم من العلماء . وانقصد  
 السليم غاية ذوى الأخلاق منهم . والعلم من طبعه سليم لا يعرف النقص ،  
 صافٍ لا يخالطه كدر ، فعلماء الحق لهذا مخلصون بطبعهم . لا يعرفون  
 إلا الإخلاص ولا يبالون بميرده بالة . فتلك التقاليد والمرامج والأوسمة  
 والأربطة والشارات والاعتبارات والأرجات كلها حواشي لا ضائل  
 تحجبها ، وتظاهر قد يحور انتفاهر ويحوي الكبار . ويدخل بصاحبها باب  
 التفاضل . ويقعده . ويقيده ويحبسه في حدود وعادات . ويربطه بسيور  
 ويسفه في أقطار خاص منها كلها علماء الإخلاص . فذلك تراهم في بحبوحة  
 الحق الذي خلقهم وعلمهم . وأمر قبيح أن يقول لهم « قل من حرم زينة  
 الله التي أخرج لمصاده والطيبات من الرزق . . الآية » فهم يستبشرون  
 طيبين الاستمتاع بعم الله . حالين بالزينة التي أخرج الله . مستغنيين  
 بطبعهم عن التطبيع ، وبحوهم عن التصنع

٤٩٨ — كن عبد الملك المشهور بابن جريج المحدث الذي قال فيه  
 أحمد إذا قال أحمرنا . وصححت حسبك به ، كان يصوم الدهر إلا ثلاثة



أيام . وقال الشافعي : استمتع ابن جريج بتسعين امرأة أخ

» من ١٦٥ ج ١ نكتة المسند »

٤٩٩ — ومكر بن عبد الله المزني المتابعي أحد الأعلام الذين أخذوا

العلم عن الصحابة وأخذهم عنهم الحق الكثير . وكان ثقة ثبتاً مأموناً ، قال  
ابن قتيبة : كان بكر حسن اللباس جداً ، كانت قيمة كسونه أربعة آلاف

درهم ، وكان نطاسة ( زكا ) اشترى طيلساناً بأربعمائة درهم فأراد الحياض  
أن يقطعه وذهب يذو نراياً على موضع القطع فكلمه بكر . وأمر بكافور

» من ١٥٥ المجلد »

فسحق ثم ذرّ عليه

٥٠٠ — ومحمد بن بشير قاضي قضاة الأندلس في القرن الثاني ، وبعدله

أضرب الأمثال ، قاهر نفسه في شهواتها ، واختلف على أنه لا يسر

للولايه ولا يستوحش من العزل ، كان يرى على باب المسجد يوم الجمعة

داخلاً وعليه رداء معصفر وفي رجله نعل صرارة ، وله جمّة مفرقة ،

، يوم يحطّط ويعلى وهو في هذا الزيّ . وكان يحلس لتقضاء بين

الناس فإن دام أحد من دينه شيئاً وجده أبعد من التريا . جده رجل

لا يعرفه فلما رأى ما هو فيه من ردى الخدانة من الجمعة المفرقة والرداء

المعصفر وفهور الكحل والنسواك وأثر الحناء في يديه توقف وقال دأوني

على القاضي ، فقبل له هاهوذا وأشير إليه فقال : إني رجل عربى وأراكم

تستهزئون بي ، أنا أسألكم عن القاضي وأنتم تدأوني على زامر . فصاحوا

له أنه القاضي ، فتقدم إليه واعتذر ، فأدبه وتحدث معه ، فوجد عنده

من العدل والإيصاد فوق ما ظنّه فكان يحدث بفحشته . هذا القاضي الذي

حسبه الغريب زامراً . تقدم له الحكيم بن هشام بن عبد الرحمن البجلي وهو صاحب الأندلس وهو مؤلفه . تقدم له بشهادة لعمه بعد إخراج من عنده فيها . وقد أحضر الحكيم مقيمين وكتبها أماءهما . وأشهدوا عليها ، فأخذها العم فرددتها القاضي . واستشاط العم عداً . ورجع إلى الحكيم ينهى عليه سلطاناً ويحرمه على الإيقاع به . فقال له الحكيم : وهل شككت نأياً عم في هذا ؟ إن القاضي رجل صالح لا تأخذ به أثمة لومة لائم . مع ما يحب عليه . وسدّ دونه . كان يعصب عليه إذ حول منه . فأحسن الله تعالى حراجه . فعصب العم . قال الحكيم : إني قد بيت الذي يحب لك على ( وهو الشهادة ) ولست أعارض لقضى فيما احتاط به لنفسه . ولأأحور للمسلمين في بعض يد مشد ، وقد تفرّج عاتب بسؤال القاضي في هذا . عاتب من عاتب . يعاجز أماً نعم أنه لا بد من الإعداد في الشهادات ، ليلا حيف عليها المشهود عليه ويظمن في الشهادة إن كان له حسن أو دفع ، فمن كان يحري على الدفع في شهادة الأمير لو قبلتها ؟ ولو لم أعمر محضت المشهود عليه وفي قصة أخرى أنه حكى على ( ابن فطيس ) الوزير ولم يعرفه بالمشهود فرجع الوزير ذلك إلى الحكيم متظالماً ، فأوماً الحكيم إليه ، فكتب القاضي له : ليس ابن فطيس ممن يعرف بمن شهد عليه . لأنه إن لم يجد سبيلاً إلى تجريهم . لم يتحرج عن طلب أدائهم في أنفسهم وأموالهم . فيدعون الشهادة هم ومن اتنى بهم ، وتضيع أموال الناس . إلى أمثال هذه القصص مما كان يحكم براهن عليه خواصه أن قاضي الأندلس لا تأخذه في الحق لائمة ويصدق الحكم ولا تكون ثياب القاضي بباطرة شيئاً إلى

عدله . ولا للظاهر المزيف تأثير في ديه وصحة نظره .

٥٠١ - ولقد عوتب ابن بشر هدا في إرسال أمته وفي لبسه الخنز  
والعصفر فقال ، حدثني مالك بن أنس أن محمد بن المنكدر وكان سيّد القراء  
كانت له أمة . وأن هشام بن عروة فقيه المدينة كان يلبس العصفر . وأن  
القاسم بن محمد كان يلبس الخنز

٥٠٢ - وكان الإمام مالك يلبس اثني عشر بعدية الجياد ، ويكره  
حلق الشارب ويعيبه ويراه من المناة . ولا يفتر شيبه

٥٠٣ - وأيوب السخيتاني السامي الذي يعرب المثل بنفسه . كان  
يمحق شعره في كل سنة مرة . فإذا طل عرقه ، قال حدّدين زيدي : وكان  
قيم من أيوب يشم الأرض . هروى جيد . وله شعر وارد ، وشارب واف  
وطيدان كردي جيد . وقد سودة مركة ، لو استسقاك على السك شربة  
من ماء ماسقيتموه أو هو هو أيوب الذي كان يسقي به الغنم

٥٠٤ - وداود الطائي العامّ المعارف الذي تعبد وجنس في بيته عشرين  
سنة ، وترك الكلاء حتى قيل له : الأصمّ ويقول الفصل بن دكين كست  
إدا رايب داود ، وأيت رجلا لا يشبه القراء . عليه فلسفة سوداء  
مدولة مما يلبس التجار

٥٠٥ - إلى أمثال كثيرة ترى الثياب فيها غير منظور لها نظر  
المقصرين اليوم ، فقد تكون كما رأيت ذات قيمة وبهاء ، وقد تكون أخلاقا  
يدخل بها النضر بن شميل على المأموز في مرو ، وعدده حرام مرو (نبذة ٣٥١)  
فالتوب هو التوب . قال ابن قتيبة : كان عبد الله العنبري خيراً فاضلاً .

وَأَمَّ عُثْمَانُ فِي دَعْلِيْزِهِ فَرَأَى شَيْخًا نَظًّا (قَدِيْلًا شَعْرًا لَّحِيْبَةً) تُشْمِي  
(مَنْتَشِرًا الشَّعْرَ) فِي عِبَادَةٍ. فَأَتَكَرَّ مَكَثَهُ وَلَمْ يَعْرِفْهُ فَقَالَ يَا أَعْرَافِي أَيْنَ  
رَبِّكَ؟ فَتَنَالَهُ بِالْمُرْصَادِ وَمِنْ جَوَابِ الْعَتَبِيِّ، بَارَ فَضْلُ الْمَلَأْسِ  
عَلَى الْمَلَأْسِ

٥٠٦ - وفي ترجمة الإمام الغزالي لَمَّا تَحَرَّدَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَرَاخِ نَفْسِهِ  
عَلَى الْحَقَائِقِ : وَرَفَعَ وَرَأَى ظَاهِرَهُ كُلِّ ظَاهِرٍ أَنَّهُ دَخَلَ دِمَشْقَ فِي زِيَّ  
الْعَامَّةِ وَحَاسَ عَلَى بَابِ «الْخَانِقَةِ السَّعِيَّةِ» طَيَّةً إِلَى أَنَّ أُنْشِرَ لَهُ فَقِيرٌ مَجْهُوْلٌ  
فَاقْبَدُوا بِكُمُ مِيزَانَةَ الْخَانِقَاءِ وَيَخْدُمُهَا . فَاتَّفَقَ أَنْ جَلَسَ يَوْمًا فِي مَحْنِ  
الْجَمَاعَةِ الْأَمْوِيَّةِ وَجَمَاعَةِ مِنَ الْمُتَفَتِّينَ يَتَمَشَّوْنَ فِيهِ ، وَإِذَا بَصُرُوا جَاءَهُ  
بِاسْتِغْنَائِهِمْ ، فَزَبَدُوا عَلَيْهِ حَوَالًا . وَالْغَزَالِيُّ بِتَأَمُّلٍ . فَلَمَّا رَأَى أَنَّ الْجَوَابَ  
لَهُ عِنْدَ أَحَدِهِمْ وَعَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يُخْذِعَ . دَعَاهُ وَأَقْبَدَهُ . وَأَحْذَقُوا بِدَسْتِهِزِيءٍ  
بِهِ وَتَوَلَّى : إِذَا كَانَ الْمُفْتُونَ مَا تَحَابَسَ . وَكَيْفَ يَحْيِي فَقِيرٌ عَالِيٌّ ؟ كُنْ  
ذَلِكَ وَلُفْتُونَ يَرَوْنَ وَيَسْمَعُونَ . فَتَمَّ فَرِغَ الْغَزَالِيُّ مِنْ كَلَامِهِ مَعَ الْقُرُوبِ .  
دَعَا الْقُرُوبَ وَسَأَلُوهُ عَمَّا حَدَّثَهُ بِهِ الْعَالِيُّ . فَشَرَحَهُ لَهُ وَسَمِعُوا إِلَيْهِ .  
وَتَعَرَّفُوا بِهِ . وَسَأَلُوهُ أَنْ يَعْقِدَ لَهُمْ مَجْلِسًا فَوَعَدَهُمْ يَوْمًا وَسَافَرَ مِنْ أَيْلَتِهِ  
هَرَبًا . ثُمَّ عَادَ دِمَشْقَ كَمَا فِي جَوْلَانِهِ . لِأَرْضِ إِدَدَحَرٍ إِحْدَى الْمَدَارِسِ  
فِيهَا فَسَمِعَ الْمُدْرِسَ يَقُولُ : قَالَ الْغَزَالِيُّ . وَيُدْرِسُ مِنْ كَلَامِهِ . خَشِيَ الْأَسْتَاذُ  
أَنْ يَعُودَ لِنَفْسِهِ الْعَجَبُ . وَتَبِعَ الْجَوْلَانَ . فَهَذَا الْغَزَالِيُّ فِي رِيِّ الْعَالِيِّ  
الْفَقِيرِ هُوَ الْغَزَالِيُّ الْعَالِمُ الَّذِي تَشَدَّدَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ . لَمْ يَحْجِبْ رَبُّهُ شَيْئًا . وَلَا  
مَنْعَ السُّعْتِينَ الرَّافِعِينَ أَنْ يَسْأَلُوهُ فَيَضَامْنَ بِحَرْمِهِ . وَلَمْ يَنْسَحِ خُرُودَهُ مِنَ الْمَطَاهِرِ

علمه وقد حوته الدفاتر ، فهو إذ يسمع بأذنيه العلماء يقولون قال 'قرالى ،  
يحكى على نفسه وقد سمعت إلى شرف الإخلاص : أن يدخل عيها  
هاسس بما يدب في زواياها فيعقد لها شراكا يكاد لا يسلم منه اس آدم ،  
صطوبى للمخلصين « ص ٥٠٦ طبعات الداربية »

٥٠٧ — وهنا رواية تريك مايفعل الإخلاص لصاحبه . يصق جهر  
خسه ، ويسمر أهداب عينه في غرارة جلبابه . روى رجاء بن حيوة .  
العالم الصخم الوجيه . النافذ السكامة عند بي أمية لصلاحه وتقواه  
ومعاليه وقبله ، وكان يحال الس الخليفة عمر بن عبد العزيز ، روى أنه بات ليلة  
عنده بهم لمرح أن يخدمه فقام إليه ليصلحه . أقسم عليه عمر ليخدمه .  
وقام هو فأصلحه قال ، فقلت له : تقوم أنت يا أمير المؤمنين ؟ فقال قمت  
وأنا عمر ورجعت وأأمر . قال وأمرني عمر بن عبد العزيز أن اشترى  
له ثوبا بستة دراهم ، فأتيته به . فجسه وقال . هو على ما أحب ، لولا أن  
فيه ليثا ، قال فبكيت ، قال فما يبكيك ؟ قال أتيتك وأنت أمير بتوب  
بستمائة درهم خسته وقلت هو على ما أحب لولا أن فيه خشونة .  
وأنتك وأنت أمير المؤمنين بتوب بستة دراهم خسته وقلت هو  
على ما أحب لولا أن فيه ليثا : فقال يارجل : إن لي تساؤفاة : تافت  
لي فاطمة ابنة عبد الملك فتزوجتها ، وتافت الى الإمارة فوليتها . وتافت  
لي الخلافة فأدركتها ، وقد تافت الى الجنة فأرحو أن أدركها إن شاء  
الله عز وجل . وقال رجاء . فوتمت ثيب عمر بن عبد العزيز وهو  
يحب . اثني عشر درهما ، وكانت قبله وعمامة وفيها وسراويل ورد .

## وحنين وقلنسوة

٥٠٨ كذلك رأينا منهم من يجمع بالسمع ويشوف أذنه لاصوت  
 وقلبه طالق مشدود بملاوى الإيمان ، قدم عكرمة مولى ابن عباس وهو  
 من هو ( نبذة ٢٥٦ ) إلى البصرة فاجتمع إليه علماء الحديث فبينما هو  
 يحدثهم سمع صوت غناء فقال : اسكتوا ههنا . ثم قال : قاله الله لقد  
 أجاد أو ما أجود ما عني . فهذا عكرمة يقطع الحديث ويتسمع ويستسمع  
 أصحاه . وهنا ظاهرة صريحة . لم ينكر أحد على عكرمة في اليوم الثاني  
 عاد بعضهم إليه وتحلف به من تبعه لانتهاج كل وجهته . وكان ممن عاد  
 أيوب السختياني ، ويقول يزيد بن هارون روى الخبر : قد أحسن أيوب .  
 ولتعلم قيمة هذا الاستحسان نرى كيفية يزيد بن هارون هذا المستحسن .  
 هو أحد أعلام المشهورين من تلاميذ التابعين أحد عنه علماء الحديث  
 ومنهم الإمام أحمد بن حنبل وفيه يقول . كن حافظاً متقناً . وقال أبو حاتم :  
 إمام لا يسأل عن مثله . وقال يحيى بن أبي طالب . اجتمع في مجلسه سبعة  
 ألف رجل . وأضئ في هذا التعريف كفايه

٥٠٩ — وأبو مروان التيمي ابن الماخشون العالم ابن العالم الذي كان  
 يذاكر الشافعي فلا يعرف الناس كثيراً بما يقولان لتعاليمها بانقضا  
 عليهم : الشافعي تأدب بهدليل في البادية . وابن الماخشون تأدب في  
 حوثولته من كلب بالبادية أيضاً ، والتصحيح الذي يصرب به المثل حتى  
 ستل أحمد بن الممدل النار الفحل فليل له أين لسانك من لسان أستاذك  
 عبد لك بن الماخشون ؟ فقال كن لسان عبد الملك إذا تعالما ، أحبي من

لساني إذا نحيا : المحدث العالم الذي دارت عليه الفتيا في زمنه ، كان مولعا  
 بالقناء ، ويقول ابن حنبل إنه قدم عليهم بغداد ومعه من يغنيه ٥ ٤٩٠ ٥  
 ٥١٠ - والكامل بن الهمام شيخ الحنفية وقد بيع مرتبة الاجتهاد ،  
 يقول السيوطي عنه : إنه كان علامة في الموسيقى ٥ من الفوائد القوية ٥  
 ٥١١ - وتنقل هنا طرفة آتحنفاها صاحب تاريخ بغداد عن عالم  
 محدث نقل من شيوخ المدينة نزل بغداد في القرن الثاني فلاقاه علماءها  
 بما يدين بمثله جلالة وغزارة علم حتى يروى البخاري عنه أن عنده سبعة  
 عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي ، وتولي فيها يد المال وكان  
 أنوره من قبله على قضاء المدينة وكلاهما ممن يسأل عنه في الحديث : ذلك  
 هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهري ، قال الحافظ أبو بكر الخطيب :  
 قدم إبراهيم بن سعد الزهري العراق سنة أربع وثمانين ومائة : فأكرمه  
 الرشيد وأظهر برّه . ومثل عن القناء فأفتى بتعليقه ، وأتاه بعض أصحاب  
 الحديث ليسمع منه أحاديث شيخه الزهري فسمعه يتغنّى ، فقال : لقد كنت  
 حريصاً على أن أسمع منك . فأما الآن فلا سمعت منك حديثاً أبداً . فقال  
 : لا أفقد إلا شخصك . على وعلى إن حدثت ببغداد ما أقت حديثاً  
 حتى أعتى قبله ، وشاعت هذه عنه ببغداد ، فبلغت الرشيد فدعا به ، فسأله  
 عن حديث الحزومية التي قطعها النبي صلى الله عليه وسلم في سرفة الخلي  
 فدعا يعود . فقال الرشيد : أعود الحجر ؟ قال : لا ، ولكن عود الطرب ،  
 وتسم ففهمها إبراهيم بن سعد ، فقال : لعله بلغك يا أمير المؤمنين حديث  
 السفيه الذي آذاني بالأمس وأجلائي إلى أن جئت ؟ قال : نعم ، ودعاه

الرشيد بعود ، فقتناه .

يا أم طلحة إن البين قد آفدا      قل الثواء لن كلن الرحيل غدا  
فقال الرشيد : من كان من فقهاكم يكره السماع ؟ قال من ربه الله  
قال : فهل بلغك عن مالك بن أنس في هذا شيء ؟ قال : لا والله إلا أن  
أني أخبرني أنهم اجتمعوا في مدعاة كانت في بني بربوح ، وهم يومئذ جلّة  
ومالك أقلهم من فقهه وقدره . ومهم دفوف ومعارف وعبدان يتنون  
ويلعبون ، ومع مالك دفّ مربع وهو يفتّهم :

سليبي أجمت يينا      فأين لقاؤها أينما

وقد قالت لأنراب      لها زهر ، تلافينا

تمالين فقد طب      لنا العيش نصالينا

صحت الرشيد ووصاه بحال عظيم      ٥١٢ من ٨٤ م ٩ تدبج جده

٥١٢      وهناك ملح في مستى الطرافة رواها مؤرخو العلماء عن  
جمع منهم كان يمزح ويحب المراح ، منهم أبو العالية ( نبذة ٢٥٩ ) والشعبي  
( نبذة ٣٣٢ ) والأعمش ( نبذة ١٢٣ ) والنخعي ( نبذة ٣٩٢ ) وشریح القاضي  
الأشهر ، اساقفوا فيه إلى طبائعهم الطيبة السياق الأدب مع الترويح بما  
تحرى به البشرية في محارى الطيب الحلال . ويدفع عنهم السأم والكلال ،  
كما روينا عن شيخنا سيد بن علي المرصفي في الدرس قصيدة مطلعها  
هذا البيت :

لا بد للحدث من هزل تجده به      تلك النفوس التي من طبعها الملل

٥١٣      كذلك معاملاتهم اطردت مع اليسر والسهولة حيث يكون



احمال : فهذا **الحليق بن سلمة الأسدي** من سادة التابعين ، تعلم القراءات في سنتين ، وقال **عاصم بن بهدلة** : ما سمعته يسب إنساناً ، وقال **يحيى بن معين** ثقة لا يسأل عن مثله ، صاحب الحصن يكون فيه هو وفرسه ، فإذا جاء الفرو تقضه وهب لغزوه وإذا دجم أعاده . هذا الكامل المكمل كانت أمه نصرانية

٥١٤ - والحسن البصري يكون في المسجد يحيطه الناس للفتوى فيسبقه الفرزدق شاعر بجوابه في المسألة من شعره والحسن يستمعه ولا يجبهه . قال أبو بكر الهدلي : إنا جلوس عند الحسن إذا جاء الفرزدق يتغطف حتى جلس إلى جابه . جاء رجل فقل يا أبا سعيد : يقول الرجل لا والله ولعم والله في كلامه لا يريد اليمين ، فقال الفرزدق : أو ما سمعت ماقلت في ذلك ؟ قال الحسن : ما كل ماقلت سمعوا . فما قلت ؟ قال قلت : ولست بماأخوذ بلغو نقوله إذا لم تعد عاهدات العرائم ثم لم يدشب أن جاء رجل آخر . فقال يا أبا سعيد : نكون في هذه المغازي فمصيب المرأة لها زوج ، أفيحل غشياتها ولم يطلقها زوجها فقال الفرزدق ، أو ما سمعت ماقلت في ذلك ؟ قال الحسن : ما كل ماقلت سمعوا فما قلت ؟ قال قلت :

وذا حليل أنكحتها ومأحيا حلال من يبي بها لم تطبق  
مر ١٩ + ١٩ + ١٩

٥١٥ - **وئسر بن سعيد** العالم الزاهد المتحنت ، رافق الفرزدق في الخج : وركبا في حمل واحد ركبة تحدث بها الناس عجباً ، وطار بها

الفرزدق هرجاء ، وكان سعيد يقول : ما رأيت رفيقاً خيراً من الفرزدق .  
ويقول الفرزدق مثل ذلك

٥١٦ - إلى أمثال هذه الشواهد مما يطول شرحه ويعني ذكره درج  
العلماء فيها على سببهم ، ولم يروها فادح في إحلاصهم . فلم يحفلوا بما عداه  
ولم يجعلوا له تلك القصة التي يخلقها أرباب الظاهر على المظاهر ، ويقتسمات  
بها عباد الظهور . وقد جعلوا زاده فيه فتيل القشور وإن ضاع اللب  
وعاب اللباب . فهم في العين لا القلب ترمش هي ولا يباليون أن يطمس  
هو ، وإن كان عليه العذاب وبه المرجع والمآب

٥١٧ - ولا أنتقل من هنا حتى أنقل للقارىء كتابين حول هذا  
المعنى ، نداولهما فخلات من شيوخ العلماء . يدور نظرها حول الحلال  
والاستمتاع به . أحدهما يرى أن يؤدب نفسه بحشوته ، والشأنى يرى  
في فربه باستغفار ربه ما يكسبه نعمته ، وكلا النظريين ينصبّ حول  
الإحلاص وبرومه ويريده . وهو غاية النظريين وقبلة الرحاب - كتب  
بجى بن يزيد النوفلى إلى الإمام مالك رضى الله عنهما يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم - وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين  
من بجى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس « أما بعد » فقد  
بلغنى أنك تنبئ الدقاق . وتأكل الرقاق . وتجلس على الوضى . وتجلس  
على بابك حاجباً . وقد جئست مجلس الميم ، وقد صربت إليك المظي  
وارتحل الناس . واتخذوك إماماً وروىوا بقولك . فاتق الله يا مالك وعليك  
ماتوا صنع . كذمت إليك بالتصريحة منى كتاب ما أطعم عليه غير الله سبحانه

وعلى والسلام -- فكتب إليه مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم - وصلى الله على سيدنا محمد وآله ومحبيه وسلم  
من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد - سلام الله عليك « أما بعد »  
فقد وصل إلى كتابك موقع من موقع النصيحة والشفقة والأدب ،  
أتممتك الله بالتقوى ، وجزاك بالنصيحة حيرا ، وأسأل الله تعالى التوفيق  
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فأما ما ذكرت لي أني آكل الرقاق  
واليس الدقاق . وأحتجب وأجلس على الوطى . . . . . ففعل ذلك  
وبستغفر الله تعالى . فقد قال الله تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي  
أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ وإني لأعلم أن ترك ذلك خير من  
الدخول فيه . ولا تدعنا من كتابك فلنسا ندعك من كتابنا والسلام

وفد عنق الإمام الغزالي في « الأحياء » على كتاب مالك بقوله :  
( فانظر إلى إنصاف مالك إذا اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ،  
وأفتى بأنه مباح . وقد صدق فيه جميعا ) ثم علل اعتراف مالك بالنصيحة  
بأنه مما يقوى نفسه على الوقوف على حدود المباح ، حتى لا يحمله ما هو  
فيه على المراءاة والمداينة والتجاوز إلى المكروه لأنه متمكن في نفسه  
من الإنصاف . وخشى على غيره ممن لا يقدر على ضبط نفسه أن يحمله  
التسليم بالمباح على الوقوع في الخطر ، إذا كان ممن لا يخاف ولا يحشى ،  
قال : لأن خاصية علماء الله الخشية ، وخاصية التبعاء من  
مطازن الخطر

« من ٦٠ ج ١ كتب الأجداد »

وإني أعلق على هذا بلفت القارئ إلى هذا الأدب العالي بين أسلافنا

العلماء ، فهم في آرائهم أحرار يتبادلونها ، وقد اترم كل منهم حذره وأخلص لله ولأخيه نيته ، والناسح يُسرُّ بنصيحتته ، ويطلب من كتب إليه على حفظه ، والنصوح يتقبل النصيحة بقبول حسن ، ويدلي بحجته في عمله مع الانصاف لا الكذب ، والتزالي بينهما ، وزعته صوفية يعيل الى الاخشوشان والانتباض عن مجبوحة الحلال . مع هذا يقيم ميزان النصفة بين الرأيين ووجهه في أدب جم نصر الوحدتين ، ولمثل هذا فليعمل العاملون

المظاهر ٥١٨ فالمطلب أمام هؤلاء الثلاثة الاعلام ، وهم علماء الصاهر

والباطن ، هو الخشية الداعية الى الإخلاص ، والحاملة على قصد السبيل ، وبصفة الاعتدال ، واعتماد اللباب دون القشور ، وألا يغفل عن ذكر الله أياد يكون من منازل الحلال ومتع المباح ، وهذا هو الغرض الأول والآخر من العلم وانتدب للوصول الى هذا القصد حمل السيف طلبته على إدراكه ، ورأوا من وسائل ذلك تركهم الحيرة لهم في نهج السبل ، وهم منهم كان الغاية لا الوسيلة ، وأدبهم معهم أدب النفس قبل أدب الطرس ، حكمت الحربه في العلم وطلبته واسعة الملاحى متنوعه المرامي ، وعمل الشيخ أن يأخذ بيد الطالب فيضع رجله على السبيل . فان صلح للصمود علا ، أو غاب سقط وهوى . وهذا الوضع نهيك مضبوط ولا معلماً بل لكل طريقته ووسيلته ، وقد صرت بك أن الاندلس لم تكن بها مدارس وأن العلم كان في الجوامع ، وكذلك الحال في الشرق الى أن بنيت فيه المدارس بعد قرون ( نبذة ٣٠٣ ، ٤٠٧ ) وهي لم تك تفرق عن

المساجد إلا بانحيازها عن أمكنة العبادة واختصاصها بطلبة العلم . والعمل على تمرغهم للعلم ، وبقى في جوارها الدور والمجالس يفتشها الطلاب ويقعد بها العلماء وهم كانوا دوائر من متنفذين يستفيدون ويضيدون ، أشبه بتيار الكهرباء يجري على الأسلاك ويملؤها نوراً ، فأينما أدار المرء مقبض السلك أضاء ، في الشارع والدار والحديقة . وهي شحنة قديمة توزع بها الحكماء على طلبة العلم وسراى أنظارهم ، ففي قديم الزمان كن افلاطون إذا حضره أصحابه لتعلم قائم على وجليه وألقى عليهم الدروس من العلم . وهو يمشى حول الساتر فيأخذون عنه ما يلقيه عليهم وهم على تلك الحال ، فسموا المشائين بذلك ، وهذه انفرقة الشائعة الذكر يقابلها فرقة الروافيين ، وهم شيعة « كرسفس » أصحاب المظلة ، فقد ستموا بذلك من اسم الموضع الذى كانوا يشعلون فيه ، وهو دواق الهيكل في معبد أثينا . وانتشرت هاتان الطريقتان بين أهل العلم ، وحجة الأولين أنهم يمشون وهم يمشون كما يرتاض البدن مع النفس ، ودأى الثانى للتمرغ والتعصص . وكلا الطريقتين خير

وفى زمن الاسلام درج العلماء على درجات فوسمهم . انلافى يكون منها وشيع لعل وثمر الفائدة ، ودرج معهم الطلبة على التبتنى لهم ، والقيام بحديثهم ( ٥١٩ ) فى ترجمة الطبيب ( جورجيس بن بحيشوع ) أن الخليفة المنصور لما استقدمه الى بغداد من « جند يسابور » وتم علاجه على يده ، قال له يوماً . من يخدمك هنا ؟ قال تلامذتى . فوجه إليه خوادم فردهن « ابن القفطى » ( ٥٢٠ ) وكذلك كنى الطلبة كالطير يسقط

حيث ينتثر الحب . فقد ندخل الجامع فترى حلقة واسعة يضيق بها ،  
ويجوارها حلقة لا ترى بجنتها . من أثر الخيرة للطلبة يحضرون على من  
يشاءون . وفي تاريخ بغداد أن الإمام الشافعي لما دخل بغداد وفي الجامع  
ما يقرب من خمسين حلقة . فما زال يقعد في حلقة حلقة ، يقول لهم قال  
الله وقال الرسول ، وهم يقولون قال أصحابنا ، حتى ماقي في المسجد حلقة  
غيره .

« ص ١٥ م ٤٦ »

٥٢١ ومن أثر هذه الحرية نقرأ في كثير من تراجم العلماء أنهم  
تركوا ما هم بهم التي نشأوا عليها . أو عدلوا آراءهم التي قالوا بها . أو  
برعوا في فنون علقوها وكل الفن إلا يكونوا من رجاها . ومن هذا  
الميدان الفسيح برز النسباني العظيم . وحفل تاريخ العلماء بكواكب  
كالدراري تضيء في سماء الاسلام وتعلمني عين كل جبار أشر . وترى  
المفرودين بهيئة الذرب الآن أنها هيئة كانت عندنا الى زمن قريب ،  
ومنة حططناها وسكنناها وأنتجت نتاج اخير الذي نمش فيه ونحيا  
في فخاره الى أن يأذن الله للعائب أن يؤوب

الازهر ٥٢٢ « هذا الازهر المعمور كل إلى زمن « والدي » باصفاة التي  
ذكرناها ، مبداء علم ومبداء حرية . القيمة فيه للعلم لا غير ، والتباهي فيه  
بالمعرفة محسب ، وما يرال الطالب يجد في طلبه وهو على مسيقته وهوى  
طبيعته يطلب العلم الذي يشاء على الشيع الذي يريد حتى يحس في نفسه  
أنه استوى ، وأن له أن يحلس فيعلم . فيستحق نفسه في نفسه بشيوخه  
الدين تبقى عنهم أو ياخروا الذين زاملهم ، فقد يجيزه الأولون ويقر له

الآخرون . فيجلس الى اسطوانة بعد أن يعلن عن ذلك : ويجتمع له  
الشيوخ والطلبة يتحنونه امتحانا عاما علنا ، لاشفيح له فيه إلا عنه  
الذى في صدره ، ولسانه الذى يبين عنه ، ومن ذلك اليوم المشهود يسلك  
في سلك المدرسين ويحاز له أن يقعد للتدريس والتلقين : ومنهم من كان  
يقف عن نفسه ويجلس قبل أوانه فيلقى من عزّة العمر ذلّا لا ينساه . أو  
يعود في المرّة الثانية وقد استعدّ واستكمل

ومن المصعب أن طريقة الأزهر تلك التى انصرف عنها ، هى التى  
جاءتنا اليوم من أوروبا . نحسبها حديثة وهى عندنا من القديم ، ولكن  
التقليد كما يقول « ابن خلدون » من شأن الصميف - هذه الحرية فى  
الدرس وفى الشيوخ وفى الحضور من نظام الجامعات . وهو نظام الأزهر -  
وهذا « التيز » الذى يأحدون به الشهادات هو « التعين » الذى كان  
عندنا . وقد أدركت امتحان الأزهر العالمية : كان بأن يعطى لتلميذ  
موضوعات فى العلوم يذاكرها فى أيام محدودة ، ويجبى يوم الامتحان  
يناقشه فيها المتحنون . وقبل هذه الطريقة كانت الطريقة التى روينها  
قبل قاتون الشيخ المهدى وهى الطريقة العلمية الجامعية . ومن لطيف اللغة  
العربية أن تؤدى الكلمة معنيين فكذلك قولى « الجامعة » بصحّ  
أن يكون منسوبا إلى الجامع وإلى الجامعة وكلا المعنيين أردت بل لقد  
مشى الأزهر على طريقة « التيز » نفسها ولا تزال رسائل العلماء الذين  
أجيزوا منه بها تتداول مطبوعة فى سوق الوراقين - كذلك تلك الفراريج  
والإشارات التى شئت الفارة فيها زماناً على حرقها من الأزهرين ، هى

اللاتى ترى طلبية الجامعة وأستاذيها يرتدون بها . ولا خير أن يكون قماشها أو زيتها على نمط جديد فالإشارة واحدة - وهذا التخصص والتفرغ للعلم الواحد أو الفن الواحد ، كذلك كان الحال في الأزهر فالمعمور الذى أخرج الفحول وعلم الوادى ، فلما التبس النظر على ذوى النظر أغفلوا هذا النظام المستوى واستبدلوا به نظاما لا يرضج فارتحل حمام المسجد من الأزهر إلى واد غير ذى زرع أو به زرع غر طله ، ولكن لاحت فيه ولائمه ، وحسب الناس أن هذه الزخارف من الكراسى والكراسات وكشف الخضور وكشف الغياب وتسمية العلوم ووسم الطلاب نعى من العلم شيئا ، وقبى من الهبله بيتا ، ونصوغ الطالب العارغ صوغ العلم ، فمكنت النتائج تابعة للمقدمات ولن تجد لسنة الله تبديلا

٥٢٣ - لقد ذرّ قرن الآف في رأس الأزهر . واشتعل بهامته شيب التجارب . وقد حلت حتى تكاد ترى تحت كل شعرة منها تجربه ، بقى الأصلع منها فيه فاستسلم به وقام له . وانقست حطب على جذوائه وهو راسى القواعد مستطيل الأعلى ، فسارته ستّ دوز وسارها سير الهادى . بهداية الحرّيت ، وسجل التاريخ له مننّا علققت بأعناق الأجيال من أبناء القرون العشرة ، فالיום لا ترى معبداً في الدنيا له نغار الأزهر أو مجد الأزهر . ومنّة الأهر ، إلى ما قبل الاحتلال . وهو ذلك الطود الأشم الذى ينشد له مهيّار في أهله بصدق :

قوى استولوا على الدهر فنى ومشوا فوق رؤوس الحقب  
ثم بدأ الكلام فيه وزاد ، واشتد ودى بالزيد ، واقتضى عمرنا ونحن



لسمع هذه الكلمة تقال وزدد ، وتلت وتلعن . كلمة « إصلاح الأزهر » ،  
 وه النهضة بالأزهر ، ألح إلحاً كما كان هذا الجامع النافع في ألف سنة إلا  
 خمسين عاماً ، بموزة في الحنين اليافضة مافاته في ألف إلا خمسين ، ولا  
 أغالى إن قلت ان التجبى بلغ عليه حتى كد يراد بهذا الشيخ الاشمط أن  
 يصصف شعره ويرجج حواجبه ويمعطق حاصرته ، غشية سكرت العيون  
 من فتنة المدنية الواغلة ، فخذوا بفصول الأزهر ثيلاً وقاصيل ،  
 ويمدّون له صوراً وتهاويل ، ويرقصون ويرخرفون ، مما يخشى أن  
 يكون القصد منه طمسه ، أو الفرض فيه نقضه ، ولكن نقد غالب على  
 أمره . والذي حفظه ألماً يحفظه ألبين عصمة لدينه ووقاية لشريعته  
 وهداية لعبده . ويأبى الله إلا أن يتم نوره . فقد بدا شمع الأمل يشع .  
 وريح الفرج بهب ، ورأى أبناء الهدى لما تكشفت لهم الغشمية . أن  
 هذا الإصلاح المشود له ، كان فيه وبه . وأن طريقته التي سار عليها هي  
 طريق من جاء بها . وقد ظنّها طريقة قادماً عليها ، واستعظم في رده  
 نمره . فإذا به ينقله إلى « هجر » . ولو جمع ما كتب في إصلاح الأزهر ، ملأ  
 محلات تملأ صحفه ، لو كان ما فيها كلمة صدق لقضى بحق على ألف جامع  
 وجامعة . والكلمة كلام كان معناه في بيان القائل . وكلام أكثره كان لغير  
 وجه الله . مردّه الله على مكثره . ويوشك الزيد أن يجعاً ويبقى ما ينفع  
 الناس . خلال هذا الجامع أولى به حفظه . وأفضل له رعايته . وأن يبقى في  
 المسلمين بقية مما ترك آل محمد ، تحمله الملائكة وقد حفظته أرواح الأطهار  
 الأبرار ، الذين ورثناه عنهم في بنيانه ، وتقصى الأمانة أن يبقى على ميراثه

في عنوانه ، وإن شئنا له زدينا رعاية لا تبديلا ، ووقاية لا تعبير ، فالأزهر إنما هو أزهر بطريقته ، وأزهر بهدياته . وأزهر بمكائمه ، فلاح على المصلح أن يستبدل ببلاطه خشب الأبنوس ، ويحصره بسط اللديباج . وبخزائنه العود والصندل : ثم لاعليه أن يفيض على بنيه بما آتاه الله . وعلى علومه مما هدى الله . ويبقى البيت بذلك معمورا ، والمسجد نور . وقد هم من كان قبلنا في زمن قريب هذه المهمة فبدأها ولم يتمها ، وكان أن وعى له حرمة فاسترفد من أغصانه المتهدلة فروعا ناعما . وصنع فيها ما أراد به بحكم الزمن فبقى الأزهر فذلك عاليا فوق حكم الزمن يطل على بي الدنيا بوجهه الأبيض بأفيا على الأبد ، ونحن فنشد في جنباته شيد الافتحار به ، والاعتزاز بجانبه ، صائحين بقول شاعر الجليلة :

لنا جبل يحمله من نُجيرة منيع يردُّ الطرف وهو كليل  
أما اتلمب بأبن الألف . والمحدثان حول هذا الصرح . نسفى له  
الجلجل واحلاجل ، ويريد منه ما يراد من الأحداث والعيال . وزومة  
على أن يطأطىء رأسه العالي ، لنقلد عنقه قلائد الزخرف والهرجة  
وأطواق الصنعة والتعمل ، فقد سبق لشيخنا المرحوم الشيخ حسونة  
النواوى أن صرخ في مریدی ذلك بكلمته المدوية حين رأوا أن من  
إصلاحه تسمية الجامع بالجامعة ، قال الشيخ . إن الجامع مذكّر والجامعة  
مؤنثة أمن الإصلاح هذا التأنيث ؟ وهذا قول يغنى عن التعميق .  
وسبطل الأزهر على عظمه وصنخامته ، كما جرى له بما يسمى إصلاحا  
لا يلائمه ، وهو أبو الإصلاح الطبيعي ، ينشد قول جرير :

وابن اللبون إذا مالز في قرن لم يستطع صولة للنزل القناعيس  
 ٥٢٤ ولا يحسب القاري أنى جامداً وعدواً للأصلاح ، لا ولكن  
 أقول إن هذا الأزهر كأي حي - حياته قوية وعمره مديد . وقد ثبتت  
 قوة حياته ببقائه طول هذا العصر : وهو في أطواره كلها يحيا بقوة  
 التطور ، فقدوته التي تصلحه يجب أن تكون منه لا واحدة عيه ، نتيجة  
 إحساس داخلي لا فيضاً من أثر خارجي ، وهو بإصلاحه هذا النفس -  
 يتطور إلى ما ينبغي . وينشئ ما يحفظه ويبقيه شأن الكائنات الحية ،  
 فإن إفرازها الذي يحفظها تابع من غدد مخلوقة فيها ، وإلما يضمن البقاء  
 باستمرار الغذاء . فيجب أن يغذي الأزهر بما من شأنه أن يتغذى به .  
 ثم هو بطبيعته وقوته وبوظيفته يعمل على البقاء وعلى بقاء الأصلح ، وإن  
 مؤسسة لها ألف - مئة ضربت جذورها في أساس الحياة القومية ليست  
 كالكائنات البائسة التي تلهو بالهوان . اللاتي تحوّلها النظرة العجلاء ، وتحتوشها اليد  
 القانصة . بل في هذا العهد قوى هائلة وكثيرة . ظاهرة وخافية . لها  
 عوامل متعددة تعمل له وتضمن بقاءه . والخير كل الخير في التباعد عن  
 وضع العقبات لها ، وإقامة الحواجز في طريقها . وإلما تلامس ملامسة  
 الحكمة . وتوأنى على بصيرة براعى فيها طبيعة ما يراد مزجه . وخاصة  
 ما يرى إدخاله . مراعاة دقيقة تدرس فيها خواص العناصر متفرقة ، وخواصها  
 بعد مزجها حتى تعرف النتيجة من المقدمة ويدرك الشيء قبل وقوعه ،  
 ويكون من خطأ الغاية فد قد دلّ على خطو موضعها وعرف السبيل  
 قبل المشي طريقه : إذ ذاك يطرد السير : وتضمن ثمرة الأزهر التي

أسس من أجلها ، وحفظ لتوالها ، وسيبقى إن شاء الله مؤنثاً أكلم كل  
 حين بأذن ربّه -- وأنّى أروى هنا عن المرحوم الشيخ على يوسف ، وقد  
 سمعته يتكلم فى مثل هذا الشأن قال : إن السبب فى أن ما وضع للأزهر  
 من إصلاح . لا يثمر فيه ، هو أن الواضعين له فريقان . فريق يعرف  
 الأزهر ولا يعرف الإصلاح . وفريق يعرف الإصلاح ولا يعرف  
 الأزهر ، ومع اجتماعهما فإنّ كلاً من الفريقين لا يعرف أن يستفهم بما عند  
 صاحبه فى وضع ما يراه وصنعه . فهذا يحبس الإصلاح على غير المصوب ،  
 وتكون النتيجة على خلاف ما أأمل . اهـ

وحدثنى كثير ممن طلب العلم فى إنجلترا ، أن بها جامعات قديمة يعنى  
 القوم بالمحافظة عليها ورعاها قديمها فى بنائها وفى تقاليدها وفى الترام طريقتها  
 حتى لقد روى لى أن بها أمكنة متهمة لا يزالونها وإتباعهم منها ، وأنّ  
 فيها تقاليد من أحكام العصر الأول لم يغيروها ولا تعيروا من قيامهم بها ،  
 وأنهم مع هذه المحافظة عليها لا يبايرون أن يأخذوا من الجديد ما يلائمها ،  
 ويتناولوا من المستحدث ما يشاء أزرها من غير أن يطعن عليها . فذلك  
 بقيت بطايعها الأول تحمل فضل القديم من غير أن تنسى ميزة الحديث ،  
 وهكذا الكل مؤسسة يراد لها البقاء والدوام طريق نسك . لتؤدى  
 مهتها فى الحياة من غير أن يضطرب عليها السير فتتخلل بين الطرق ، أو  
 تنتقل إلى حال لا مقام لها به وتضطلم بوطيئة لانهى فيها أولها فذ  
 يقوم يغناها ، فتضيع بين القديم والجديد ( وراجع فبذة ١٠٥ )

الملوف ٥٧٥ ولقد امتدت الغاشية فأظلمت معارف الحكومة فى ندير

مدارس الحكومة وأبناء الأمة فيها كما تدبر « ما كينة » المصنع آلاته  
لتخرج أشياءها مصنوعة صنع المدير كما شئت إرادته ، لا كما يشاء العلم  
ومن أجله أنشئت

إن كل أمة مصلحة من أمم « المدنية القائمة » ترعى فواعدها في  
التعليم على أجوبتها الصحيحة لهذه الأسئلة الثلاثة التي تحصر القاعدة من  
العلم ، ولا فائدة به ومنه إلا بصحة الجواب وكل الاجوبة

والأسئلة هي ( أولاً ) لماذا تتعلم ؟ ( ثانياً ) كيف تتعلم ؟ ( ثالثاً ) متى  
تتعلم ؟ ولعل القارىء لنح من كتابي أجوبة أسلافنا على أسئلة العلم ،  
وعرف صحتها وأدرك أن أم الحضارة اليوم تسير في تعليمها على مذهبها  
وأن النتيجة في كلا الفريقين هي ذلك التقدم الذي تقدمناه فيها مضى ،  
والرقى ، الذي يشاهد اليوم في فريق تفك الأمم

وأجوبة أسلافنا على الأسئلة هي عن السؤال الأول - تتعلم لنعمل -  
وعن السؤال الثالث - تتعلم مدى الحياة - وعن السؤال الثاني كل جوابهم  
مع الظروف والحالات في حدود الإرادة والاختيار . وهو ظاهرة من  
ظواهر اختلاف البيئة والطور . فلكل طور من الزمن كيفية ، ولكل  
بيئة صلاحية أو كما يقول مثلهم ( لكل شيخ طريقة ) - والكيفية هي  
أهمون الأجوبة ما دامت الغاية محددة ، وما دام المنصر وهو التعلم  
حاضراً غير محدد ولا مقيد

٥٢٦ - وقد بقي سؤال رابع لم ندرجه في الأسئلة الأولى وهو  
( ماذا تتعلم ؟ ) . إذ أن هذا السؤال متفرع من السؤال الأول ، فإننا إذا

علمنا جواب السؤال الأول ، وهو أننا نتعلم لنعمل ، كان تعيين ما نتعلمه متعدياً في العلم الذي نعمل به ، أى أننا إذا نصبنا الغاية التي نسمى لها عبادة السبيل الموصلة إليها ، فالذين يطلبون سعادة الأخرى يتعلمون علومها . والذين يطلبون سعادة الدنيا يتلقون فنونها ، فنحن نتعلم لنعمل بما نتعده ، أى لنعمل على حصول السعادة التي يبغيها طالب الحياة . وهذه الحياة قد يقتصر صاحبها على حياته الدنيا ، وقد يمدّها إلى حياته الثانية ، فيكون الحاصل من هذا أن المقصود بالعمل إنما هو العمل للسعادة وهو مطلب العقل الأول ، إذ لا يريد عاقل إلا أن يكون سعيداً ، فالعبد سواء أ كان علم الدنيا أم علم الآخرة فإيته العمل به لتحقيق السعادة ، فالسعادة هي غاية الغاية ، وإن اختصرت فقل : إن الغاية من العلم تحصيل السعادة ، ولما كان العلم هو إمام العمل فقد صرح أن نقول إنما نتعدّ لنعمل ونتيجة هذا لدى العاقل أن يفهم من العمل : العمل للسعادة . وقد فصرنا غاية العلم على العمل لأن من يعلم قد يعمل ليعمل لا يحصل السعادة وهو عمل الشر وكثير ما هو ، وصحّ لهذا أن نقول : الغاية الأولى من العلم العمل . ولذلك بقيت الحكمة في توجيه العلم وتوجيه العمل لتحقيق السعادة وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم . ولما كان الإسلام يدعو إلى سعادة الدارين دن علماء جعلوا غاية العمل لتحويلها ، فزجوا في العمل الخلق الذي يعبرون عنه بالورع . أو خشية الله ، فالعالم العامل يعمل وهو بعمله يراعى الحصول على هذه السعادة ، فيستقيم بعمله ليبدله عمله المستقيم صرامه ، والعلم عندهم غير

عبادات ، النفاة منه أداؤها على وجهها ، وعلم معاملات النفاة منه السير  
في الدنيا على وفق أحكامها ، وعلوم أخرى يحملونها فرض كفاية ، النفاة  
منها العمل لا صلاح المجتمع ، والعمل بها يكون ناظرًا إلى نيل سعادة  
الدارين أيضاً . وعلوم الدنيا الصروف . القصد منها أن يعمل بها عالمها للعيش  
في دنياه ، ممسكاً بأسباب الحياة . ليستعين بها على أن يحصل سعادة  
الآخرة ، والسعادة الآخرة التي تنال بالخير هي ما درج عليه غير المسلمين  
مما يسميه علماءهم بالأحلاق . وهذه الأحلاق سداها وحثها الخير الذي  
يحصله من لا يعتقد الإسلام دينه ويطببه وهو في النهاية يتفق مع غاية  
الإسلام وإن تعددت الأسماء فالسعي في الحقيقة واحد ، والملتقى جميعا  
في رحاب حق تعالى ، الذي وسعت رحمته كل شيء وجعل العلم بفضله  
مفتاح بابها وجواز الدخول إلى نعيمها ، لا إله إلا هو كتب على نفسه  
الرحمة . نحن نعلم لنعمل ، وكل علم لا ينتج العمل فقيم وأقيم منه العلم  
الذي لا يؤهل للعمل ، ونحن نعلم للسعد ، وكل عمل لا يوصل إلى السعادة  
فشقاء . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة  
عالم لم ينفعه علمه » وخلاصة هذا بعبارة عربية مأخوذة من الأحاديث  
النسوية : أن النفاة من العلم النعم . وقد استعاذ ﷺ بالله ( من علم لا ينفع )  
أي أن لا أساس يتعلم ليكون نفعاً . والنعم هنا مطلق يعنى نفع نفسه ونفع  
المجموع ، ويعنى نفع الدنيا ونفع الآخرة ، فهذا النعم هو الذي نتعلمه ، وعلى  
ريح النعم يحسب على ربان سفينته العلم أن يوجه دفتها بوأب يتأكد من  
ركابها أنهم ما استهدفوها إلا لتوصيلهم إلى بره ، « إن قصر بهم عن طلبتهم

فقد أساء لهم ، وأساء إلى العلم الذي نصب نفسه لخدمته ، والواجب على الربان بعد هذا أن يكون مقدار النفع الذي يناله طالب العلم موزوناً بمقدار جهده في تحصيله . أى أن يكون لكل مرحلة من مراحل العبد نصيب يحصل عليه الطالب لا بحال به ولا بإحاطة فيه . وهذا النصيب يتضاعف بتضاعف جهده حتى يحس العامل أنه يحق ثمرة عمله فزيد ويقارن في الصمود . وفي هذا تحصيل أكبر قمع ولا كبير عدد . مما يرجع المجتمع على جناحين من حصيص الأرض إلى يافوخ السماء

وهذا الميزان المائني ، ميزان النفع . يجب أن توزن المعلومات التي تقدم للتعلمين ، ميزاناً محروفاً ، منظوراً فيه إلى أسنانهم وبنائهم وأطوار زمنهم والداروف المحيطة بهم . وفي هذا كله تبين حكمة متولى أمور العلم الذين أقامهم الله تعالى على المتعلمين . كما قد تركت لحكمتهم كيفية التعليم أى كيف يفعل العبد إلى عقل الطالب يحوزه من أسهل طريق في أقرب زمن . وفي هذا الحال يبين فعل الإنسان على الإنسان ونظيره القوم وبه علم الرب الأكرم . علم الإنسان ما لم يعلم ، وبدون هذا التعليم مزله أو صياع أو وبال . ومن المدهش أن يكون القصد من العلم بدسسياً وهو النفع فلا يتردد إنسان في أنه يتمم ليعتفع . وشاع لهذا قولنا ( العلم نافع ) حتى اتخذ منالاً في الدروس على القضايا البدسية . ثم يجي المتحدثون إلى هذه البدسية فيضهونها تحت النظر ولا يزالون يتقنون فيها ويعجزون حتى يحرقوا الخبز ويطير الرغيف . ولصنع فترى أنفسنا أمام مشكلة من المشكلات يتمثل في حلها فريق من الأمم . وصدق الإمام على كره الله وجهه حيث يقول



( العلم نقطة أكثرها جهال )

٥١٧ فاقنانية التي لحقت بالاعراف عندنا نمت من خياط الأمر مسمى العلم على أولى الأمر في آخر الأمر حتى جلت الخطب وزاد للكرب ، فإن الزمن لا يقف والأرحام لا تتوقف ، مطبقات المدارس تتخرج وتتراكم وهي نبات ذلك الزمان انهماسد فلا ريب يعظم الفساد ، ولقد كنت بناء هذه المدارس حديثة يستسون لها عاية محدودة . هي إخراج أفراد يدبرون دولاب الحكومة . لذلك هيئوا من الوسائل على قدر حاجتهم من الغاية ، مما قولى غيرهم في العلم الأخير تركوا الغاية على تحريضها . لم يغيروها ولم يوسعوها . واهمروا إلى الوسائل فأكثروها وزادوها ، فبنوا المدارس ، وأكثروا من طلابها . تخرجت طبقات فوجا يبحثون إلى الغاية هيرونها أصيق من أن ينمسخ بها لوعهم : هم على عتبة ما كمنون ولا فراج مصاريفه منتظرون . والمدارس من حلقهم تنق عندهم طبقات حدد ، يتكدرس اللاحق بها على السابق حتى استفحل الخطر وعز الفرح ، وقصار نظريديسون هذه المصيبة لاعم والعلم يرى منها ، ما جنى ولكن حتى المتصدرون للقيمة عليه والتحدث في أمر التعليم . إن العلم مجبه في معنى معروف به العف والمروءة صفاته الخلق ومرواه العمل ، ولا يمكن للعلم الذي هو علم أن يسعى في غير هذا المجال . والساعي في غيره هو غير العلم الذي يعرفه العلماء ، ويتصف به رب الأرض والسما باسم عظيم هو «العلم» إذا فسلكوا علمنا الحاضر في سلك آخر ، ومدارسه القائمة سموها باسم مخترع . واعدوا متخرجيها إلى صنائق الخيال بهم . فقد

خضعوا وخضع آباؤهم في استدراجهم إلى هذا المصير الذي وقف مضرّ اليوم موقف النعامة بين الأمم ، إن قيل لها طيري تباعرت أو شيلي نظائرت ، فأبناؤها إن أريدوا على خلق أهل الشرق وآدابهم ، قالوا إننا غريوس . فإذا طلب منهم أن يعملوا عمل أهل الغرب ويمشوا على سننه ذلوا بنا شرقيون ... ١٤

٥٢٨ - لقد حو قلمي من سنين وأنا أكتب منذراً بهذا الخطر ، أدعو قوى أن يتأسوا بأهل الغرب في النظر إلى العلم والقصد من تمام إن كانوا إمامون أن يقال لهم اقتدوا بآبائكم الشرقيين ، فإن أهل العرب لم يتميروا أن يلتبسوا الحكمة أنى وجدوها ، فبنوا مدارسهم ووضعوا لوائحها على قاعدة العلم الصحيح وهما الخلق والعمل ، بل لقد ازدلعت أمة إيطاليا أخيراً إلى ثنية العلم فألفت اسم « وزارة المعارف » عندها ، ثم « وزارة التربية » وكذلك الحال عند بقية الأمم . كما ندر إلى ، به ، والوسيلة زلنى لها

٥٢٩ - ومن اللطيف أن أرى اليوم في جريدة الأهرام صورة

(١) مده سين والمؤلف ينشر مقالات في صدور الأهرام توقيدها « أبو التلاميذ وعبد المليم » علحت هذا الموضوع الهام ودخلت عليه من جميع أقطاره واستوى الرأى فيها الكاتب ما ظهر منه لا يام في تقرير وزير المعارف الذى نشره أخيراً عن التعليم في المدارس الثانوية وأكثره وفق رأيهما بإحابة ماسألهما وهو تقرير حثه طلب الوزير إلى أهل المذكر تحميمه ومواناته بالمشورة فيه وأولى له أن يحصيه العمل فبدأ في تنميده قبل فوات الزمر . ونراحم نده ٥٣٧



مئة قاء کی الداس سے ۸۲ء تک مدح و تحسین کا یہ دور تھا۔ اس دور میں طلبہ ایم اے کے  
 یہ دور ہے کہ اس احتمال طلبہ الخاتمہ یہ۔ الاہرام ۱۸/۵/۱۹۳۵

الشيخ الياباني في الثانية والثمانين من عمره بتدرج في سلك « جامعة » عندما  
 وهو من أمة اليابان التي هي شرفية أيضاً ، ولكنها أحست فعرفت  
 فطلبت فأدركت . فأقامت نهضة الحاجة على أن من جد وجد ، إذ لم تقعد  
 بها شرفيتها الجغرافية أن تشرق كأزهي أمم الغرب في سمى الحضارة  
 والمدنية ، وهي آية ما أرى . ودعوة العلم إلى الناس كافة ، إذ كمن العلم يوفد  
 مصباحه من شجرة مباركة زيتونه لأشرفية ولا غربية يكاد زيتها يغني ،

ولو لم تحسه فار - راجع نبد ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤

من التعليم ٥٣٠ - أفترى الشيخ الياباني عرف في سنه هذه جواب احسن

البصري فاتبه بأحسن ؟ فقد سئل الحسن رضي الله عنه عن الرجل له  
 ثمانون سنة أيحسن به أن يطلب العلم ؟ قال : إن كان يحسن به أن يعيش .  
 وقيل لبعض العلماء : متى يحسن بالمرء أن يتعلم ؟ قال . ما حدثت به الحياة  
 وقال أحمد بن حنبل : إنما أطلب العلم إلى أن أدخل القبر . وقال عبد الله  
 ابن بشر الطالقاني : أرجو أن يأتي أمر الله والمهجرة بين يدي ، ولم  
 يفارق العلم والمهجرة . وكذلك قال ابن المبارك وقد آخذه قوم وقالوا : إلى  
 متى تسمع ؟ قال إلى المات . وهذه السنة هي التي شرعها النبي المعلم الأكرم  
 في قوله : « لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة »  
 رواه الترمذي . قال ابن القيم : فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم النعمة  
 في العلم وعدم الشبع منه من لوازم الإيمان وأوصاف المؤمنين . وأحذر  
 أن هذا لا يزال دأب المؤمن حتى دحوه الجنة هـ « ص ٨٧ ، ٨٨ »

٥٣١ - فهذه قاعدة اسلامية حدثها اليوم قوائم المدارس الندية . وهي

القوانين التي جعلت من المدارس ثكنات يدخاها الجسد الصارون ، فهم يستكشفون عن الطلبة كشافطياً كأنما يسافون إلى الرماية والنزال . لا يقبلون إلا نظراً محدداً أو جسماً ممدداً ، والعقل عندهم وهو موضوع مدرسة مهمل من هذا الكشف ، وقد جائبوا حكم العقل في هذا . إذ العقول ألا يبعد المخفوق ولا ضعيف البصر ولا قليل البنية ، وإنما يكتفى بإبعاد أرباب العاهات المادية ، وكذلك هم عن المجامع مبعدون ، كما جعلت همها من العلوم التي تلقنها لطلبتها . الكلام والنظر ، وكان همهم فيما مضى وهم الرافق فيهما حضر وإنما هو العمل . قال هشام صاحب الدستواني : « كيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام لبعث به . ولا يطلبه ليعمل به ؟ » ولما كان لب العمل الورع فأنهم أدخلوه في التعلم ، قال الضحك ابن سراج : « أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع » ثم انتقد طريقة الكلام والنظريات فقال : « وم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام » ( ص ٨٥ ج ١ احياء ) وقال يحيى بن كثير : « العالم من خشي الله ، وخشية الله الورع » وقال الحسن : « إن كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وبصره ولسانه ويده ، قراهم في نظره إلى العمل . لقوه في ثوب الخلق . واستقطروا منه خشية الله التي بها قوام الخير لهذا العالم ، بل لقد سبق أن روينا عنهم قولهم الذي يقولون فيه . إن العالم لا يكون صالحاً حتى يرى بالعلم مأملاً . كأنهم يرغبون النتيجة بالمقدمة . ولا يرون للمقدمة قيمة حتى تحصل لهم النتيجة ، وزن نتيجة التعليم عندنا بهذا الميزان ترى عمل المتعلمين وخلقهم ... »

٥٣٢ — وأصعب على أن تكون العناية مصروفة للكلام . والتعليم كأنه وقف على النظريات وتحصيل مالا يغني عن العمل شيئاً . ولا يفيد في الحياة كثيراً . فمندفاً في مصر ثلاث كليات للغة العربية : كلية الأزهر . وكلية الجامعة ، ومدرسة دار العلوم ، وفوقها كلية الحقوق ، على حث أن مصر وهي بلد زراعي ليس بها إلا مدرسة واحدة للزراعة العليا والمدرسة الحربية لم تقبل في العلم الماضي إلا ثمانية عشر تلميذاً ، والمدرسة البحرية أغلقت أبوابها فيه ولم تقبل تلميذاً واحداً . وليس عندنا مدارس للصناعات الكيميائية . ولا معاهد لعمل الأسنعة والدخائر وصنع آلات الدفع . ومدارس الصنائع يتخرج المتخرجون فيها وفي رأس كل متخرج منهم فكرة جامعة لكرسي في الديوان بنتكتك عليه . حتى دواوين العمل في الحكومة كوكالة الحديد لا تحفل أن تمر في مصائب أناس من بيننا . أو نعلم من عندها ما تحتاج إليه في إدارتها ليعملوا إذا علموا . بل ارتكن الجميع على أن ينزل لهم الرزق من السماء ، أو يحيتهم العمال من الخارج . فشغلوا عن النافع ، إلى أن استقل بالنفع طالم النافع — والله في حلقه شئون

٥٣٣ — إن القصد من العلم إنما هو النفع ، وليس القصد به التجمّل مقصد العلم وإن جمال العلم بالعمل به ، قال حبيب بن عبيد : تعلّموا العلم واتفعوا به . ولا تعلّموا لتعلموا به ، إنه يوشك أن طال بك العمر أن تتجمّل بالعلم كما يتجمّل الرجل بثوبه . وهذا لصري حال أكثر محصلي العلوم اللسانية وفيهم يقول صلى الله عليه وسلم : من طلب العلم ليجارى به العلماء ، ويجارى به السفهاء ، ويصرف به وجوه الناس إليه ، أدخله الله النار . أما

العلم الذي من شأنه ان يكون نافعا ولو لم ينتفع به صاحبه ، فليس هو ما تلقته تلك المعاهد الكثيرة وإنما شأن ما تلقته هو الشفقة الفارعة . والمطريبات التي لا طائل منها . وانبعاث التي لا تزيد في الدنيا شيئا ، ولا نساوي في الوزن حبة خردل . وقد روى جابر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم إني أسألك علما نافعا . وأعوذ بك من علم لا ينفع ، قال النبي صلى الله عليه وسلم يسأل العلم انافع ويستفيد من علم لا ينفع وهو العلم الذي لا تقع فيه كما يستفيد به من علم شأنه النفع ثم لا ينتفع به مطلقا .

٥٣٤ . وقبل ذلك انظر مدى إلى الميادين على إدارة التربية والتعليم لتعرف نصريتهم ولتحكم على نظرم . فترى أنهم يصرفون في الازهر والجامعة والمعارف تسعة وتسعين جزءا من مئودم في الظرف ، وجزءا واحدا في المطروف . والحكومة تصرف لمؤلا ، وهؤلاء بضعة ملايين من الجنيهات في السنة الواحدة ، لو أنك عمدت إلى نتيجتهم التي تصرف لها هذه الملايين فقومتها في سوق النفع ، ما قامت في الحق بعشر معشار ما تشتري به ، بل ربما كان إثما أكبر من نفعها بما ترى من أثرها في بيننا خلقا وصحلا ، بل روحا وجسدا ، فقد بقيت إدارة التعليم عندنا تبني سيرها عوجا وتمشي بيننا مشية العرّضني ذاهبة بهم في طريق الحياة من إفريز إلى إفريز ، لا تقيمهم إلى الأمام نصا ، ولا تدفعهم إلى المستقبل قلما ، بل خلطت أساليبها فيهم حتى لقد رأينا من زمن قريب أن تقدم طلبة البكالوريا مرة للامتحان وهم على ثلاثة نظم مختلفة لكثرة ما نال البراميج من محور وتغير ولهذا نشأ الجيل متأثرا بهذه الطريقة السيئة التي

زرعت فيه التردد والترجحن : وكادت تقلع منه العزم والإقدام فوق ما بها في الأصل من بعد عن الغاية وعوق عن القصد من العلم والتعليم . إذ كان هم المدرسة من طلبتها . أن تحشوا أنخرج الأولاد بلغات من نظريات ومسائل ، يقولون إنها علم ، وهي في الواقع حشو فارغ . لا نفع في أكثره للتلميذ . حتى لقد حدثني أحد وزراء المعارف السابقين أنه وقد أخذ ينظر في البرامج ، رأى فيها رأى من كتب الجغرافيا التي تدرس في المدارس الثانوية . ذكر الرياح الموسمية وعددها وجهات مهابتها وأوقات هبوبها وهي اثنتا عشرة ريحا في الدنيا ، قال فسألت من يشرف عليها وكان من مؤلفي الكتاب ، فلم يذكرها ، وطلبت إليه يسأل القائدة التي تعود على التلميذ منها فلم يبينها ، وهكذا قل في أكثر ما يدرس ، حتى إن وزيراً أسبق استطاع أن يحتصر عدد العلوم في المدارس الابتدائية إلى قريب من النصف ويوشك غيره أن يزيد لها اختصاراً وأن يهضم العلوم التي عوقها ، وهكذا في السنين الأخيرة رأينا مدارس مصر أشبه بحقل للتجارب التي لم تنجح منها للآن واحدة ، وسبب هذا في الغالب أن خطتهم إنما هي تحطيط لرسم يقام المقلدون فيه خطواته وأوضاعه قبل أن يعرفوا حقيقة ما رسم له . ولم رسم ؟ أو قبل أن يحددوا المطلب الذي يرسم له ، ولأجله يخطط

تشكيل النبات ٥٣٥ - ولقد تناول الناظرون موضوع التعليم في مصر بالرأى والاقتراح ، ومضوا ومصى ما كتبوا حبراً على ورق ، وأخطر من هذا في نظري ، أن يكون التعليم في مصر سبباً لشقاء بل لشقيقتهم ، فحالة



المتعلمين بها لا تسرّ وهي نتيجة ما ذكرناه ، ولكن تشقيق الأمة بالتعليم  
أفدح خطياً وأنكى جرحاً ، فإن طريقتهم لا تسير في « التعليم الأول »  
كما سارت رواقى الأمم . وعندها يكون التعليم واحد ينشئ الجيل كله  
نشأة واحدة ، يتم أفرادهم سواسية معلومات واحدة على طريقة واحدة  
فتدق هذه الأغصان في منابتها بجملة واحد من دين واحدة ، فإذا انتهت  
هذه المرحلة ، عرج كل فريق الى ما يبنى ، وسلك من طرق العلم ما ينفع ،  
ولكن مصر ينشأ أبنائها من صفرهم متفرقين . بعضهم يلزم مدارس  
التعليم الإلزامى أو الأولى ، وبعضهم يلحق برياض الأطفال ، ويمتدق  
هؤلاء وهؤلاء من الصغر الى طريق المدارس الابتدائية أو طريق التعليم  
الذى يسمونه بالدينى . يتشعب كل فرح بأهله شعباً وأبنائاً فلا تجبى سن  
الحدائق والشباب ، حتى ترى أصحابه طرائق قدداً وفرقاً متعددة ، وهم من  
قبل لم يشعروا على أمر جامع ، ولا شبعوا على وتيرة واحدة . فتراهم من  
الصغر قد درجوا وبينهم « تفريق المصاه » ، فلا عجب أن يشبوا  
متفرقين ، ويميشوا كما قال المرحوم جمال الدين : اتفق المصريون على  
الآ يتفقوا

والواجب لمن يرى الخير في العلم ويبغى الخير بالتعليم ، أن يوحد  
« التعليم الأول » لأبناء الأمة جميعاً ، وأن يجعل متقال التربية للنشء  
المتعار متقالاً واحداً ، يصقل به الولد من حيث إنه ابن الأمة ، لا فرق  
بين غنى وفقير وخفير ووزير ، حتى يضمن لتساج هذه الأمة وحدة  
للبل والتفكير . ويحس أبنائها مهما لقوا ولاقوا فيما بعد الطور الأول .

أنهم جميعاً إخوة ، من طينة مشتركة ، استوى نباتها في تربتها وفي غذائه  
وكانوا جميعاً في مدرسة العلم . والعلم رحم كما يقولون  
أفيعجبك أن ترى الأرحام قد دفعت فلذات الأكباد إلى رحاب  
هذا الوادي المصري ، فإذا شتموا نسيبه ودرجوا على أديبه ، انقسموا إلى  
ثلاث شيع : بعضهم يذهب إلى المزرع ، وبعضهم يذهب إلى المصنع ،  
وبعضهم يذهب إلى المدرسة ، ثم من يذهبون إلى المدرسة ينقسمون إلى  
ثلاث شيع أخرى ، بعضهم يتعلم في المدرسة الإلزامية ، وبعضهم يلحق  
بمدارس التعليم الأولى ، وبعضهم يذهب إلى رياض الأطفال ١١٥ فهذه هي  
أقسام ستة هي تقريظ لمجموع العناصر المقبلة على تكوين الأمة ، لا يلتقي  
أحد أقسامه تقسيمه في مرحلة من مراحل حياته ؟ ويطلبون من بعد  
ذلك أن يتعدوا ويشفقوا ؟ هذا والدستور يلزم أولى الأمر بتعليم الجيل  
فيتفتتوا من هذا الإلزام الذي قصد به في الواقع توحيد النشأة إلى الأخذ  
بظاهر لفظه وإطلاق إزمه تقنياً بصيغ الحكمة من العلم ، ويعطل حكم  
المستور . ونجني الأمة من ورائه جنات التفرقة الذي طالما حرقته بنارها ،  
ونجست بمرارتها . وإنه لا علاج لهذا إلا باتباع ما أراه من وجوب تنشيء  
الجيل كله على أمر جامع ، وإدخال طبقة الصغار قاطبة في المدارس العامة  
التي أقول بتوحيد التعليم فيها ، وأن تقوم بخير التربية لقاصديها

٥٣٦ — لست ألوم ولاية التعليم على ما يبذلونه من جهد في تنظيم  
المدارس وتأنيبها ، وعنايتهم برجلها وقوامها ، فهذا أمر لازم وجمل  
واجب ، إنما لوى أوجته لاستغراق هذا العمل بمجهودهم ، وذهابه بالغالب

الأكثر من وقتهم ، فإيشغلون به أنفسهم إنما هو ظرف يبدئ  
ويهيئ للمظروف الذى أعده الولاية واللواى خدمته . وجعلت هذه الأمور  
كلها وسائل لاقتاجه والحصول عليه ، ألا وهو - التعليم - فالتعليم هو  
المخدوم وما عداه الخادم ، والنتيجة لهذا أن يكون هو لأولى والأحق  
بالعناية والنظر والجهد والتضحية . ولقد مضت علينا بضعة عشر عاما  
رأيا فيها هذا السيد المخدوم يقلب على جنبه ، ويسكن رأسه فيشيل  
رجليه ، ويمتدى على حدوده وممانه فيغيرها المعتدى . يزيد لها تارة في  
الطور الأول . ومرّة في المرحلة الثانية . وأخرى في الدرجة العالية .  
ولوائحه ومناهجه بين يدي ندر التولّى الواحد . يختلف عليها نظره  
بختلاف شخصه محو وإثباتا ، وتغيير وتبدلا وإدخلا وإخراجا ،  
وزيادة ونقصانا ، كأن من يعطى أمر التعليم في مصر واقف له في كتابه  
الشروط العشرة . إن شاء يستعملها أو شاء أهملها ، وكأنما هذه الملايين  
من أرباب العقول اللدنة ، الذين يعطيهم آباؤهم لمدارسه . كأنهم عجيبة  
يتكفرونها بيده ؟ لم يوضع لهم إلى اليوم نهج ولم تنصب لمستقبلهم راية ،  
ولا عرف الآباء ولا الأبناء إلى أى طريق هم مسوقون . والعلم الذى امتن  
الله به على عباده لم يجعل منزلته بينهم هذه المنزلة التى له في مصر . ولا  
هو في طبعه تليق له هذه العوضى ويصح فيه ذلك التشويش . فالمعلم  
هو كرم ما خلق الله . وهو الذى جلّاله لنفسه بعد حاقه . وعرضه على  
عبه . ثم أقسم أنه لم يحلق أعزّ عليه منه ، إذ كان به يأخذ وبه يعطى ،  
فهذا الخوذة الكريم : يحب أن يكون العز الذى يودع فيه . من الكرامة

بهذه المرتبة شكلاً وموضوعاً وعصفاً ولباباً . وإلا نكون قد عملنا على إهدار  
أغلى جواهر الأدمية . وأعز العناصر الكونية

جلس القريية ٥٣٧ - كذلك ألوم انقسام ولاية التعليم في مصر ، فلكل منهم  
ناحية قائمة . وميزانية محددة . وهيئة خاصة . كأنهم ملوك الطوائف  
في القرون الوسطى ؟ وهي قسمة ضيزى ، ينال مصر منها بعض ما لمنا  
به . وهو ما يشاهد قاطنوها . والواجب أن يكون جميع ولاية التعليم في  
قصر مجتمعين على أمر واحد ، يقتسمون بينهم ذلك التراث الإلهي .  
مدممة فيها الخطأ والمصلحة المقسوم ، أكثر مما يراعى فيها القاسم ،  
فيختص كل فريق منهم بتعليم الفرع الذي يحسنه ، ويشوئ قسمة خاصة  
له . لا يدخل عليه قسيمه . فترفع بذلك الفوضى إلى قمة مصر اليوم .  
إذ ترى المعاهد الثلاثة تعلم كآباء علماء واحد اطلبة متفرقين . وكان أولى  
وأصبح لو تفرغ كل للتسم الذي ينظره حتى يخلص كل قاسم لعمله ،  
تكثر العلوم بكثرة الأقسام ، وتزيد الفائدة من تعدد أنواع العلوم .  
ويأخذ التخصيص في كل مكان منها حظه من التمكن حتى يثمر ثمرة التي  
جناها أبائنا عزاً وعلاء<sup>(١)</sup> ونجني بدلها حيرة وتردداً

(١) من شواهد ما أقول فوق ما روينا في كتابنا ، ما جاء في كتاب « الصيدنة  
في الطب » لأبي الريحان محمد البيروني من حكاية القرن الرابع وهو كتاب خصمه  
للصيدنة وهي علم يبحث الادوية وجمعها واختيار الأجود من أنواعها الخ . فإنه  
يروي من عجائب علم الطب في دمنه أن الأطباء عندما يمد أن يشكّلوا آلات  
الطب ويدرسوا فروعه كانوا يتخصصون في جزء خاص من الفرع الواحد أي

ثم يكون لمجاس هؤلاء الولاة النظر المشرف على سير العلم عامة وعلى اتجاذه النفع للمتعلّمين وبالمتعلّمين ، ومطالعة أهله بما يزوده ويكمّله ، ويلائم به تطوّر الوقت وحاجة المجتمع . ويحيط نظراً بالمناهج التي تحطّ وبالمعلومات التي تصحّ ، وبالمقدار الذي ينبغي إغراغه منها في أحتاج الطلبة . كل - ن - بالتقدير الذي يطبق . وكل فريق بالفن الذي يفيد ، حتى يكون بمجمع الولاة هؤلاء هو منتدى التعليم ، وما يراه هو دستورهم ، وانظروا مطلق في جميع الأنحاء . أنحاء العلوم والفنون والمعلّمين والمتعلّمين - إذ بهذا يأمن البلد الشلطة ، ويستقرّ التعليم في قرار مكين ، ويضمن الإصلاح أطراده في السير إلى نجمة الفائدة

٥٣٨ أما الذي يجري الآن فإنما هو محاولات يقوم بها بعض **صرح العلم** ذوي الهمم . ونزعات ينزع إليها نفر من أرباب المزائم والفتن ، ولكنها تدور في مدار القديح حول التصليح والترقيم . والفساد قد استشرى في ألبنت كنه . بحيث أصبح لا يفيد تصليح ولا ينفي به ترقيم

يدقّون بالتخصص إلى درجة بعيدة ويصرف انفراد منهم همه في هذا الجزء بعد أن يكون محيطا بمموم العطب ، فيتخرج في فنه ويتخصص ، يحزّنه حتى كان عندهم اختصاصيون في الكحل ويسمى المتخصص فيه كحالاً ، وفي النصيب يسمى فساداً الخ قال ( وكذلك يذكر في كتب الهند أن في طبقات أطبائهم طبقة يعرفون بالمداوين بالسموم ) وقد ساق البيروني قصة طبيب من هؤلاء عالج أحد أعيان أهل « كرديز » منى ناعلة البواسير ولم يفلح فيه علاج ، فسأله هذا المداوي بطريقته فأنصحت منه ولم تعاوده إلى آخر عمره وقد امتد طويلاً

والواجب على من قدر من مربي الخير لمصر وما شاكلها ، أن يشيد  
صرح العلم على أساس واحد قوى يمتد في النشر ، الساكن فيه روحا  
واحدا قويا هو روح العمل من حيث هو عمل . فإذا وقع فوق الأساس  
غرفا وحجرات وشرح له طنفا وشرقات ، فإن من يحيثها ليتعلم فيها علما  
خاصا لعمل خاص ، ينبغي أن يتخرج فيه بروحه الخاص غير تارك روحه  
الأول ، بل يجعله كالجدع لفرعه الثاني حتى إذا لم يكن الفرع بقى الأصل ،  
فالطبيب المتخرج في ذلك الصرح إن لم يجد بعد إجازته من يعالجهم ، أو  
لم يسمعه ظرفه بالانتفاع بطبّه فلا يوقعه حاله هذا في ورطة ، بل ينبغي  
بروحه الأصل إلى تطلب العمل في جميع جهات العمل ، ليعيش وينفع  
ويتنعم . وهذه فضيلة المبدأ الحق . يفتح الحيلة وينير أعلام طالبه كل  
وسيلة . وهذه هي الحرية الاستقلالية التي تحبش من الفرد جمعا . وتقيم  
في نفس الواحد أمة . وتفتح أبواب الحياة كما لقوى الحياة من أنشائها .  
وشعب يتكور من مثل هذا الفرد . يسود ويعز . إذ هو يرتفع على  
كهول أفراده فيلوا ، ولا ينقل بالعبادة منهم فيهيض ، وهذه رسالة العلم في  
العالم . إنه نور نزاع إلى العلواء . شعاع بانضياء . وكذلك من يحسسه  
يكنه . نوراً يضيء ونحما يلمع ، أما ما عداه من حمم القدر . فهو غم لاعلم  
هو وحامله وفود النار : أو زبد السيل لا يثبت أن يذهب حفاء . وأما  
ما ينفع الناس فيمكن في الأرض . كذلك يضرب الله الأمثال للناس  
والمثل عمدة طالب متخرج في مدارسنا . وهي كما قلنا إنما قطعنا  
للتوطف ، أي أنها حدثت النعم المطلق من العلم . وهو غاية . بهذا النعم

الخاص ، فجعلت المتعلم المصري زفعا في الوظيفة أو ناقعا بالوظيفة . وهي مع تأهيله لهذا النفع الخاص ، لم تروده بمؤهلات النفع العام . أى لم تودع في نفسه الحيرة التي بمقتضاها إذا مُدَّ في وجهه باب النفع الخاص ينتفع باستعداده وما أعد به في أى عمل ومن أى جهة ، فهو لهذا إن لم يجد ما أعد له الإعداد الخاص : تب وانكب . وهوى وسار . وهذه هي المصيبة العامة المنتشرة في مصر ، جنتها من التعليم الفاسد الذي نضج منه ويريد المصلحون دفع فساده وتوجيهه للإصلاح ، ومثل هذا الطالب في الواقع . مثل من يروض نفسه على ركوب الدرجة الأولى ، فإن جاءه القطار يوما وليس به مركبتها . أو لم يكن معه ثم نذكرتها ، نقصت نفسه وحبست . وترك القطار يقوته . إذ ليس عنده الاستعداد لأصل الركوب وأن يكون تمييز الدرجات بعد الركوب خصوصية لراكب ، وإنما استعداده كله انحصر واقتصر على ركوب حاص في مركبة خاصة ، فمن أجل هذا فاته القطار والقطار هنا قطار الحياة يا أولى الألباب ! - أما مثل المتعلم الصحيح في المدرسة الصحيحة ، فبدأ أدريه عن التلغرافات الأخيرة في ترجمة الكولونيل لوردس ، والكولونيل لوردس ليس هو الوحيد في تربته وإنما هو ثمرة كبقية الثمار الثلاثي حادت بها تربية العلوم المتحضرين و تراها منتشرة في بنينا ملء السمع والبصر . نشرت التيمس للكاتبين ليدج هاردر . من أكبر المقاد الحريين في بريطانيا . رسالة رثي فيها الكولونيل لوردس فتوة برحلانه الأولى في مصر ولادار الشرق الأدنى كسينا وفلسطين ، وخدمته بعد ذلك في إدارة مخابرات الجيش

البريطاني وما أداه من الخدم لأمته ، وقال : حدث في بعض رحلاته أن  
تخلف عن مواصلة السفر فلم يعجزه ذلك ، وجمع في أثناء تخلفه من اللال  
مامكته من دفع أجرة السفر إلى إنجلترا إذ قام بخدمات متنوعة كسوق  
الحلال ، والعمل في الحصاد . ونقل الفحم إلى البواخر ، فهذا الكولونيل  
راعي الجمال وتأفل الفحم كان قد تلقى علومه في جامعة « كسفورد » ونال  
الدرجة الأولى في التاريخ الحديث . لما أعيق عن السفر بنفد المال منه لم  
يقف مكتوما يستدرّ علمه في التاريخ ، أو يلتمس جامعة كسفورد التي  
غرتجه ، ولكن استعان بالمند البثوث في نفسه من تربية العمل فأعانه ،  
حتى جمع مادفمه في تذكرة السفر . وهكذا التربية الصحيحة أداة نفع  
بها الكرب ونحل المشكلات بعكس التربية الفاسدة فإنها تدقيق التواضع  
وربما نقد المحللات

« الفصل ٢ - ١ - ١٩٣٥ »

٥٣٨ - وى أن إصلاح التعلّم في مصر إنما يكون بفرضه كآلة  
على كفة دامل أرواه وأوسمه ونوعه . بحيث يؤلف منه أجمعها  
يكور دستور له يشمل الوند من سنة الأولى الى سنة العالية تربية  
وسمي وقاشنا وتكويما ، هذا العمل هو وحده أول واجب يعاق لعق  
كل دى أمر ونجب عليه وجوبا عيبيا ، وبهذا وحده تحط السكة  
المدنية التي تصل بسالكها الى سعادة الحياة . فإذا تم هذا الدستور  
وجمع أحكام التربية والتعلّم قام في الأمة مقام المنار يهدي وتسترشد به  
ويعرف اسائرون والمدجون طريقهم على هادته . ويكون من التمكن  
في النفوس ولعوق بالأرواح بحيث يعز على فرد واحد معها أدنى من



القوة أن يتمتع أو يقلقه

٥٤٠ - ود البرلمان ، الذى يشأ لهذا الدستور ليسير به ويسيره ،  
 ويراعيه ويرعاه ، هو المجلس الذى قلنا عنه ( نيدة ٥٣٧ ) وهو مجموع مجالس  
 الأزهر ومجالس الجامعة ورجال الفن فى الوزارة ، فن هؤلاء جميعاً  
 يكونون مجلس التعاليم . لا يبتأت فى التعليم إلا بقوله ، ولا يحاول ذو  
 شأن محاولة فيه إلا بمضائه ، وهو المجلس الذى يتلقى أبناء الأمة أمانة  
 عنده من دينهم ومن آباءهم ، يرثيهم لا يخير وعلى الخير ، ويقومهم بالنفع  
 وعلى النفع . ويبنى منهم مستنبيل البلاد أحسن بناء وأعز مستقبل  
 بهذا وحده ينال العلم دستورده وبرلمائه فيجربا بهمة الحياة اللاتفة بالعلم  
 وبأهله وبطلبته ، ويحصل منه الخير الذى أراد الله من العلم وحلق  
 العلم لأجله . وبذلك يأمن الناس ألا يسطو مستبد ، ولا تقشوفوصى ،  
 ولا يقيم لهم هذا المقم الذى نراه فى مصر . وبه يقطع دابر الفساد المنتشر

٥٤١ - وإخلاصه ( أ ) أننا نرى على العمى فى مصر أنه لم يؤد وظيفته

على ما ينبغي . فقد قصر بطلبته ويرى لهم بالوعداى قصده من أحله .  
 ولا وسعهم عايته اتى سموا فى تحصيله لبعدها ، ومن قبل هذا شقق  
 الأمة فى منبتها ، وتفرع باخيل من مولده . فلا هو حصل السعادة  
 للطالبين ، ولا هو أتى الوحدة بين أبناء الأمة أجمعين

( ب ) وانمى عليه أنه ملأ نفوس الطلاب عروور بفشورده ، فانهم  
 من طبعهم الطيب الساذج . إلى طبعه التفتت المحتد . وعاق بهم علوق  
 الجرب بالجلد وعموق السل بالحد . لا هم يشعرون من دائه فيمودوا

إلى أمليهم ، ولا هو ينقهم إلى يشته فتطيب لهم . وبقى بحامله في منزلة  
«إن» المعتقة ، لا هي عاملة ، ولا هي قادرة على العمل ، وما هكذا يفعل  
العلم بالمتعلمين .

(ج) وجله الأزهريين ، وهم طلبة الشرع ، بعلوم الفروع . أناحت  
عليهم بكل كفاها فنقلوا بها ، فلم يستوعبوها ، ولا تهرعوا لعلومهم ، فلم  
يرعوها . ومطالب الجامعة ملائم كلاماً . وأوسعهم نظراً ، وسع عيهم  
من شآئبه . لا يبيد في عمل الدنيا ، ولا حلا لهم وجه مصر حتى يفيدوا  
في سوادها ، فهم نسخ من إخوانهم الأولين تكذبت بالجميع مكتبة  
الوادي ، والوادي صار يموزه المصنع والمعدل . بعد أن غص بمجلدات  
المكتبة

(د) وتوى أثر هذا الذي يقال له غير ، وتنفق عليه الحكومة  
ملايين الجنيهات ، غير ما يدفعه الأهالي على الطلبة . رى أثره أسوأ الأثر  
في نفوسهم ، وهوس مثلت يأس وسأم ، وهوس لم يعمرها الدين ولا  
صبغها الخلق ، وهوس لم يخلق للعمل آخر ولا صبرات على حب العمل .  
فخرجت من هذا وهذا إلى حرية في المظهر يبدو لك في الشباب ، وهم  
على ما تقول إداراتهم «شباب العلم» . ولكن شباب العلم حبيته في الدرس  
ونكيب النص . أمّا شبابنا فخيته في التوب فاحراً . وفي النسيان منشد .  
وفي الفكر فاهراً ، وفي الأمل طائراً ، بحسبون ما علموه نافعاً . حتى إذا  
جاءوه لم يجدوه شيئاً . ووجدوا الحق شفه فوهم حسابهم . وهم  
حاسرون متحسرون

( هـ ) وزاد هذا الحال حتى كدنا ننكر أنفسنا إذا ما فتحنا محلة من المحلات اللاحقة تخصصت للكتابة في المدارس ، سواء منها مدارس البنين أم مدارس البنات ، فمن لم يسمع بمحل . ومن يتصفحها يتخيل إليه أنها تكتب في مجالس ومنتديات ومجامع عموميات ، وهي تصرح بأسماء المذكور وأسماء البست ، وتروى عن هؤلاء الأغصان ما إن كان حقيقة لو حب أن يصق إدارة التعليم في مصر حسابها وتعلق أبوابها ، وإن كان كدياً واختلاف إعمال الإدارة لها ، وترك هذه الفحشاء تشيع بين أبنائها إعمال أحق بالنقد . وترك أولى بالتقريع والتأنيب

( و ) ونمى على التعليم في مصر . أنه لم يجعل التربية حكيمته . فسين لا يرجع له في مدارس . والأخلاق إن ورد ذكرها في الكتاب رسمها ، أما في الواقع وفي العمل فطلبة المدارس قد تركوا في شأن دينهم ، وأهموا في تربية أخلاقهم ، والدين والخلق عمل وقدة ، لا برنامج وكتاب . هذه الصلاة التي يؤمر بها الولد لسبع ويضرب عليها لعشر . أين هي في مدارسنا ؟ والمعبادة إنما هي نمود وعادة . وأعجب من هذا في شهر الصيام يقدم الطعام لمن يحب من أبناء الإسلام ؟ ويقولون هي الحرية ؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم . فامة لادين لها ولا تربي على الدين ، لابقاء لها ولا عز ولا سودد . وعند مدارس الأمم الرقيقة تقرر الدين وتربيته . وتحمل طلبتها عليه ، وخرى يجوها لهذا أحسن وأفضل وأقدر ، وأجول في معترك الحياة وكسب سعادتها . فلا الدنيا حاسبها علم اليوم ، ولا الآخرة ينيلها لطلبته ... ٩٩

( ز ) هذا إلى مانعينا من تفرق إداراته ، وطلب كل منها الاستقلال  
والأنحياز - وضيق غايته وكثرة الوسائل المخرجة لطلاب هم أضعاف  
ما يحسبها - وعجز خطته عن بث روح الحياة العملية في نفوس  
محتغياتها - وترك النظر في الخطط والبرامج والمناهج لقرد واحد . يقفها  
أو يقلبها ، ويعدلها أو يبدلها ، منه الأمر وإليه يصدر الأمر ويعود في  
جيل بأكله ، ومستقبل يشككه . إن شاء لاشقاء أو لاسعدود . وشاهد  
الحال ما جرى في السنين الأخيرة من محو وإثبات وتغيير وتبديل . في  
البرامج ، وفي الدروس ، وفي عدد السنين . وفي مستوى الشهادات . مما  
جعل المدارس وطلبتها حقولا للتجارب لامفارس للعائدة ولاعاني للشر ؟

( ح ) وانتقدنا عملهم الذي حملوا به إلى العلوم فعملوا لها حلاخل  
ومناطق وأطواقا ، فتراهم يحثون إلى طائفة من العلوم يعدون لكل  
علم منها حلحالا . إذا استطاع الطالب أن يندس سلق العلم أعطوه شهادة  
يسمونها « الشهادة الابتدائية » ، فإن حنصره منطلق أو قد عتقه بطرق  
أحازوه بالشهادة الثانوية أو بالشهادة العالية . والإجازات لم تكن يوما  
لأصناف مختلفة من مفارستها ، إنما الإجازة في العلم وضعت للعلم نفسه  
وتقسيم العلوم وضع من قديم للعلوم ذواتها . لا لطوائف من فنونها ،  
ومدارس الفرقة عدنا سارت على هذه السنة ، فهي تجري بالعلم الواحد  
شوطا واحدا . وتدرسه للطلاب في طلق متسق . ومن سببه طبعه في  
علم منها ساروا به ، من غير أن يعوفه تحلقه في علم آخر عن قيل الإجازة  
في العلم المضطلع به ، ووجه النقد في طريقة التعليم عدما . أنها طريقة

تضاد الفطرة الانسانية ، في تكلف من لا يحس الرياضة ويحسن  
 الحرية أن يحوزهم معاً ، فإن أبت فطرته الخلقية الاتقياد للرياضة  
 والسلس فيها ، أبوا عليه إحسانه في الحرية ومتعوه أريدنطلق فيما يحسنه<sup>(١)</sup>  
 ( ط ) ومع أن الامتحان قد شجبه كثير من علماء التربية ، ومن  
 أجازهم منهم قال إنه ضرورة ملجئة ، ومع أن الضرورات بالإجماع إنما تقدر  
 بقدرها ، مع هذا فعندنا قد ساروا في هذه الضرورة على مادة الضرر ،  
 ولا يهل الصيف من كل عام حتى كأن القيامة قد قامت وقنع إسرائيل في  
 الصور ، فنصبت أسواقه بالمدائن والبنادر ، وحشد لها رجال المعارف  
 حشداً يقطع هوله أنفاس كل داخل فيها ، ويزيد حذره ريب كل محشود  
 ونصبت فيها الموازين مقلوبة ، فالصغير الذي يطلب الشهادة الابتدائية  
 يمتحن في علوم أربع سنين ، واخذت فوقه إذا طلب الكفاءة امتحن في  
 علوم ثلاث سنين ، والكبير الأشد منها يمتحن لتبيل البكالوريا في علوم  
 سنتين<sup>١١</sup> وهذا ترتيب مقلوب كمن يريد أن يقف القمم على قته ؟ فإن

---

( ١ ) يقول الشيخ السيوطي في ترجمته لعمه وقد ذكر ما حازه من العلوم  
 والفنون : درست تحصيله وهو وأنه كلفت بها آلات الاجتهاد هذه يقول : وأما علم  
 الحساب فهو أعسر شيء على يأسه من دمه ، ، إذ انطرت في مسألة تتعلق به  
 فكأنني أحاول حبلاً أقفه . أفترى هذا الشيخ وقد ررق التبعر في خمسة عشر  
 عاماً من الحديث إلى التصريف إلى الطب الخ لو تقدم ليل شهادة عندنا فسقط في  
 امتحان الحساب ، بمثله كثير من فطاحل العلماء حملوا الخلل في علوم ، فأبوا بحسب  
 المال في أخرى ، أفترى إدارة التعليم عندنا قد قطعهم عندها وتبقى هي عالية ١

العقل كلما اتسع حوزة صبح أن يتمتع في كثرة المحوز : لا العكس !  
وكذلك ترى إدارة التعليم تجلب بحيلها ورجلها في أسواق هذه الشهادات  
الثلاث . فإن امتحن التلميذ بعدها في الأهم منها ، كفت يدها وتركته  
لمدرسته . نعم فالمعلم من السنة الأولى للسنة الثانية الثانوية أم من امتحان  
السنة الرابعة الابتدائية . ومن السنة الثالثة الثانوية أم من امتحان  
الكفاءة . وفي المدارس العالية أم من البكالوريا : ولكن أي هكذا  
حلقب - ثم ترا في العلوم في حابته على الطالب ركما لا يسبى في الخلاص  
منه إلا العقل الصناعي ، ولا يجور به إلا ( خالط اللبن بالسبك بالتمر  
المهندي ) ، وفيه تضيق الحدود ويحجز واسعه ، ويوزن المرء بالدرجة  
ونصف الدرجة . ويكون القول في هذه الصروف المنفعة ما قالت « حزام »  
لا نفسي فيه ولا إبرام . ولا عود ولا إعادة ! مما جعل النتيجة في كل عام  
دروب ' كثر المتقدمين ، ونمويد هؤلاء الراسين عادة الرسوب .  
فيما فوز به عن انتقدهم ! وأخياة كل ما دفع وإقدام !

( ي ) وخلاصة الخلاصة في تقدنا ونعينا ، ما صنعه التعليم في  
من قطع صلته بما خيف فأبنوا المتعلمون لا يتسلسلون من أجدادنا  
المتعلمين . وإنما هم صنعة مبتدأة وحلقة جديدة : إن متت فألى الغرب ، أو  
نظرت فألى أسلافها في عبود هذا التعليم . والعاد المنتج إنما هو شجرة  
عرسها الأجداد ونعمدها الأحقاد فاستوت وأورقت وآتت أكلها في  
كل طور يأذن ربها . وأغنى الأخدود فانتقموا منه تجارهم . وهموها  
منها بما يقحوز ويه مدون . فهو يمد خلطها ويضرب مجدورها . ويخرج

لها شطاً يوازدها ويجعل لها وشيجة تنقل منها فساتنها ، ومعرساً يوشك أن يكون بعد حقية حديقة يانة أما حال التعليم المصري وإلى غير هذا ، بل حال من شأنه أن ينقل أبنائه إلى آباءه هو وأن يخرجهم من شرق الأرض إلى مغربها غير ناظرين إلى تلك الكتوز التي خصبها آله السب لهم ولا منتفعين بما كان فيها من جواهرهم . وقد جعلوا بينهم وبينها برزخاً وحجراً عجوراً ، وبهذه النقلة يحسرون تراثهم . ولا يحسدون على ما عند القوم وقد سبقوهم بأجيال ، فإذا آرا الأول لأن يصبوا . استمعجوا ولات ساعة منده . وأظهر ما توى هذه العاهرة في طهقتي الأطباء ورجال القانون . فأطباؤنا لا يعرفون أن العرب اشتغلوا بالعلم ، وإن أذم نبأ اشتغالهم به جهلوا ما عرفوه وكيف اشتغلوا به . فإن حديثهم عنه لو رواه وجوههم وزانوا عنه . ورجال القانون غرقوا في بحيرة المستحدث من قرن أو قرنين . فلا ينشرون البحار الزاخرة التي بخرها لهم الآباء من بصمة عشر فرنا . وطلى الأسلاف يوسمون فيها ، ويصفون من مائها . ويننون على شواطئها . أو ينشئون في جزائرها حتى لكانها دنيا قائمة لا يعرفونها أو يسمعون بها . فإن زلقت رحل أحدهم فمصر يرى من ما يعلم أو أبى مما يعلم وأحكم وأدق . دهش . ولا يأخذه الدهش إلى لومه على ما فرط فيها ، بل يمتدح العجب فيدهش كيف كان لأبائه عقول أدركت مثل ما يدرك ؟ وعرفت كما عرف أبناؤه هذه الحضارة المستحدثة ؟ وهذه أكبر جناية على قوميتنا جناها التعمد الحديث . وبها اقتلعت أمة أسرها واقتضعت من تاريخها إلى حيث يشاء ناهية ، على حين يبعث الله

من أوربا من يستشرق فينقب فيشر مفتخراً على قومه بضخار قومن  
وآيات ما بلغوا وأدر كوا في العلم والمدنية

٥٤٧ - هذه نظرات عاجلة لمواطن النقد في تعبيننا ومتعلمينا ، وتقر  
مهما منصفين بأن في مصر والحمد لله من تزهو بهم علماء وتربية ، وبها افتاد  
بلغوا من السحر ما صار عوا به من سما في غيرها ، ولو آتاهم الله بالمد  
لأتوها به ، ولكننا إنما نتمى على المجموع لا على الجميع ونكتب في الطبقة  
من غير أن نجحد فضل الله جاد به على من شاء من أفرادها المخلصين ،  
وأكر الظن أن فضلهم جامع من العهد الاول أو من تربيتهم المنزلية ،  
وكالم حصلوه مما زودوا به أقسم خصوصية

٥٤٨ - واقرحنا لهذا ( أ ) وضع دستور جامع . يتلقى الولد من  
السنن إلى الكبر ، وينقله في أطوار حياته بين منارل العلم النافع ، صور  
العلم فيه كشجرة أصهار ذات وعرها في السماء . ذات أوراق وغصون .  
وذات فروج وأفان . تسكن فتر ثمرة ، واسكل ورقة حل . ولكل فرع  
فيها فائدة فهي في أصل . تعطى الظل والاكل . وهي في أذانيها تعطى الميزة  
والخصوصية ، وما بها قائم على أصل الفن ، ذاهب الى غاية المعرفة . ويحوى  
هذا الدستور منهاج التعليم وبرنامج ، محكم الوضع في ترتيب أبوابه .  
واتقان فصوله ، وإحاطته بكل ما يحتاج إليه في هذا الاعداد  
الحيوى . بحيث يكون خيرة الحيلة لبنى الحياة . وغذاء الروح فيها .  
وقوام النفس والحمد . ولا يدع شاردة ولا واردة مما يفيد التعليم الصحيح  
وينتج التربية الحقة . ويكون من الثبات في النفوس . والمروق بأنواط



القلوب ، بحيث لا يقدر فرد مهما أوتي أن يتلقب به . أو بمعنى فيه استبداد رأيه . إذ كل من العجب أن يوضع للقضاء لأئمة تشرح إجراءاته وكتيب يحوى موضوعاته : بحيث يعرف القضاة والمتقاضون ما لهم وما عليهم ، ولا يفتقر من اللائحة بد ولا فى الكتيب موضوع إلا بجهد وإجماع رأى ، وكل هذا لخدمة العدل ومضاء القضاة به . ثم لا يصنع مثل هذا للعلم والتعليم وهو أبو العدل . ومنه وبأحكامه يسير

( ب ) ثم يكون لهذا الدستور منتدى يضم محالى الأزهري والجامعة ورجال الفن فى المعارف . جمعية برّ وتعاون على الخير والإفادة . هم الذين يتولون أمر التعليم فى مصر بحكم هذا الدستور ، وهم الذين يرون فى الدستور رأيهم الصالح لصالح البلد . وهم وحدهم الذين يتحدّثون على التربية وتعميم ولا كلمة لغيرهم فيها . وكل من أراد بهما أمراً فانه لا ينفذ له إلا برأيهم ويتصدّقهم

( ج ) واقترحنا أن يوضع هذا الدستور على قاعدة الخلق والعمل . وأن تنصب رايته على قمة الذئف : كأنه مثلث متساوى الزوايا . رموزه هذه العظائم . فإذا تم وضع هذا الدستور . وقام بتنفيذه هذا المجلس . إذا فلتنتظر للأمة أن نتم بنعمة العلم

( د ) ورأينا توحيد التعليم فى المرحلة الأولى منه . وتعميمه ووضعه فى قفوس الجليل وضماً صحيحاً ، يثبت فيه حبّ العمل . وبعده بعده العمل معتصماً بحبل الدين والمخلق

٥٤٤ - هذا ما رأينا أن نستدرّ به أخلاف العلم الصحيح والتربية

الحقّة ليكون ما يخرج منها غذاء للحياة ، ومدد البقاء فيها . على اسعد  
حالاتها وأهنأ العيش بها ، وبه تحسم العلل الفاضية في التعليم الحاضر ،  
الذاهبة بأبناء الجيل مناهبهم التي عبتاها . وبها أخذنا على من قاموا بهذا  
الشأن في مصر وما شاكلها من الأمصار

٥٤٥ - وانها لمترحات بمجلة يعنى هذا التزم بتعديلها ، ولعوزة لشرحها  
العصبة أولو القوة . في محال لا يحلّ له اليوم من هذا الكتاب . ثم إن  
تنفيذها يقتضى جهداً وبداً ، ولكمه العلم ، وللعلم نحميا وبالعلم تفوز ، فكل  
ما صبح له سهل في جنب الفائدة منه ، وما يذل فيه رخيص في ثمن جناه .  
قال الامبراطور نابليون : إن الفوز الصحيح ، الفوز الحقيقي الذي لا عمل  
فيه للأسف ، هو الفوز على الجهل ، وإثبات الكرامة حقاً أريد بها حق وتكاد  
تكون الحق كآء . وقد صدقها صاحبها فعماله . هو الذي يروى عنه بعد  
أن انتصر في معركة مارينو أنه حمل أوز شروطة في الصلح مع ملك  
« بولى » إضلاق أسر العالم « دولو » به « الجيولوجى » . وكان منها بمصر .  
وفي عودته إلى فرنسا انكسرت سدينته فأسره ملك نابلى وسجنه

نابليون هذا هو الذي سلّ من قلبه سخيمة الحق وجعل معها  
صفاء أمر حينما وضع جائزته السنوية لمن يكشف أظف كشف في  
الكهربائية الفاضائية . وقد أعطها للعالم الإنجليزي « دافى » سنة ١٨٠٨  
وقدرها ثلاثة آلاف فرنك . لأنه كشف عنصرى الصوديوم  
والبيوتاسيوم بالكهربائية . وبذلك كسر حاجز ما يسه ويبي التجلثرا من  
العداوة القائمة في تلك الأيام . وكان نابليون بلغه أن « فولط » كشف

«عمود الكهرباء المعروف «بالعطاي» فأمر بعقد جلسة خاصة حضرها  
بنفسه . وصنع للعالم المذكور وساماً من الذهب كتب عليه اسمه . وجعله  
عضواً في مجلس الشيوخ : ووهبه لقب كونت . وأعطاه مبلغاً طائلاً من  
المال وسيداً أرضاً به لا إكراهه ( منظم ١٩ / ٥ / ١٩٣٥ ) . وهو نابليون ربه  
السيف ورافعه حتى ليكاد يحرق به عقود الثريا . سطع في بدء شهاباً لمع في  
آفاق السماء . ثم لم يلبث أن صار رماداً في معركة «واترلو» . وحينذاك آوى  
إلى ركن شديد . ركن العلم الذي يبقى ويبقى ماعداً . وقال كلمته الخالدة في  
فضل القيم على السيف . وتيجيد العلم وبيان قوته والاعتصام بعروته وأنها  
العروة المضمونة الباقية . وكان قد وضع قانونه المشهور بقانون نابليون . قال  
وهو في «نقاه» ليس مجدي وثري بانتصاري في أربعين معركة ، فإن  
«واترلو» سوف تمحو ذكرى هذه الانتصارات لكن الأثر الذي يبقى  
خالداً إلى أبد الأبد ودهر الدهر هو قانوني المدني»

«سكتت هذه الكلمة في مسائل الأديان»

٥٤٦ - وصنع هذا العالم العظيم إنما هو يسبح على منوال بعض الأديان  
سبقوه من رموس العالم وحملته أثقاله . وهم جاهدوا في سبيل العلم وأدوا له  
من الخدمات ما يكاد يعرق القربة حتى نالوا الإربة . وأعلمي تاريخ العلم  
لا إسلامي لا تكاد تغيب صفحة من صحائفه حتى نظرف عيمك عذيمة من  
عظام الأجداد . وتحال صحائفه مشاهد لمع تقوم فيها فاشبة بين الجهل  
والعلم ، ورجال العلم فيها شاكو السلاح بأذلو العس والفيس في الانتصار  
على هذا العدو . وقد انقسم معسكرهم إلى جناحين اتفقا على مهاجمة جناح

## الأمراء وجناح العلماء

٥٤٧ - ولقد لفت نظري في متابعة هذا التاريخ ظاهرة قلاحتهم ولا تقارنه بدت في هدين الجناحين بداء يلسمه القارىء ويتراءى للساهى فيلسمه ظاهرها ويبين له خافيتها رأيت في أكثر ماقرأته من تراجم العلماء أن أكثر ما تركوه من آثارهم العلمية وما قاموا به خدمة العلم إنما صدر منهم في أوقات شدتهم وعلى حين كانوا مبتليين في أنفسهم بمصائب هذه الدنيا. وقد مر بك في هذا الكتاب ملاقاة العلماء من شطاف العيش وما اعتصرته أمت من شدة فهم ذلك جنى يافعاً وثماراً فاضحة أبقرها للعالم عذاه لروحه ولجسده وقوة يعدو بها في حياته ليد تكلل بها أسباب الخير والسعادة. ففي (جدة ٣٧٧) أن «السرخسي» أملى كتابه البسوط وهو في فلق السجود وله يدوده بمحصر من ويسمونه. ومثله كثير جداً وقرأت في شذات تراجم ابن سينا وابن رشد وابن قيمية وابن القيم. وقد كتبوا كثيراً مما كتبوا وهم في السجون محبوسون. ومرسالة «حنان بن يقطين» الشهيرة لابن سينا هي فيص من قلعة «فردجان» وكان قد حبس فيها كتبها. وبها ألف كتاب «القولنج» وكتاب «الهداية» أيضاً. وكتاب «الشفاء» المشهور أنه وهو متفعل في البلاد. وقد كان متورداً في در بهذان كتب فيما منه ثم انتقل فقام آخر في إصفهان. وأتته في سنة أخرى أثناء طريقه إلى «ساوورخوست» (٢٧٤ بن الفطلي) وهكذا من أمثال هذه الأخبار ما يكاد يكون ظاهرة عامة في العلماء والمؤلفين. أما ظاهرة الملوك معهم فهي ظاهرة تشرف الحكومة

الاسلامية وتدلّ على مبلغ الروح القوى الذى تقصته فبعثها إلى سوق العلم وإلى حدائقه ، فأمرء الإسلام فوق ما بذلوه فى العلم والعلماء بما لا تتسع له محلدات : كانوا إذا احتفوا مع عالم لم يقموا فى عقوبة خلافه على علمه . بل بقصرونها على هيكل الجسد مع بقاء العلم حراً طليقاً بل مع تسهيل سبل انتشاره وألا تقف العقوبة الجسدية حائلاً دونه . وإنه لمن الطيبى أن يقع الخلاف بين الأمراء والعلماء . ومن الطيبى أيضاً أن يعمل الأمراء المحافظة على ملكهم بصدد بحالهم وحبسهم ولكنها طبيعة الكرم وفقوا بمقتضاها بين محافظتهم على أنفسهم وبين كرامتهم للعلم وإطلاقهم الحرية له . فالعلماء الذين حذبهم كانوا يدعونهم يؤلفون ويكتبون لا يحولون بينهم وبين طلاب العلم أن شاءوا . حتى روى أن أحمد بن طولون له حثلف مع قاصيه بكارين قتيبة على مسألة سياسية تتعلق بشأن ولاية اهدى الخلافة وأراد حنسه . استأجر له داراً حنسه فيها . وكان فيها طلق يحس يتحدث فيها ويكتب عنه وهو فى السجن . قال فى كتاب ربيع الأصرار ص ١٥١ : « لما طار حنسى بكار ، طلب أصحاب الحديث إلى بن طولون أن يأذن فى السماح منه . فأذن لهم فكانوا يحضرون ويحدثهم اح - مما يدل على أن الجهود التى بذلتها حكومات والعلماء فى خدمة العلم حتى وصلنا منه موصلاً ، تنادى لصلالة ما نراه فى عصرنا هذا الخضر فى معمر . فلا ريب كان ما ندعو إليه واجباً ليس بالكثير ولا هو فوق الطلعة . بل يكاد لا يعد شيئاً مذكوراً إذا قيس بجهود الأولين . أو جهود الأمم الراقية حوالينا حتى بلغت

ما بلغت مما هو نتيجة حتمية لاستثمار العلم وخدمته

٥١٨ وأظهر من هذا ما بدا في روح الإسلام عامة . أن سما  
يوصف العلم على الفروق والميزات . فإذا ذكر العلم ، لا ترى إلا وصف العلم ،  
وما عداه من محيرات قنسى منسى . فالعلماء تسرد أسماءهم وتذكر بحالهم  
ونكتب تواريحهم ويحضرون ويغيبون ويتنقلون ويسمعون ويسمع  
عنهم ، وميزانهم في هذه الأحوال كلها إنما هو ميزان العلم . به يوفون  
حقوقهم . به ينالون درجاتهم . لا فرق بين مسلم وغيره . بل لا فرق بين  
حر ورفيق ، وهذه ظاهرة يشرق بها تاريخ العلم الإسلامى إشرافاً لامعاً  
يطوى في صوته كل صنوء آخر . وبها استنار الإسلام وزخرفت مكانته .  
وضحت علومه . وخلف تراثاً ليس كمثل عند أمة من الأمم . وكفى بهذه  
الظاهرة أعظم قربان قدمه المسلمون لرب العلم

٥١٩ ولا يغتر القارىء بانقشور الالامعة في هذا الوقت . فقد  
وفى على حقيقتها ، ويكد الوادى لا يخرج به من الشر لأول من  
أشبار الشمس ، وقد سقنا كلمته (في نبذة ١٩٦) . وهو الشبر الذى لا يوش  
فيه الأمة ولا ترى . بل إنه ليخيل إلى رغم هذه البوارق أن مصر التى  
بدأت تحدد نهضتها العلمية من زمن « محمد على » قد رجعت فيها القهقري .  
أو على الأقل لم تواصل تلك البداوة الحسنة بما ريدها حسناً وإجادة .  
فأما سفر صنم وضعه العالم الجليل الأمير عمر طوسون في « البعثات  
العلمية في عهد محمد على » ثم في عهدي عباس الأول وسعيد ، أثبت فيه  
أسماء الأقطار الذين بعثهم هؤلاء الولاة الثلاثة إلى أوروبا ليتعلموا فيها

وكانوا قد أوتوا من العلم هنا ما ازدادوا به هناك علماً ومعرفة ، فلما علموا  
عادوا فانتشروا في البلاد أقطاراً وشعوباً يزغوا في سماتها فأضلوا بها ، ثم  
طواهم الردى فبقيت مطالعهم خالية لم ينجسوا فيها . وكان النظر ما طراد  
النهضة أن يزيد الخلف عن السلف : وأن يتكشف أديم السماء في كل  
صبيح ومساء عن شمس جديدة وقمر جديد . والأمل في الحق قوى أن  
يصحح الظنون . وأن تضطلع مصر بأعباء العلم والتعلم اضطالاعاً يصحح  
لها دعوى زعامتها على الشرق ، وقيادتها لبنية البرهان والدليل

٥٥٠ . وكذلك أما لا أنكر على الجوامع والجامعات ملابس طلبتها  
واستاذيها ، ولا أذم تخصص العلماء بما يعرفون به أو يعرفون . ولكن  
أكره ما يتعلق به بعض ذوى الظاهر بالظاهر . وجنوح بعض النفوس  
إلى وضعه في مكان التقديس . فإن هذه الشارات والإشارات إن هي إلا  
علامة إن لم يكن لها مدلول فرغت وإشارة مهما جئت فلا تصل إلى رتبة  
المشار إليه . والمعول في الحقيقة عليه وهو القصد الأجل . وأما وأنا  
أكتب هذا : مشهد تدرجني قام بأرض القادسية في هذا الإسلام يوم التقى  
الفرس والعرب . فخرج الأولون على العرب . بزيتهم ، وطلع العرب لهم  
بجزيهم . فكانت الغلبة للنفوس على النفوس ، ونم الصفرة للحس الواقع  
بالزيف المبهرج

٥٥١ - ومن أطرف ما رويته في الاعتراف بالثوب يعطى ، الدلالة  
على لابس ما حكه الأصمعي قال : كان الفرزدق الشاعر : أبو شققل ،  
داويته في المسجد . فدخلت امرأة فسألت عن مسألة وتوسمت ورأت

هيئة أبي شفل فسالته عن مسائلها : فقال المرزوق :

أبو شفل شيخ عن الحق جائر      بياض الهدى والرشد غير بصير  
فقلت المرأة : سبحان الله : تقول هذا لمن هذا الشيخ ؟ فقال أبو

شفل : دعيه فهو أعلم بي      د م ٢٦٦ ١٩٠٠

٥٥٢ - وروى قصة داود الظاهري إمام أهل الظاهر لدى قيل  
إنه كان يحضر مجلسه كل يوم أربعاءه صاحب طيلسان أحضر ، قال داود :  
حضر مجلسي يوما أبو يعقوب الشريطي وكان من أهل البصرة وعليه  
خرفتان ، فتصدّر لنفسه من غير أن يرفعه أحد ، وحلّس إلى جاني ،  
وقال لي سل يا فتى عما بدا لك ، فكأنني غضبت منه . فقلت له مستهزئاً  
أسألك عن الحجامة ، فبرك أبو يعقوب . ثم روى طريق ( أخطار الحاجم  
والمحجم ) ومن أرسله ، ومن أسنده . ومن وقفه . ومن ذهب إليه  
من الشفاء . ، روى اختلاف طريق ( احتجام رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وعضائه احتجام أحرد . ولو كان حراماً لم يعطه ) ثم روى صرق أن  
النبي صلى الله عليه وسلم احتجم بقرن ) وذكر أحاديث صحيحة في الحجامة  
ثم ذكر الأحاديث المتوسطة مثل ( ما سبرت تلاً من الملائكة ) ومثل  
( سفاه أُمي في ثلاث ) وما أشبه ذلك . وذكر الأحاديث الضعيفة مثل  
قوله عليه السلام ( لا تحتجموا يوم كذا ولا ساعة كذا ) ثم ذكر ما ذهب  
إليه أهل الطب من الحجامة في كل زمان وما ذكروه فيها . ثم ختم كلامه  
بأن قال : وأول ما خرجت الحجامة من إصبعي . فقلت له : والله  
لا حقرت بمدك أحداً أبداً      د م ١١٠ ١٩٠٠



والظاهر أن أبا يعقوب هذا هو «الشهيد» قد عامر داود . وهو  
 اسحاق بن ابراهيم بن حبيب الشهيد كان من البصرة وتوفي سنة ٢٥٧  
 و وفاة داود سنة ٢٧٠ ؛ ولعل القارىء لحظ لدعة «الشهيد» لداودى كلمته  
 الأخيرة أول ما خرجت الحجة من إصبعه . فإن داود أصله من  
 إصبعان . والظاهر أن هذه اللدعة أثرت في نفس داود وقد استحقها  
 استحقاقه . فآلى ألا يحقر أحدا بعده . وألا يكون الثوب عنده  
 عنوان لابس

٤٥٣ - فإحصل أن المقصد من هذا كله إنما هو الإخلاص والعمل  
 للوصول إليه والتحلى به والحدول على جوهره ؛ والإخلاص خلق وفى  
 عطف على مرهده . مرشد أمين لا يذارق ضلبيه حتى يهديه ؛ فهو مائل  
 أمامه فى كل عمل بعمله . منصوب الرأية واضح النهج . بقرئه ويبين  
 له . ويأله ويحبب له . حتى مآثرى محمداً إلا كأنه مجموعة أحاسيس نافرة  
 متعسفة فى كل صغيرة وكبيرة عن خلاصها من تيمة محمداً لتخرج منها  
 نية صادقة صفاء جوهر الإخلاص . وبه لا كبير الحياة ونور الوجود  
 وفوت القلوب . حتى فى أخير نيسأل المحلل لماذا لم أرد ؟ بل لماذا لم آت  
 بالفضل مما عمنت ؟ بل قد يشكك فى أخير هل يتمتع له الخير ؟ وهذا  
 مستهى الغاية فى حب الإخلاص . واجب إذا اشتد وصدق تسرب الظن  
 فى الحبيب ألا يكون بغير غاية المطلوب للحبيب . روى عن الحسن مرسلاً :  
 ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سألته عنها يوم القيامة . ما أردت بها ؟  
 فكان ملك بن دينار إذا حدث بهذا بكى ، ثم يقول : أتخسبون أن عني

تقرّ بكلامي عليكم وأنا أعلم أن الله سألني عنه يوم القيامة ، يقول ما أردت به ؟ فأقول : أنت الشهيد على علي . لو لم أعلم أنه أحب اليك لم أفرا على اثنين أبداً ( ص ١٧٨ ح ٢ الزواجر ) - فهذا مالك بردينار يبكي من عمل الخير ولا يقدم على إحلاصه إلا قلبه وشهادة ربه عليه . والله خير شاهداً وهو أرحم الراحمين

٥٥٤ - ولهذا ورد في بعض الآثار منسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم شهادة في أبي بكر رضي الله عنه قال : هـ مفضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسترٍ وقر في صدره ، وقد كرر الغزالي الكلام في هذا الأثر مرتين في كتابه الإحياء ( ج ١ ص ٢١ وص ٨٨ ) وقال : فيكسر حرصك في طلب ذلك السر . فهو الجواهر النفيس والدر المكنون . ودع عنك ، طابق أكثر الناس عليه وعلى تعظيمه ومطيعه لأسباب ودواعٍ يعمل تمديهاً . وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف من الصحابة رضي الله عنهم كثير علماء بالله أنبي عايم رسول الله ولم يكن منهم أحد يحسن صفة الكلام ، ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلاً . ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم : فقيام له أقول ذلك وفيما جئة الصحابة ؟ فقال . لم أرد عم القتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى . قال الغزالي أفترى أنه أراد صفة الكلام واجدل ؟ مما يات لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذي سبب الكلام والجدل وضرب صديقا ، بادرة لما أورد عليه سؤالا في تعارض آيتين في كتاب الله

وهجره وأمر الناس بهجره الخ

٥٥٥ وهذه الرتبة التي يبلغها العالم العامل المحض وصفها « ابن القيم » وقد أضحى لها في أحد أبنائها وأعجبني أحكامه فيها فأنا أنقله من كتاب أعلام الموقعين (ص ٣٠ ج ١) قال أبو عبيد القاسم بن سلام . كان جبلاً نفع فيه الروح علماً وجلالة ونبلاً وأدباً، وإنها لآثار كريمة تلثم مع كرم المصدر، وكذلك الاخلاص . أثر ومؤثر والمخلص بينهما كريم الجوهر . ويظهر أن وصف القاسم بهذا الوصف قد سبق ابن القيم فيه، أو تواطأ في المعنى عليه وكذلك قال فيه اخافظ أبو بكر في تاريخ بغداد . كان أبو عبيد كانه جبل نفع فيه الروح ، يتكلم في كل صنف من العلم . ونريد أن نحلى هذا الجبل الروحاني مثلاً لا تقارىء من أمثلة العالم العامل يتأسى به في بهوع العلم لصاحبه . وهو عالم من فهار علماء الاسلام عرضته المصادفة لنا لنعرضه على قارئنا عرصاً موجزاً وفيه كل بلاغة عن بيان ما يبلغ العلم بصاحبه ، فهو من رجال القرن الثالث تولى سنة ٢٢٤ عن سبع وستين سنة ، كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هراة يتولى قبيلة الأزد . علم وهو فكان معلماً ببغداد يؤدب الغلمان ، ثم اتصل بثابت بن نصر الحزاعي يؤدب له ولده . فلما ولي ثابت « طرسوس » ولي القاسم قضاءها فبقيا بها ثمانية عشر عاماً ، وكان طاهر بن الحسين نزل بمرو . وهو ماض إلى خراسان فطلب رجلاً يحدّثه . فقبل ماهاها إلا رجل مؤدب ، فأدخل عليه القاسم ابن سلام : فوجده أعلم الناس بأيام الناس والنحو واللغة والعقده ، فقال له : من المظالم تركك أنت هذا البعد . ودفع إليه ألف دينار وقال أنا متوجه

الى خراسان في حرب ولست أحب استصحابك شفقة عليك ، فأناق  
هذا حتى أعود . قال أبو عبيد كتابه « غريب الحديث » إلى رماد طاهر  
خمله إلى « سر من رأى » ومن ذلك الوقت ظل متصلاً بآل طاهر بن الحسين  
هذا العالم ابن العبد الروي مولى الأزد بين بلغ به علمه أن كان أحد  
ثلاثة يقول فيهم إبراهيم الخزاز : أدركت ثلاثة لم يرى منهم أبداً نعيم  
النساء أن يلدن منهم ، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام ما منته إلا بحبل  
تقع فيه روح ، ورأيت بشر بن الحارث فاشبهته إلا برجل عجز من قرنه  
إلى قدمه عقلاً ، ورأيت أحمد بن حنبل فرأيت كأن الله جمع له عبد الأولين  
من كل صنف يقول ماشاء ويمسك ماشاء . ويقول الهلال بن العلاء الرقي  
من الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم . بالشافعي تفقه في حديث رسول  
الله صلى الله عليه وسلم . وبأحمد بن حنبل ثبت في المحنة لولا ذلك كفر  
الناس . ويعني بن معين في الكذب عن حديث رسول الله . وبأبي عبيد  
القاسم بن سلام صر الغريب من حديث رسول الله لولا ذلك لا فتحم  
الناس في الخطأ . وقال ابن الأنباري : كن أبو عبيد يقسم الليل اثلاثاً  
فيصلي ثلثه وينام ثلثه ويضع الكتب ثلثه . وكتابه هذا « كتاب غريب  
الحديث » دل في تدنيه أربعين سنة ويقول : وما كنت أستفيد الفائدة  
من أقواء الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب وأبيت ساهراً فرحاً  
منى بملك الفائدة . ثم يعقب القول في هذا الجهد بانتقاد من يريد أن يطير  
بالعلم أو يطير به العلم فيقول : وأحدكم يجيئني فيقيم عندي أربعة أشهر أو  
خمسة أشهر ويقول قد أقت الكثير . وهو كتاب شهر بأنه أول ما عمل

في هذا الفن « تفسير غريب الحديث وشرح كلماته » ، ومع أنه قد سبق في هذا . إلا أنه جمع روايات من سبقوه في كتابه ، وبوَّبه أبواباً فأحسن تأليفه . ولما عرضته على عبد الله بن طاهر استحسنه ، وقال : إن عقلايـهـت صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب حقيق ألا يحوج إلى طلب الداش ، وأجرى له في كل شهر راتباً جيداً . وقد اعترى القاسم بهذا الكتاب عزّة العلي ، وبقى به في بغداد مكرماً . قيل إن طاهر بن عبد الله طمع في سماعه من صاحبه ، وطمع أن يحيثه به في منزله . فأبى القاسم حتى كان هذا يحيثه . بينما هو يحمله إلى المائين على ابن المديني وعيس العبري وكنا قد قدمنا بغداد وأراد أن يسمعه فكن يحيثهما به كل يوم إلى منزلهما فيحدثهما فيه . ومما يدل على عظمة هذا الرجل ما حدث به الفسطاطي قال : كن أبو عبيد مع ابن طاهر ، فوجه إليه « أبو دلف » يستهديه أبا عبيد مدة شهرين . أنهد أبا عبيد إليه فأقام شهرين . فلما أراد الانصراف وصّله أبو دلف بثلاثين ألف درهم . هم يقبلها وقال : أنا في جنبه رجل ما يحوجني إلى صلة غيره . ولا آخذ ما فيه على نقص ، فلما عاد إلى طاهر وصّله بثلاثين ألف دينار بدل ما وصّله أبو دلف . فقال له : أيها الأمير قد قبلتها ولكن قد أعنيتمى بمروفتك وبرك وكفايتك عنها ، وقد رأيت أن أشتري بها سلاحاً وخيلاً . وأتوجه بها إلى الثغر ليكون الثواب متوفراً على الأمير ففعل . ومع إقبال الناس على كتاب القاسم . وتعمى المائنة سماعه واخذه عن صاحبه حتى قعد المأمون لقراءته عليه . ومع توارده لشهادات لهذا العالم ، حتى

ليقول الخنظلي فيه : أبو عبيد أوسعنا علماً . وأكثرنا أدباً ، وأجمعاً  
 جمعاً . إنا نحتاج إلى أبي عبيد وأبو عبيد لا يحتاج إلينا ، مع هذا فإن  
 القاسم وقد انصرف من الصلاة فرّ بدار إسحاق الموصلى . فقالوا له يا أبا  
 عبيد . صاحب هذه الدار يقول : إن في كتابك غريب المصنف ألف  
 حرف خطأ ، فقال أبو عبيد : كتاب فيه أكثر من مائة ألف يقع فيه  
 ألف ليس بكتير ، ولعل إسحاق عنده رواية وعندنا رواية . يعرف خطأنا  
 والروايتان صواب ، ولعله أخطأ في حروف وأخطأنا في حروف فيبقى  
 الخطأ شيئاً يسيراً . أقول إذا رجع القارىء إلى النبذة ٣٩٠ عرفت من  
 هو إسحاق الموصلى ورسوم قدمه في هذا العلم . وعرف لهذا أديب العلماء  
 في ترادهم ، وفي لطف تخلص القاسم بن سلام وأدبه وتوقيره لغيره مع  
 التسليم للحق وعدم الحق . فهذا القاسم مثل من مصاديق قول الحق  
 « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وقد صدق لهذا  
 العلم إحلاصه ، فإنه لما قضى حجة وعزم على الانصراف إلى العراق رأى  
 في منامه ما يدل على الرغبة النبوية في بقائه بدر بستانه ، فلما أصبح ثنى  
 عزمه وبنى بمكة حتى مات . وفي هذه السيرة المختصرة مثل من تحقيق  
 أمانتنا في الاستجابة إلى دعوة العلم . فقد مثلها هذا العالم مزيجاً قائم من  
 عناصر هذه الدعوة إلى مزيج العلم بالعمل بالخلق . ولئن هذا فليعمل  
 العاملون

٥٥٦ وهذه المرتبة إنما يبلغها بالغها بالعلم النافع والعمل الصالح .  
 وقد مرّ عليك في فاتحة الكتاب كثير مما يفيد ويستشهد به لهذا الباب ،

كما يقول أبو الدرداء : مثل العلماء في الناس كمثل النجوم في السماء يهتدى بها : فقد يهتدى بنور السجدة والتجيم في جرمه فحم ، ولذلك روى أصبر أنى عنه صلى الله عليه وسلم : « إن من أهل الجنة ينطقون إلى أناس من أهل النار ، فيقولون بماذا دخل النار هو الله مادخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ؟ فيقولون : إنا كنا نقول ولا فعل ، وفي حديث آخر رواه الطبراني بسند حسن ، في تشبيه هذا العالم الذي يقول ولا يفعل قال صلى الله عليه وسلم : « مثل الذي يعلم الخير وينسى نفسه كمثل السراج . ورواية البراء أرواح ، مثل الفتيلة يصير للناس ويحرق نفسه »

٥٥٧ - وسمع من هذا دركا في نار جهنم - العالم الذي يفعل صد مايقول . وهو الذي خاف منه المذنبون صلى الله عليه وسلم ، هما رواه الطبراني والبيهقي رجال معتمدين بهم في الصحيح . إذ يقول عليه السلام : « إن أخوف ما أخاف عليكم بعدى كل منافق عليم اللسان » وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لم يتخوف على أمته مثل خوفه منه في قوله : « إني لا أخوف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً . أما المؤمن فيحجزه إيمانه وأما المشرك فيقصه كفره . ولكن أخوف عندهم منافق عالم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون »

٥٥٨ - وفي هذا العالم القاهر ، ورد حديث الصحيحين عن أسامة ابن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه » تخرج أمعاؤه ، فيدور بها كمدور الحمار في الرحى ، فيجتمع عليه أهل النار فيقولون يا هلال

ملك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول بلى . كنت  
مر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية »

وفي رواية لمسلم عن أسامة أيضا يقول . وإني سمعته يمسى النبي  
ﷺ يقول « مررت ليلة أسرى بي بأقوام تفرغ من شفاههم بمقارضة من  
نار ، قلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال خطباء أمتك الذين يقولون مالا  
يفعلون » وفي رواية ابن أبي الدنيا والبيهقي وابن حبان في صحيحه واللفظ  
له ، قال « خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم  
يتلون الكتاب أفلا يعقلون » وزاد ابن أبي الدنيا في روايه « كلما قرئت  
صلوات » وفي أخرى للبيهقي . وبقراءون كتاب الله ولا يعملون به »

ومن ١٧٨ : « ليس جبريل إلا راس »

٥٥٩ -- فالعامل العالم كما رأيت ينفع نفسه وينفع الناس ، والذي  
يعمل ولا يعمل قد ينفع الناس ولا ينفع نفسه . والعالم الفاجر شرّ الشرور ،  
ومنبع الآثام ، وبقي من تمام التقسيم العامل الجاهل . وهذا قد استعاض منه  
ـ بيان الثوري في استعاضته من العالم الفاجر حيث يقول : نعوذ بالله من  
فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر فإن متتهما فتنة لكل مهتوم

٥٦٠ - ومن أشبه الأمثال لهؤلاء ، ما نقله القرطبي في مقدمة  
تفسيره قال : وروى مسلم عن أبي موسى قال ، قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب  
وطعمها طيب . ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها  
وطعمها حلو . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب



وطعمها صر . ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنثى لا ربح لها وطعمها صر . وفي رواية : مثل العاجر بدل المنافق

٥٦١ فالعالم محور العالم . إذ العلم الذي به الخير قد يدار سكرانه للشر . هذا الطب للبقاء ربما استعمل للفتاء ، والفقه موضوع لسعادة الآخرة قد تأكل الدنيا به سحتاً وبؤججاً يطن العقية ناراً ، والفلك والتنجم وبقية العلوم كلها إن لم يحذر صاحبها هلك وأهلك . ومما يروى عجب في هذا الباب - وإن كان بوضعه لا عجب فيه - أن صاحب جائزة السلام في هذه الأيام هو نوبل الأسوجي مخترع المرقعات الثلاثي تمزق الركاب وتمزق الأجسام أح - بما يطلب فيه عون القادر على كل شيء ولا حول ولا قوة إلا بالله

٥٦٢ نقل الجاحظ : قيل بأرسول الله . أي العمل أفضل ؟ قال اجتناب المحارم . ولا يزال هوك وطاباً من ذكر الله . وقيل له : أي الأصحاب أفضل ؟ فقال : الذي إذا ذكرت أمانتك ، وإذا نسيت ذكرك . وقيل له : أي الناس شر ؟ قال : العلماء إذا فسدوا « من ١٦٦ ج ١ المبداء والابتداء »

٥٦٣ وفي ترجمة أبي حنيفة أنه رأى غلاماً يستحم في النهر فقال له : احذر يا غلام أن تسقط فقال له : احذر أنت أيها الإمام فأبى في سقطته العالم سقوط العالم

## الخاتمة

قال القاضي محمد بن سليمان جمعت هذه القول وأنا بدمياط لمعنى  
يحيى في قسى وتصوره وأريد أهل العلم عليه ، ثم رأيت أفضى  
القضاة أبا الحسن الماوردى قد سبقى إلى هذا الإحساس . وزاد فأظهره  
شعراً ، وأجره مثلاً . وكتبه على صفحة الدهر لأهل الذكر . وصدق .  
فنقله عن زميل ماجد سبق الناس في الإحساس ، والكل يسقى بقاء واحد  
قال رحمه الله في كتابه : أدب الدنيا والدين ، ص ٥٥ : وأشدنى  
بعض أهل الأدب لعلى بن عبد العزيز انقاضى رحمه الله .

يقولون لى ، فيك انقباض ، وإني  
أرى الناس . من دأبهم هان عندهم  
ولم أمض حق العلم إن كان ، كما  
وما كل برق لاح لى ، يستفز  
إذا قيل ، هذا مهمل ، قلت ، قد أرى  
أنهنها عن بعض ما لا يشينها  
وله أبتذل لى خدمة العلم مهجتي  
أشقى به غرساً ، وأجنيه ذلة ؟  
فإن قلت ، ذند العلم كلب . فإنما  
ولو أن أهل العلم صانوه ، صانهم  
ولكن أهانوه . فهان ، وودنسوا  
وأوا رجلاً ، عن موقف الدل أحجماً  
ومن أكرمه عزة النفس ، أكرما  
هذا طمع صيرته لى سلماً  
ولا كل من لاقيت . أرميه مسمماً  
ولكن قسى الحر تحتمل الظما  
مخافة أقوال العدا ، هم أولما ؟  
لأحدم من لاقيت . لكن لا أخدم  
إذا فأتباع الجمل . قد كان أحزماً  
كبا ، حين لم يحرس حماه وأظلم  
ولو عظموه في النفوس ، لعظم  
محياء بالاطماع حتى تجهما

## مسك الختام

وقبل أن ندع القلم إلى راحته . نضع بين يدي القارىء جوة من معاصر البخارى يتضح الكتاب منها مسكا . ويطيب القارىء بها نفسا ، ويسرى بشدا الأمل إلى قلوب المؤمنين . والإمام البخارى كما يقولون . علمه فى نزاجه . قال رحمه الله فى صحيحه من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب ، قول النبي صلى الله عليه وسلم - لم لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم . حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتىهم أمر الله وهم ضاهرون ، حدثنا إسماعيل حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب أخبرنى حميد قال سمعت معاوية بن أبى سفيان يخطب قال ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وإنما أنا قاسم ويعطى الله ، ولن يرال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة ، أو حتى يأتى أمر الله

## ساقى الكتاب

الخلق والعلم والعمل . هذه العناصر الثلاثة هي قوام الخير وملاك السعادة . الخلق الأب . والعمل الابن ، والعلم الروح . والعلم إن لم يتردد بينهما فالجهل خير منه . فإن هو فارقهما فلا شر بعده . وقد يكون الخلق بلا علم ولكنه خلق تشريماً . والعلم لابد له من قائم به . فسادة الحياة هي أن يتقصره من ينفع به فيها ، وشقاؤها أن يلبس من لا ينفعها . وبودها أما العمل فإمامه العلم ولا هادى له إلا هو : به يظهر وبه يسر . فأب لابس الخلق كان مملاً كاملاً . وكن عملاً منمراً . وكتابنا هذا صفحة من صحائف العلم والكبار كنيه . ظهر أبحر به ، أطلعت في طروسه كواكب من أهل العلم أشرفوا بنور العلم . فهم ذوو خلق وهم أصحاب محمد . وأطلعت لبى العصر أرائيهم أسلافهم . كانوا أولى قوة أوتوها من مدد العلم النافع . فبسطوا بيابانهم على الدنيا بسطة إسعاد وعلاء . وبسطوا مادة وأدب . وقصدت في هذا العصر المدهم بقطع من فن الحضارة الحديثة ، وظلم من ركاء المادة الصلابة . وانقطع عن متصل التاريخ الإسلامى وعن إشراق الروح العربى . فصدت أن أرى السادرين الصادقين مطامع الفجر الصديق في هذه الحياة ، والشمس المشرقة بالخفاض الشرقى منها . لعلمهم أن يعودوا فيهدوا بهدى الحق . عوداً على بدء ووصلاً إلى انقطع من تاريخ نسل من نبع النبوة وشيعة العلم أحفاد السلف بقوة فتنته الأحيال طبقة عن طبقة يتزودون به ويزيدون فيه : ويعملون به ويعملون

له . ويجهدون ويجاهدون في سبيله . حتى اشتمخروا بنياه فطاولت أعاليه  
من السماء . ورست قواعدهم على مركز العراء . وأصبح بنيانه من حايثوى  
من آوى إليه . ويهدى من اهتدى به . ويحير من استجاره ، ومن دخله  
كان آمنا .

يتناول القارىء كتابى هذا من مكن قريب . تناول الطائفة من يد  
الحباب . ضد زهرها ، وعبق ريحها . وجاءته على شوق لها وحاجة منه  
إليها . فهو في التذاذذ يقرأها وانقشائه يشداها قد ينسى فضل زارعها  
وقاطفها ومنضدها : فأود من صاحى أن أذكره بعشقى وعنائى ،  
ويجهدى وبلائى في مقدمة كتابى له خالعا ملصا . وهو براد مر قبا منتقى  
صحيفا مذهبيا . فلا يدسى من يد غيره ذكرى الترن لا ذكرى المن - نشأت  
شغفا بالقراءة لهجا بهنون من العلم . فساحت صدر عمرى في امتاع نفسى  
وإشباع نهمها ، فام استوت سى رأيت أتى أفع على كنوز وجوهر .  
وأكشف دفين وخبيثا في معالى اللاتى أرودها وأقصى حيانى في ورودها  
وفي العصر الحاضر لهجات جدت . ولهجات حدثت . وقولات وشئت ،  
وراء انتفشت . من قائل بضمه من عمر وغير من حضر . ومن داع إلى  
لى الوجه شطر العرب وطى الكشح عن الشرق . ومن مستظهر مهور  
بزعارف ما يأخذ عيبه من ظلمات العصر الحاضر ومحت المدينة القائمة  
بدل عيبا بما يسمع وقد أفضى وقبح لم يبحث فيما مضى ولا يرد من علم ،  
والمدنية أطوار . والزمان زعلت . ولكل وقت حكم . ونى طبع ينزع إلى  
الأولين . وعرق يبيض بمجد السابقين ، وعمل القضا فى يطبعنى ألا أقول

بغير علم . ولا أدعى إلا يرهان . وفي كل يوم أسمع دعوى جديدة من مدعى الحاضر على القار ، وزعمه عقم السابق وتنازع اللاحق . ولما كنت ميلى بالقرينة إلى المطالعة . ونظري لا ينمك يقع في المكتبة العربية على كثير من مفاخرنا . وكثير مما كنت لنا ويظن الجاهلون أنه اقتصر على غيرنا . فقد حملنى هذا الطبع سؤفا وحذاء إلى أن أتوقر على هذه المهمة ومعى آلاها . فالمر من منفسح والمكتبة موافية ولا يعورنى ، لا انقيد والترتيب . فبدأت من خمس وعشرين سنة أقوم بهذه المهمة ، إن قرأت فى كنانة رسمت لها أبوابها اللاتى يرد القول فيها . وجعلت لها عناوين أودعها ما أعلن به . فاعلم وألهم وأدعو فأجيب وأقول وأبرهن : وظلمات على هذه السئلة اقويمة حتى نحصت لدى مقلمة أخشى أن ينقصى العمر ولا أجد مسعا على نشرها وإظهارها . وكنت كلما فكرت أو سمعت زدتها عنوانا . وفيدت فى باب ما يلائمه . فكان مما حطرتى منذ خمس عشرة سنة أن أقوم بتدوين ما يقع لى من « أخلاق العلماء » . ورأيت فى هذا العام أن المقام صالح لنشره ، فأردت قسى على إظهاره . وهنا بدأت الشقة ، وأحسنى المسئولية عظم المشقة ، فهم يقولون . من آلف فقد استهدف ، وأريد أن أقدم للناس كتابا على مسئوليتى . فوجب أن أصطلم بأعباء هذه المسئولية : والحمد لله لقد أعان على قدر الطاقة : وفى سبيله ما بذلت من جهد الانتقاء وجهد الترتيب وجهد التصحيح : وهنا أصرخ متأوتا من نصحييف الكتب والاستهتار فى طبعها .

كيف يرتب المؤلف كتابه وهو يريد أن يتقدم به ؟ أيرتب فيذا بوابه

على تاريخه ، وجلب التنبؤ أم على تناسب المعاني فيها ونشا كل الوقائع بها ؟  
وما هذا الذي يطيب للقارىء حتى يقدم له هنيئاً سالفاً ؟ لقد وثقت كتابي الترتيب  
جهد ما اهتمت إليه في حسن التنسيق والتنضيد ، وهو جهد يحسنه  
القارىء ، إذا عرف أن أمثال ما في هذا الكتاب متوارد ينتال على المؤلف  
اثتال المصادفة . وقد يجرئه بها بعد تمام الترتيب ما كان حقه أن يدخل في  
صله ويمر به وضع غيره . وقد يكون التنبؤ أوجه تحير في اختيار  
الأسب لنظمها في بابها . أما اتقاء ما يقدّم ، فحسبي أن تهديني التجربة إلى الاستقاء  
حبس كثير مما استتيت حبساً صدر به حكم الإحساس لا غير : وقد يتغير  
الإحساس في النظر إلى الشيء بتغير الباعث النفسى . ومن أجله شق  
الاختيار عن الإشاء ، هذا من حيث الشكل ، أما من حيث الموضوع  
فكثيراً ما كنت أقرأ نبداً مقتضية : وأسماء مفردة طارئة عن تمام  
التعريف ، ومن حق القارىء على المؤلف المفيد أن يسوق له النافع التام  
وهما يستقصيه ، فإني لما جئت أطبع الكتاب . بدالى هذا البدء :  
خملت من أجله عرق القربة ، كنت أعرض التنبؤ على مصادر عدة  
لعلّى أكل من أحدها نقص الآخر وأصحح من صحيحه تصحيح التاني  
وأعود فأبحث في مصادر أخرى آخذ منها تعاريف الأسماء وما يفيد في  
مسمياتها أو يدل على أصحابها ، وفي هذا التردد كثرت عوار المطبعة  
والذين يطبعون الكتب ويهلون في تصحيحها ، وهو عوار أعود فألفت  
نظر الحكومة إلى تلاقيه ، وإلى القيام عليه قيامة خير العلم وضع لمتعلمين

ولقد فُضِيَ على حب التحقيق أن أرجع إلى كتب التراجم أقرأ  
فيها أصحاب الأسماء الذين وردوا في نبد كتابي فخرجت منها بفوائد ضمنتها  
إليها وأسقطت بها طائفة مما جمعت منها ، إذ تبين لي بُعد التلاقي بين  
الذين كانوا متلاقين فيها بعد زمان أو بعد مكان ، أو كان التاريخ لا يساعد  
على صحة ما نسب إلى من بها . فطوبى لها برغمي فقد كانت في مصنفها بحكمة  
السبك واضحة القصد . ولكنني أقدم هذا الرواية وسرد لوقفة حق  
التاريخ . وأحفظ على شرف الحقيقة وأمانة القراء .

\*\*\*

**اسم الكتاب** سميت كتابي باسم مصدر الكلمة « من » التبعية وهي تسمية  
ضادفة ، لما أخطت بأخلاق العلماء كلها وهي منوع تلاحق الكتب فيه  
ولا تقبله . وسميته باسم « أخلاق العلماء » لأن اخلق في العالم أول ما  
يطلب منه . ولما احتج لكلام حديث العلم وحديث العمل استوردت في  
العلم والعمل وعندي ميل لا يصهار حقيقة العلم والعمل إحصاء يتأخر عيور  
بي العصر المطرودة بعلم العصر ، فعرضت « للتربية العلمية الإسلامية »  
وإذ أقول الإسلامية فإني أعني العربية ، فالإسلام والعربية صنوان عجنتهما  
البوّة المحمدية بماء نزل من السماء لا ينفك أحدهما عن الآخر . وهي بعينها  
التربية التي يسمونها اليوم بالتربية الاستقلالية وهي التربية التي يحمل من  
المرء أمة قائمة بنفسها . وتحمل الأمة كونا متحدا من هؤلاء الأفراد  
يحس كل فرد منها إحساسها ويعمل خيرة ما . وهي لهذا روح بيننا نراه يتأخر  
الفرد بقوته قد مزج المجموع بسره فالحياة للفرد إلا بالمجموع ، وحياة



المجموع هي حياته . وفي المجموع هو همه . والقوة الناجمة من المجموع واصله  
يسرى إلى أفرادها كذا هي كتلة صاعب ميبا الأفراد على حين قيام كل  
فرد في نفسه قياماً خفية في السد بين اشتكى منه عضو تداعى له سائر  
الأعضاء وهو حس أن المجموع كله له . إحساساً سرى في جميع الأفراد  
ومعها به حياء لصحة المجموع . فظهر بهذا سر الحياة الزاكية التي سعد  
العرب بـ درج السماء وألبوا من قوتها أذراتهم على محيط الفضاء ، وقالوا  
للناس وندوهم . اثباتاً للعرب طوعاً أو كرهاً قالنا أننا طائمين ، فمروا  
لدينا لعزهم يستمعوا وأضأ . فأعربت عن اقتيادها وامتنانها . فكان  
من ذلك مثله الذي ربه البروق النجمي . لأننا يحكم لهم بالقبول حتى يدري  
من . وهو رجل أمة واكبوا أو سمعته يدرب أو سمعت منه شيئاً وثلاثة  
يحكم عليهم بالاستفسار حتى يدري من هم . أحدهم رجل سمعته في مصر عرفت  
يتكلم سار . في هذا يقول أبو الريحان البيروني في مقدمة كتابه  
« الحيسب » « المجموع » « أمة أحب إلى من مدح بالعربية » ، وهي

(١) يحب أن يهم القاري . أن فكرة تعريب الأمم وترجمة الشعوب إلى لغة « عربية وإسلام »  
القرآن إنما هي فكرة أساسية لسيادة الإسلام وأصل الأصول في حكمه وسلطانه ،  
وهي الفكرة التي يعبرون اليوم عنها بفكرة السيادة القومية ، وهي معنى لا يمكن  
له دولة تخنوم نفسها وتروم حفظ كيانها وقوتها أن تتنازل عنها أو تتساهل فيها ، ولما  
كان الإسلام ديناً وحقيقياً ، قد رفع الحدود بين الأمم الثلاثي تدوينه ، وكره أن  
يدعى فيها بدموية الخليل ، وحمل أممها جميعاً إحراقاً يذاب مجموعهم كتلة  
واحدة لا فصل فيها العربي على النحس إلا بالقوى ، إذا كان ذلك كذلك ولا بد

الترية التي ترى آثارها في هذا الكتاب فلا ترى إلا علما وعملا وحلقا وورعا ،

للمدح مع البشرية من رابطة تتمسك لها وتمسك بعروتها ، فانه وهو دين التوحيد ودعوته للاتحاد كان لا بد للسلطين من وحدة عامة وعصبة عامة ولسان عام ، وقد نبت الاسلام عربيا ، بعث على لسان رسوله العربي ونزل قرآنه بلسان عربي مبين ، فصيح لهذا أن يمتزج للفرع بأصله ، وأن يتحد الاسلام بالعربية وأن يكون لسانها لسان شعوبه قاطبة ، وقد نجحت هذه الطريقة أتم نجاح ، ومن إحصاء المؤمنين بها عمت ذلك المبسط الأسبوي والأمر بقي إلى حدود حال البريات في أوروبا عموما ، فبما يجب به علماء الاجتماع إلى الآن ، وأصبح لسان العرب لسان الاسلام تتكلم به شعوبه ويرضه أبناؤها الناشئون في عبيدته مع ألبان اللطام ، فشبوا أحرابا يعرفونه كما كان آباؤهم يعرفون المعجمة من قبله ، وقد تقرأ في كتب التاريخ كلمات « العرب » والموالي « وترام يقولون : إن الامجاد قد حملوا لينة العرب وحملوها وقعدوها ، وآثروا في علوم الاسلام بلسان العرب حتى كادوا يبرعونهم فاعلم أن هذا كلام مصطلحي ، والواقع أن المسلمين الذين أعطاهم القرآن لسانه كانوا مسلمين عربيا ، لا فرق بينهم في مساكنهم ، ولا بحسن صيغته ونطقه ولسان البصري وابن سيرين وابن سلام والزهري والفارابي والعمري وربيعة وغيرهم وغيرهم ، لا بحسن أحد من هؤلاء ولا يقول ولا يرضى أن يقول إنه أعجمي بخدمة العربية ، بل لا يدري هذا الاصطلاح ولا يمجسه ، إذا الجميع متساوون كأسان المشط قاموا بما يجب عليهم لدينهم ومن خدمته خدمة لغته وعلومه فعملوا ما عملوا على قسم المساواة وهم شاعرون بما أعزهم به ذلك السلطان الاسلامي والدين العربي ، عزة خربت أممها عظمت الدول من قبله وقد محاهها ومحا آثارها ورسومها وبقي وحده يقول بلسان القرآن « فله المدة والرسالة والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون »

بل انفردت انعمية وحدها دون سائر اللغات بأن جعلت مادة العلم والعمل واحدة (علم) . فلا علم عندكم إلا بالعمل ، ولا عمل إلا بالخلق ، مهم في واه ليكنفي في هذا شهادة الزحشرى من أعلام القرن السابع وهو من أحلاثم فانه ينتج كتابه « الفصل » في علوم العربية فيقول : ( الحمد لله على أن جعلنى من علماء العربية وجبلى على الفضب للعرب والعصبية وأبى لى أن أفرّد عن صميم أنصارهم وأمنازموا بضوى إلى لفيف الشعوبية وأتجار ، وعصنى من منهمهم الذى لم يجد عليهم إلا الرشق بالسنة اللاعين ، والمنشق بأسنة الطاهرين الخ ) وأخذ يهجم على الشعوبية هجمات لو كان فى مكانه يمر ب بن قحطان ما برعه فيها ، وينصر للعربية انتصارات لو رآه معه من عدنان لمدّه فى أعاليها ، ولا تعجب فالام التى قد دخلت الاسلام قد أدّت العرب كثرة فيه وفائدة منه فلا ريب ورائه بالجميع أن يحصى له الجميع ويتواصى به الوارثون أبتمين أبصين

على هذا مرّ إثنا عشر قرناً لم يفكر مسلم أن يترجم القرآن ، وعلى أساس هذه الفكرة دخل رئيس وزارة بريطانيا مؤتمر المصلح العالمى عقب الحرب الكبرى ، وهو مؤنزر بقوة دينه ، فتجاهل أمام المبحرين لعنه وهى لغة فرنسا لغة السياسة العالمية ، فما كان منهم إلا أن استمروا العزة بريطانيا وقرروا لسانها لساناً رسمياً يزاحم لسان السياسة العام ، وأصبحت الانكليزية من ذلك اليوم لساناً تعرفه السياسة وتتخاطب به فى سائر أنحاء الدنيا ، وكذلك كل العرب الأقوياء ، فرضوا بآرة سلطانهم لغة لسانهم فبلغ بريرة لغات الشعوب والأمم ، إلا بقايا أمة منها ظلت الهياكل والمعابد تترنم بها - وهذه خاصة صحابة جعلها الله للسلبين ، وحدّ دينهم وجنسياتهم ولغتهم فرطهم بعصم لافكك لها سموا بها الى السماك وغلبوا بجوتها الدنيا ، حتى إذا جاء أمر الله ونسى المسلمون الآخرين سرّ تقدم المسلمين الأولين عادت تلك الحروف الأعجمية تقبت وتظهر وعادت لها ألسنة الشعوب تتكلم بها

هذا وهم المسلمون قد جعلوا الثلاثة واحداً : ومن ههنا الواحد انتشر  
دين التوحيد وحققت كلمة صاحبه ليظهره على الين كله

وتتخاطب حتى حيت وانتشرت ، وقطعت الوحدة العساة بين المسلمين ، وكادت  
تفهم راحة النظام الاسلامى ، وزادت الحال محرواً من عى قلبه على القول بترجمة  
القرآن وعبادة السارى بللى لم تدل به على رسوله ادى شرعها ، . الحسنة انه  
أهمره الحق أن يظهر ترجمته ولو أظهرها لما كانت وان تكون

وهذه ظاهرة غير خافية على من له أدنى إلمام بسياسة الاحتماع ، وعلى خدما  
يمجرى اليوم امس المنوبين الخاطئين يقدون على صلال ووجههم من سجين ، يريدون  
أن ينفخوا في أنهم نمرات تتميز بها وتقرى ختهم ، فهم يهودون الى حدود الدقاب  
يقبلون شعورها من كلمات ينطقونها ، ومصطلحات يصممونها يريدون تمام الانفصال  
وأن يرسوا قواعدهم على أرض تخصهم ولا شبر فيها لغيرهم : وهكذا حال  
الاستعمار فطابق المسكنها في الشعوب شكاك تحيدها ، تحايل لايمانها ، والله سائى  
الربح من البهر ونى حيث يقول :

« دينا والدولة هر ميان نوأمان ، برورف على أحدهما القوة الإلهية ، وعلى  
الآخر اليد السماوية » ، وكم احتشد طوائف من التوامع وخاصة منهم الحيل والديلم  
في لباس الدولة جلايب المعجزة ، فلم ينفق لهم في المراد سوق ، وما دام الأذان  
يقرع آذانهم كل يوم حماساً ، تقام الصلوات بالقرآن للمعنى المبعين خلف الأئمة  
صفاصفاً ، ويخطب ، لهم في الجوامع بالاصلاح ، كانوا اليمين ولهم ، وحبل  
الاسلام غير منفهم ، وصحة غير مشتم »

وقد رأى المسلمون عاقبة ما فرطوا في حبس الاعتزاز بهذا التوحيد المهم ،  
تبلبلت ألسنتهم فتمزقت القتم مذهب ربحهم ، وهكذا حتى دعرع الأساس  
وزلزل البنيان ، والله المستعان

هي الحرية الاستقلالية التي جعلت من الحجاج معص الصبر العربية  
بالرغفار كما تسيّر بد كره الركبان - ومن حمامة المسجد عبد الملك بن  
مروان حليفة يخضع له الرمان ومن حامل الحطب على رأسه معز  
الدولة بن بويه دكن دولة آل بويه ومن احسن بن محمد النقال وقد  
اشتدت عليه الضرورة وأُتخ الهقر :

ألا موت يباع فأشتره فهذا العيش مالا خير فيه

حرج لودير المهلب الذي زان التاريخ بالاحسان . وزميله ابن هبيرة  
لا يجد معه ما يعدي به دجلة فتعدي تربيته إلى رئاسة الوزارة - ومن  
المهلب الاردى . وقتيبة الباهلى والقاسم النقى لهواد الثلاثة الحقيقية  
لا هرسان . سكندر ديماس اخيائين ومن الشعب بالسيالة  
يخرج السيد الجبرى أحد الشعراء الثلاثة الجيدين في الإسلام الذين  
لم يحصر لهم ما قالوا لكثرة . وحامل زاملة لمختين الحزف ابن الحجام  
هو أبو العتاهية شاعرهم الثانى - ومن خادم الحائك بدمشق طلم  
أبو تمام رب ابلاغة والكلام - ومن الكاتب باجيش إلى أن يكون  
هو خالد الكاتب الذى لا نظير له بين أرباب الاقلام - ومن لص يتشطر  
ويصحب الصعاليك والاد برص فينقبون ليلة على رجل فاذا فيها أخذ من  
ماله جزء من شعر الألبار يقرؤه فهو يستجيبه فيطلب الادب والشعر  
وأيلم الناس ولغات العرب ويكون حماد الراوية الذى تصب به الأمان  
- ومن قاطع الخجر بأبي عيسى يعنى على عمله فيجتمع له فتیان مكر ويقومون  
بوظيفته لقاء ما يغنيهم . ويحيته أميرها الحارث بن خالد فيشبعه ويخلع  
عليه فاذا به قد صار «الهدلى» المعنى . ويذهب إلى ابن سريج ويكتبه تاريخ

في أوائل المغنين بالإسلام - وعبد مملوك لعاتكة بنت شهدة من مغنيات  
البصرة المحسنات ، جزّار يبيع اللحم في الأسواق وينادي عليه ولده الصغير  
فاذا بان طيب صوت الولد أخذته مولاه فعلته وبعثت الخليفة الرشيد  
فاستراه فهو محارق ، رأس من رهوس الموسيقى البرزين في بغداد ،  
وظاعن إلى الأندلس يتفرد فيها بالرياسة ويزيد اللود ويزال في أوتاره  
الخمسة إلى هذه الأيام - وإسحاق الموصلي المعنى ، يؤهله علمه بالفقه لأن  
يتزاي بزى أهله ويدخل على الخليفة يده في يد قاضي القضاة ، ويمكنه علمه  
بالعربية إلى أن يضع الأسمى ويرفع أبا عبدة : وبحيثه ابن الاعرابي  
النادرة فيلزم داره وهو ينشد لمن يلقاه :

نحمل أشباحنا إلى ملك      فأكل من ماله ومن أدبه

وبعده صنع من المعنى المتبحر أبو بكر الرازي رئيس الأساء ببغداد - ومن  
ابن الشرطي الشرحي بحرح عمرو بن عبدة عالم الخير الكبير - ومن مؤدب  
الغلام لشارع بشر وبشير في بغداد : ابن العبد الرومي في هراء . يخرج القاسم  
ابن سلام جبل النور والببل الذي كرم الوزراء الكريمين أبادلف وأبن  
الحسين فحمل ثلاثين ألف دينار يحارب بها في الثغر ، فهو يعمل مؤدبا  
ويعمل محاربا ويعمل موظفا ويعمل مؤلفا ينعم الناس به ثمرة من ثمار تلك  
التربية التي أخرجت مثله ثمرات وثمرات أينعت في الحقب الخاليات

مربية للنساء      وهي التربية التي تطبع على غرارها نساؤها فيكون لبيت السبط

صالون محجب يقصده أهل الأدب ويصدرون عنه بالمد ونبيل العرب  
ويدعو الخليفة هشام شيوخ بني أمية أن يسمروا عنده إذ حاته عائشة

بنت طلحة فلا يذكرون شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيامها إلا  
 تفاضت معهم فيه ولا طلع نجم ولا غار إلا سمعته ووصفته - وأبو مسلم  
 الفراهيدي المحدث يكتب عن سبعين امرأة ، فالحرائر والامه استبقن  
 في ميدان هذه الترية حتى كانت شهادة الكاتبة تقعد للتحديث في القرن  
 السادس وهي صاحبة السماع العالي ، ألحقت فيه الأصغر بالأكبر بعد  
 صيتها وسمع عليهما الخلق الكثير - وبقي هذا الأثر في نساء الإسلام  
 حتى بدء القرن العاشر الهجري فترى الشيخ السيوطي يختم كتابه « بنية  
 الوعاة » بمسلسلات قرأ منها على الأصيلة الثقة الخيرة الفاضلة الكاتبة  
 أم هاني بنت الحسن الهوديني . وعلى هاجر بنت محمد المصرية - وآخرته  
 الشيختان المسندان أم هاني وأم الفضل بنت محمد المقدسي - وقرأ على  
 الأصيلة نشوان بنت عبد الله الكسائي - وآخرته كالية بنت محمد بن  
 أبي بكر الجرجاني - وأنبأته أمة الخائق بنت عبد اللطيف العقبي -  
 وآخرته أمة المزيز بنت محمد الأملسي - وهطمة بنت علي بن اليسر  
 مشافهة بالفسطاط - وخديجة بنت أبي الحسن بن الملقح الحيد السطط  
 من الأقار كانت تزدان به ديار الإسلام في جميع الافطار زينة قدر وزينة  
 خدر مما كان لهذه الترية أثره الباقي إلى ذلك الزمان

وهي ترية في الحرية لا تكاد تكون لها حدود ، فصالت على أصل ترية الحرية  
 الأدباز وعلى أصل الإنسان ، وشبت عن الطوق فهي مطلقة في الشيخ  
 وفي الطريقة وفي الرأي . وفي المذهب والعقيدة ، وإذا وصل إلى هذه  
 النقطة فإننا نساجل جميع الأمم في هذه الدنيا إن كل عندها مثل ما عندنا

من حرية الرأي والمذهب . حتى عزّت انداهب أن تحصى ، وأحصيت  
الأقوال في بعض المسائل فوصلت إلى سبعين : وعدّ بعضهم في بعضها  
أكثر وأقل . وهذا كله أثر من آثار جودة هذه التربية ونماء زرعها في  
تربة الاسلام الذي شجّعها حتى نصّ الفقهاء أن الكلمة إذا خرجت من فم  
الرجل تحمل تسعة وتسعين وحاً للكفر ووحداً واحداً للإسلام فإنه  
لا يكفر بها . ويعلمون الواحد على التسعة والتسعين تغليباً لمصلحة هذا  
الدين . ولم يجبروا على عالم في مذهب من مذاهبه إلا ما نصوا عليه من  
الحجج على «الفتى الماجن» وهو الذي يعلم الناس خيل لباطلة ليخرج بها على  
شريعة المجتمع . وهذا ليس حجراً على العلم ولكن حجراً على فساد الناس  
بفساد العلم . وقلب ما نشأت من صحائف كتاب التربية الإسلامية فأثرت  
رأه فيه آخر ما يتبعجح بأشبهه علماء اليوم . حتى الرجل وطريقة البحث  
والتحليل والمدرس المعبد . . . و . . . هي طريقة التربية في الإسلام .

**التربية العملية** وهي التربية العملية التي كان صاحب هذا الدين قدوتها بشأنه به  
أهلها أسوة حسنة ، إذ نصب همه الشريعة فيها أحسن مثال لمن اتبعه  
بإحسان . فهو وقلبه بحر من العلم اللدني . عامل بيده ولسانه في جميع  
مجالات العمل داخل داره وخارجها . في السلم وفي الحرب . وفي المنشط  
والسكون والحاضرة والبادية . لا يمتزج على أصحابه . ولا ترونه إلا كرجل منهم ؛  
يده بأيديهم ، ورأسه بين الرؤوس في طبيعة الحشوف . ولو جئنا نضرب  
الأمثال الشريعة لهذا العمل الشريف خرجنا عن موضوع الكتاب . وإنما  
نحن هنا نشير إلى رموس المسائل ، وحسننا هذا التلخيص لا على ما هو



الكتب في هذا لقاء . فنقله من كتاب نهابة الإمام في سيرة ساكن البحار .  
 « كان عليه السلام في - فر قامر بإصلاح شاة - فقال رجل يا رسول الله  
 على دبحها ، وقال آخر على - لخبها ، وقال ثالث على طبخها ، فقال عليه السلام :  
 وعلى جمع الحطب . فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك ذلك . فقال قد علمت  
 ولكني أكره أن أتميز عليكم . فإن الله يكره من عبده أن يراه متبذراً  
 بين أصحابه . وقام لجمع الحطب »

ولقد اتبع المسلمون هذه النسبة العملية ، فتمهّدوا ملكات العمل  
 في بيهم وحصلوا تربية الا-تقلال ، فنشأ المايتون يتفهمون بها ،  
 ويصاحون لكل عمل يتولونه ، فرى طبيباً يتولّى العمل في استئشى  
 الع-كرى الذى كان يحمل على أربعين دنلا في القرن السادس ، ويتولّى  
 الفصادة به أيضاً ، فاذا هو قد صار قاضى القضاة في بغداد أيلم المقتنى  
 وهو القاضى ابن المرحم يحيى بن - عبيد المشهور - وأبو على بن سيماء يننا  
 هو برّ من الأطباء ، إذا به يناظر الفقهاء ، بناه يؤلف في الأدب واللمة ،  
 ويصحّ الأدباء ، ومن بين هذا يتولّى العمل في إحدى الحكومات ثم يتقدّم  
 الوزارة ويعزل ويتور ويتولّى وهكذا من أعمال الدنيا - وسعيان الثورى  
 المحدث يسافر في تجارته . وأبو حنيفة المجتهد يقعد في دكانه - وحمزة بن  
 حبيب لى يقرأ الم-لمون إلى اليوم القرآن بقراءته ، قيل له « ازيات » .  
 لأنه كن يحلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ويحلب من حلوان إلى  
 الجوزة إلى الكوفة - وأحد بنى صديقنا العالم الدكتور حمد بك عيسى  
 أنه جمع تراجم لأكثر من ثلاثين طبيباً كنيا محدّثين - وبيننا ترى ابن

المبارك متبتكاً مع الملوك إذا به متردلاً مع العلماء ، إذا به شاكي السلاح في صفوف القتال - وبُسر بن أرطاة الممدود من فطاحل العلماء هو معدود أيضاً من فطاحل الولاية - وأحمد بن حنبل يعمل بيده ويخرج بالقدم فيصلح منازل السكان . وهكذا ظل العلماء يعملون بأيديهم لِدولتهم ولأنفسهم ، فيجدي القرطبي العالم المشهور في الشرق والغرب . كان إذا فرغ من درسه جاءه رجل بشيء ملفوف فوضعه أمامه ويقوم الشيخ به ويتبعه راوي الخبر فإذا به درخة مسموطة يشتريها السوق للشيخ كل يوم وقد كآفه بها ، فإذا خلا بداره طبخها بنفسه وهياًها . وقد بقيت هذه الشئشنة العملية معروفة في العلماء ، فأخونا القاضي العاضل محمد أحمد حافظ يروي لي أنه كان جارك للشيخ « الشريفي » يراه كل يوم يخرج القمامة من داره . ويهيء حماره يده ويعلمه فيركبه إلى المسجد ، وكذلك حدثني المرحوم يوسف بك المويلحي عن العالم المرحوم الشيخ « النجدي » أنه كان يقضي حوائج منزله بيده

لدرية الاخلاقية وهي الترية الاخلاقية التي سمينا كتابنا باسمها ، وصدرناه بأثرها .

إذ كانت الاخلاق هي لبّ لباب العلم وروحها وما يرجى منه ، وبالاخلاق نبني الممالك ، وعلى أساسها يرتفع ذووها وطاهرة الاخلاق في الترية الإسلامية هي الطاهرة اللامعة من قطارها . وكفى بصاحب هذا الدين أن يحصر بعنته في إتمام مكارم الاخلاق ، وأن يضع الحق تعالى على رأس شهادته لمبده قوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ - والاخلاق هي البقية الباقية لما يرجى من العلم ، والهدف العريض لبعثة الرسل والانبياء ، والمحور الثابت لسير المجتمع إلى مستقر الصلاح . وإنها

لصفحة مشرفة تلمع بها التريّة الاسلاميّة ، ويسير القلم في أنحائها ، فيعد منها المرر الواضحة والمثل العليا في سلفنا الصالح ، ذاتوا بها نفوسهم فريست بهم الدنيا . وطلّموا بها ثموساً أصابت لهم كنوز « بصرى » وحووا بعضها هذا الملك المريض الذي سوره بسور حصين من أخلاق هذا الدين . حتى إذا قر في صدر الخلف نبضه . دخلت الأمم عليهم من أقطارهم وانتصوا أطرافهم ، وأخذوا يحزمون المحلّين فيه حزم السام ، ويعبثونهم حبط الورق تنحّات من أغصانها وقد ذلت وتهشمت فهم في أمر مريج

ولقد يحس إلى أن التريّة الاخلاقيّة تمكّنت من أسلافنا تمكّنا طنفت أنهم قد غيروا الأحكام من أجلها ، فقد مرّ عليك في ( نبذة ٢٦٥ ) أن ابن أبي دؤاد حمل كفارة الخنث في اليمن على الخليفة الواثق مائة ألف دينار ، ولما قيل له في هذا ، أرام مناط حكمه من عزّة الخليفة في خوف الله فأمرده بهذا الحكم البتدع - جرى هذا في الشرق ومنه جرى في الغرب أيضاً مع محدث الأندلس وداوينا يحيى بن يحيى النيشي ، ففى كتابه قمع الطيب ، أن أميرها عبد الرحمن بن الحكم ، جمع الفقهاء في قصره ، وكاب وضع على جارية من جواريه يحبها في رمضان ، ثم ندم أشدّ ندم ، فسألهم عن التوبة والكفارة ، فقال يحيى : تكفر بصوم شهرين متتابعين ، فلما بادري يحيى بهذه الفتيا سكّت الفقهاء حتى خرجوا فقال بعضهم له : لم لم تقم بمنهه مالك بالتخير ؟ فقال : لو فتعنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة . ولكن حملته على



كنت صدقتي . ليرثن ما تحت قدمي هذين . وأما عين رستم ، الفارسي فقد انغمس في المسلمين في القادسية كيعض من قدامهم ، فرآهم يستأكون عند كل صلاة ثم يعللون فيصرفون الى مواضعهم ، يرجع إليه فأخبره بحرفهم وسيرتهم . حتى سأله ما طعامهم ؟ قال مكثت فيهم ليلة لا والله عارأت أحد منهم يأكل شيئا إلا أن يصروا عيداً لهم . حين يمسون وحين ينامون وقيل أن يصيحوا . فلما سار . دزل بيننا وبين الخندق والعتيق . وافهم . وقد أذن مؤذنين الغداة . فرآهم رستم يتحششون ، فنأدى في أهل فارس أن اركبوا . فقبل له ولم . قال : أما ترون إلى عدو ؟ قد خردى فيه فتحششوا ؟ فقال جاسوسه : إنما تحششهم هذا للحيلة ؟ فقال بالمارسية وهذا تفسير بالعربية . أني صوت عند الغداة ؟ وإنما هو صر الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل ؟ فلما عبروا وتوافوا وأذن مؤذن . سعد بن أبي وقاص للحيلة ؟ صلى سعد ؟ قال رستم : أكل صر كبدى . بن جرير . . وقد صدق رستم ، فان التربية الاسلامية وقد قامت على قواعدها الصحيحة : أوتيت معلمين صحابا . وقادة محاصرين ، ومربين رأوها حقاً فكانوا فيها مثل حقها أحدهم منهم من أحاط بهم ، وتذكر حثها فيهم . فكانت البيئة كلها بيئة حق مدمجة صلبة لا ينفذ فيها الباطل ولا الهن . ومثل هذه البيئة نبت أكل الأكياد المبطلين ، وشاربي دماء الضالين . وهي وسط البيئات الفاسدة تخططها وتهشمها وتذروها في دبح عاصف ، ونسود أصحابها وتستولي على أمكتهم . وهذا سر واضح ، منه كانت الهبة الاولى لاقتشار الاسلام . وقد طل قائما

بقواعده تلتج جذوره على أنواط القلوب ، واستحوذت عقيدته على  
 ثنایا النفوس . فتناست الذرية وقد ولد المسلم مسلماً ، حتى كانت القرون  
 الوسطى وفيها أعيد امتحان هذه التربية مرة أخرى على أشد ما يكون  
 امتحان وأصعبه . نسل التتار على المسلمين من كل حدب في الشرق .  
 وخرج الصرخة عليهم من كل مملكة في الغرب ، وكن المسلمون إذ ذاك  
 قد تمزقوا شيعاً وتفرقوا دولا . ولكن المسلم بقي هو المسلم صاحب هذه  
 التربية الاستقلالية ، وولى العقيدة الإسلامية التي تقيم من الفرد أمة  
 يجب عليه أن تدفع بنفسها عن المجموع أيا كان صاحبها . فهب الفرد  
 المسلم هبة صارخة من أعماق كل قلب مسلم ، فكانت مظاهرة أخرى  
 حشدت فيها التربية الإسلامية أبناءها ، فأخذوا يدفعون صدور أعدائها  
 صدرا صدرا . كما كانوا على ميعاد . وكانما وحدة الخلافة الأولى  
 لم تنعم عروتها ولا تمددت ألويتها . إذ كان داعي الدين قائما يصرخ  
 في قلوب كل مؤمن ، فما هي إلا قرون طين المسلمون وأعداءهم يعتلجون  
 فيها ، ثم كانت العاقبة لتربية المسلمين . لووا التتار . فمنهم من تسلّم ،  
 ومنهم من تسلّم ، ودفعوا القرنجة فركبوا رؤوسهم إلى بلادهم ، وركبوا  
 هم على أفئدتهم بالسيف إلى أواسط أوروبا . وهنا يقول « المؤلف » كلمة  
 الحق ولا يبالي في أمة تستولى اليوم على الدنيا ، ولا تغيب الشمس عن  
 أملاكها هي أمة الانكليز ، أقول : كأنما نسخ الانكليز عن المسلمين كتاب  
 تربيتهم ووقفوا عليه وعملوا به فنعصوا بما نصح به أصحابه من قبل « ولن نجد  
 لسنة الله تبديلا . ولن نجد لسنة الله تحويلا » إلا أن هناك موقفا كثيرة

أهمها (١) أن المسلمين لما قاموا بدعوتهم ، ملكوا ما حولهم ، وأخفوا العرب والترك  
يزيدونه ويوسعون ملكهم ، حتى تنظم رقعة من بلاد الله هي بمجم القارات  
الثلاث ، لا خلال فيها لغريم ، ولا ملك بها لغريب ، أما الإنكاز  
فأملاهم قاصي وأطراف تقصوها ، ووقفوا على ما غفل عنه أهلوه  
فهو ملك منتشر منتشر (٢) والعرب أسسوا ملكهم على دعوة دينية جاء  
بها نبيهم : أسسها الخير والصلاح ، من دخاه كل منهم : ومن أنى وعاهد  
تركوه حراً في معتقده ، وربطوه بذمتهم ، فأخوه وسادوه وقالوا لهم  
« لكم مالنا وعليكم ما علينا » وصدقوا فيما قالوا . فإذ تقرأ أسماء موطن  
الحكومة الإسلامية ، ترى بينها كثيراً من أهل هذه الدمة ، وقوافي  
درجات الدولة حتى تستوا غاربها ، وعلمهم فيها كعمل المسلم سواء . بسواء  
الحق يقابل الواجب ، مما يبين خير هذه الدعوة ، وأنها ليست دعوة  
ربح ومادة (١) . إنها هي دعوة أدب وإصلاح مجتمع (٣) أن المسلمين فيما قاموا

(١) روى البلاذري قال : بلني أنه لما جمع « هرقل » المسلمين المجرع ،  
ولمع أسلمين إقبالهم إليهم لوقفه « القيرموك » ودأوا على أهل حصص ما كانوا  
أحدوا منهم من الخراج ، وقالوا قد شغلنا عن مصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم  
فقال أهل حصص : أولاً بكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والعشر  
واندفعن حرد هرقل عن المدينة مع عاملكم ، ونهض اليهود فقالوا : والنزوات لا يدخل  
عامل هرقل مدينة حصص إلا أن مطلب ونجيد ، فأعلنوا الأبواب وحرسوها ،  
وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا : إن ظهر الروم  
وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه ، وإلا فإننا على أمرنا ما بقي للمسلمين  
عدد ، فلما هزم الله لأحكفرة وأظهر المسلمين فتحوا مدتهم وأخرجوا المقلبين  
( التقيس استقبال الرلاة باصاف الله ) فلبسوا وأحوا الخراج

به ، أدخلوا دعوتهم قلوب المدعوين سواء منهم من آمن ومن طاهد ، أما ملك المستعمرين ، فلا دخل له بالقلوب ، وموقفه لا يزال عند الحدود يوشك إن أعاد الله الروح في تربة الإسلام أن يعود لأبنائها عز هاتيك الأيام ولا شك أن تنطب دعوة السماء دعوة الأرض ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، غير أن الاجتماع له نوايس وقوانين تسرى فيه بأحكامها ، ولا يدخل عليه إلا من أبوابها ، فريدوا الانتفاع بسنته ، عليهم أن يتبعوا آثار سنته في تطالب النفع بها ، وفي توجيهها إلى خيرهم ، وهذه سنة إلهية ، ماضٍ حكمها ، نافذ على المسلم وغير المسلم ، لا مرد له ولا نقض فيه ولا إیرام - إن إنكتر الم تتحد أفسادها إلا أخيراً وقد مكنت تربيتها هذا الملك الكبير ، ولو أنه قيس عما كان للمرب في أول أمرهم وفي عز اتحادهم لسكان الفرق كثيراً ، ولكن هم على ما يقول النبل العربي « المرق أحد اللعين » - ولما ترجم المرحوم أحمد فتحي زغلول بأشأ كتاب « آدمون دى مولان في سر تقدم الاسكندر السكسونيين » ، قرأته ، فرأيت صاحبه الإفرنسى ، بحث تربة الانجليز ، وتريات أمم أخرى ، بحث ذى نظر إجتماعى ، مبنى على الشواهد والامتل ، وخرج من بحثه بحكم أصدوه للانكيز السكسونيين ، أن تربيتهم هي صاحبة النصر على التربة الأخرى ، فلما وقعت الحرب الكبرى وتمت بالنصر للانكيز وحلفائهم كدت أقول : إن النصر في هذه الحرب ، قبل أن يكون نصراً للسيف ، كان نصراً لقيم آدمون دى مولان صاحب النظر الصائب الذى اخترق الحجب قبل الحرب بسنين ، وعرف قبيحتها قبل أن تحطّر لأحد



ولقد جعلت كتابي هذا نبذاً من منثر الكتب ، حشدت فيه يد الكتاب  
 الشاهد والمثل على تربية الامة الاسلامية وقد اضطلع للعلم بأعيانها وقام  
 بتهيئته على سواى الخلق والصل ، فجمعل منها ما طافا لثرية  
 الاستقلالية ، يستظل به أبناءها ويعتمده رجالها ، واختصت من  
 أبناء هذه التربية طائفة من العلماء فى متعالم منها . إذ كان العلماء هم  
 القوامين عليها . فان صدقوا فيها صدقوا فى متعلميهم ، فكل الكتاب  
 مرضا جلياً ينظر القارىء منه صور هذه التربية ووقتها ، فى حوادث  
 وقعت ، وأمور تمت ، كما يشاهد المصور واضحة على شاشة الخيالة  
 فتصل إلى غمه ، وترسم على غيظته ، بحلاء ووضوح يبقى أثره . ويقع فى  
 القلب صدقة تذكركم لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وفيما لما  
 أخذ الله على أهل الكتاب أن يبينوه للناس ولا يكتمونه ، هو صرخة  
 إلامية تشجع أصواتها من شتى النواحي فى بوق هذا الكتاب لتقع  
 فى أذن القارىء فلا حاجب لها عن القلب ولا حاجز دونه عن العمل .

وقد قصدت برعا من وقائع التاريخ فوق ما ذكرت أن تؤدى  
 دلائلها وتقوم بدلائلها . فسمى المؤلف عن سوق المصح وفرع الأذان  
 اد كل المؤلف لا يعلو عن القارىء فى هذا المجال . وكما أن النفوس تنقز  
 من إلوعط ، ويزور أصحابها عن لافيتهم ، فقد جيت أيضاً على الليل لى  
 التقليد والرغبة فى صدور آثارها عنها كاملة كأنها قدوة فيها ومثل .  
 وفيما ذكرنا من وقائع العلماء وما روينا من آثارهم إحتث لالنفوس على  
 التأسي بهم والسير فى منهاجهم ، وقد رأينا أن تنقل عنهم كما وقع  
 وافق ، لم تنقص الأفاذ والمباعدة ، وإتما جتنا بالأوساط ومن فوقهم ،

وهم بشر مثلنا فلا رب كل عملهم أدعى إلى عيرة القارىء أن يكون  
منهم وأن يعمل مثلهم وفي هذا بلاغ لقوم يعقلون ، فما تحبب الدنيا إلى  
العافل ، لا لتكميله ، وفي هذا يقول سيدنا عمر : « لولا ثلاث في الدنيا لما  
أحببت البقاء فيها : لولا أن أحمل أو أحجز جيشاً في سبيل الله ، ولولا  
مكابدة الليل ، ولولا محالسة أقوام يذنبون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب  
التمر ، لما أحببت البقاء » فهذه ثلاث سيدنا عمر « الخلق والعمل والعلم »  
هى التى حببت البقاء إليه فيها : وهى ثلاث هذا الكتاب اللاتى وضعناها  
ودعونا قراءه إلى حبها ، وأقنا البرهان على فضلها ، وجعلناها آية ومثلاً  
للآخرين على عز وتقدم الأولين

واتدعته في تركيبه محكماً ذا نبت مرققة ، في أبواب منظمة ، على  
مناسبت ملثمة ، ونسبت كل نبتة لعدد أعداها غير محمم بالمشبه ،  
ولا شاعط بالقارىء . موضعت رفم العجيفة وعدد اجزءه حتى تسهل  
المراجعة ويعتدق للمصنف

والكتاب وهو هذا النمل . ليس من جنس التجار يعمدون الى  
المصادر المعروفة فيوسقون ويحلبون . إنما هو من طرف السائحين ،  
وركاز الرائدن . واشتاه المتبحرين ، وآية المتوسمين ، نظامه نظماً : أما  
به قين : وينتقى الخالصة عليه أستمعين . ورحمت وحى لذي فطر السموات  
والارض حنيقاً وما أما من الشركين . قل انى صلاتى ونسكى ومحياى  
ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين

## فهرست الكتاب

موضوع	صفحة	موضوع	صفحة
٦٦-٦٧ تكلم علماء الأدهر	٦٦	٣ إهداء الكتاب لأبي المؤلف	٣
١١ باب صبرهم على طلب العلم -	١١	٤ كلمة المؤلف لولده	٤
١٢ وفيه:	١٢	٥ الفاتحة	٥
٦٩ طلب يحيى النحوي العلم بعد أن	٦٩	( تلخيص كتاب الأجرى )	
كبرت سنه		٨ في العلم وفصله والحاجة إليه	٨
٧٠ أصل الشافعي	٧٠	٩٠ ما جاءت به السنن من فصل العلماء	٩٠
٧٤، ٧٣ اشتد انفعال الواري في الكبر	٧٤، ٧٣	٩٤ أوصاف العلماء	٩٤
٧٥ سطر القصص على علم الغرالي	٧٥	٩٥ العلم إذا عرف بالعلم	٩٥
٧٧، ٧٦ المحمدون بمصر	٧٧، ٧٦	٩٦ المناظرة	٩٦
٧٨ حديث جابر الذي دخل فيه شهرا	٧٨	٩٧ أخلاق العالم في بيته وبين الله	٩٧
٨٩، ٨٠ علماء الأدهر	٨٩، ٨٠	١٠٠ أخلاق العالم الجاهل	١٠٠
١١ باب شغفهم بالعلم وأداء	١١	١٠٣ العلم من المعلومات	١٠٣
١٢ واجبه - وفيه:	١٢	١٠٤ العلم يقول لا أعلم	١٠٤
٨٢ كتاب هر وصاحبه مجلس الرسول	٨٢	( من أخلاق العلماء )	
٨٣-٨٥ اشتغال أبي هريرة بالعلم	٨٣-٨٥	١٠٦ تكلمهم - وفيه:	١٠٦
٨٧، ٨٦ نساء الأصغر	٨٧، ٨٦	١٠٧	١٠٧
٨٨-٩٠ شغل معاذي بالعلم ووصايته تلميذه	٨٨-٩٠	١٠٨-١٠٩ تكلم علماء الصحابة	١٠٨-١٠٩
٩١-٩٢ شهرة الشافعي بالعلم وبجمله	٩١-٩٢	١٠٩ انتقال العلم إلى الأصغر	١٠٩
٩٧ كتب ابن جرير في التاريخ والتفسير	٩٧	١١٩-١٢١ أصحاب أبي حنيفة	١١٩-١٢١
٩٨ قلعة عن ابن النفل	٩٨	١٢٠ الحالة المصرية	١٢٠

بقة	الموضوع	بقة	الموضوع
٩٩	حل ثابت للطبيب دواء الجزار	٩٩	وَأَمِلَ فِرْقَةَ السَّادِ
سنين		١٠٠	٩٩٩ مَنَادَةُ ابْنِ هَدِّ السَّلَامِ فِي مِصْرَ
١٠٠	كَلَامُ فِي الْأَرْحَرِ	١٠٠	وَالْقَاهِرَةُ عَلَى خَمْسَةِ فِي فَنَاءِ
صفحة ٥٩	بَابُ تَضَعِيَّتِهِمْ - وَفِيهِ :	١٠١	مِلْحَةُ بَابِ إِشْفَاقِهِمْ مِنْ حَذْلِ أَمَانَةِ الْعِلْمِ
بقة		١٠٢	بَابُ صَدَقَتِهِمْ
١٠٢	إِشَارَةُ ابْنِ الْأَثَرِ الْمَرْضَى عَلَى الْعَاقِبَةِ	١٠٣	٨٩ بَابُ تَحْرِيزِهِمْ مِنَ الشَّيْبَةِ وَنَحْوِهَا :
١٠٣	تَرْكُ السَّيْرِ عَلَى لِحَافِهِ	١٠٤	بِقِطْعَةِ الْقَانِصِ قُوَّةَ وَزَوْجَتِهِ حَفِيزِهِ
١٠٤	عَنِ ابْنِ الْقَهْطَانِ فِي تَبْخِيرِ كَتَبِهِ	١٠٥	١٧٥ الْفَائِزُ وَهَدِيَّةُ الرُّطْبِ
صفحة ٦١	بَابُ مَرَاتِحِهِمْ - وَفِيهِ :	١٠٦	مِلْحَةُ بَابِ قِنَاعَتِهِمْ وَاسْتِثْنَائِهِمْ بِالْأَيَّامِ
بقة		١٠٧	١١٢-١١٩ مَرَاةُ الصَّحَابَةِ
١٠٧	١٢٠ ابْنُ هَدِّ السَّلَامِ وَأَصْحَابُهُ	١٠٨	١٢١ مَرَاةُ ابْنِ هَدِّ السَّلَامِ فِي حَقِّهِ
١٠٨	١٢١ مَرَاةُ ابْنِ هَدِّ السَّلَامِ فِي حَقِّهِ	١٠٩	١٣٢ ابْنُ الْقَهْطَانِ وَالْأَطْلَسِ
١٠٩	١٣٢ ابْنُ الْقَهْطَانِ وَالْأَطْلَسِ	١١٠	١٣٤ مَغِيْبُ ابْنِ أَكْنَمَ
١١٠	١٣٤ مَغِيْبُ ابْنِ أَكْنَمَ	١١١	١٣٦ نَشَاءُ ابْنِ حَنِيفَةَ
١١١	١٣٦ نَشَاءُ ابْنِ حَنِيفَةَ	١١٢	١٣٧ نَشَاءُ ابْنِ يَوْسُفَ
١١٢	١٣٧ نَشَاءُ ابْنِ يَوْسُفَ	١١٣	١٣٨ نَشَاءُ ابْنِ الْمُبَارَكِ
١١٣	١٣٨ نَشَاءُ ابْنِ الْمُبَارَكِ	١١٤	مِلْحَةُ بَابِ أَمَانَتِهِمْ - وَفِيهِ :
١١٤	مِلْحَةُ بَابِ أَمَانَتِهِمْ - وَفِيهِ :	١١٥	١٤٦ رَوَايَةُ ابْنِ الْقَهْطَانِ عَنْ ابْنِ هَدِّ السَّلَامِ
١١٥	١٤٦ رَوَايَةُ ابْنِ الْقَهْطَانِ عَنْ ابْنِ هَدِّ السَّلَامِ	١١٦	مِنْ مَعَهُ
١١٦	١٤٧ امْتِنَاعُ ابْنِ حَنِيفَةَ عَنْ اقْتِدَائِهِ	١١٧	١٤٧ امْتِنَاعُ ابْنِ حَنِيفَةَ عَنْ اقْتِدَائِهِ
١١٧	١٤٧ امْتِنَاعُ ابْنِ حَنِيفَةَ عَنْ اقْتِدَائِهِ	١١٨	امْتِنَاعُ الْأَمِيرِ الْأَمِيرِ
١١٨	١٤٨ نَشَاءُ الطَّبِيبِ حَبِيبِ بْنِ إِسْحَاقَ	١١٩	٢٠٥ الطَّبِيبُ ابْنُ صَاحِدٍ بَيْنَ الْحَلِيفَةِ
١١٩	٢٠٥ الطَّبِيبُ ابْنُ صَاحِدٍ بَيْنَ الْحَلِيفَةِ	١٢٠	الْمُقَيَّدُ وَالْمُلْطَافُ عَمْدُ بْنُ عَمْرٍو
١٢٠	٢٠٦ عَقَّةُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْمَنْصُورِ	١٢١	٢٠٧ الرُّشِيدُ وَهَرُ النَّبِيلِ
١٢١	٢٠٧ الرُّشِيدُ وَهَرُ النَّبِيلِ		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٩٥	باب إيتارهم الحق - وفيه :	١٢١	باب عزتهم في أنفسهم - وفيه :
٢٠٩	الرشيدي وأحاديث أبي هريرة	٢٣٦	إذا خاف المسلم من الله خافه
٢١٥	ملك الكمال والمفيدة عجيبه		كل شيء
٢١٣	أمداد المعروفة باسم فاعلت	٢٤١	استنقاذ ابن أبي ذؤاد لابن خلف
٢١٨	البخاري وحرب الحبشة ومن		من الأندلس
	الحبيب الصالح	٢٤٢	طالب العلم كيف لبس السلطان
١٠٣	باب تشددكم فيما يروونه حقاً -	٢٤٣	الفقيه فاطمة وكنب ملك الطاه
	بده وفيه .	٢٥٠	الفارابي وسيف الدولة
٢٢١	معيد بن السيب ورأيه في البيعة		باب عزة العلم - وفيه :
	لولى العهد	٢٤٤	القاضي الذي لا يجد رغبين
٢٢٤	إمام الحرمين ورضاه	٢٦٥	مالك يحدث
١٠٧	باب إقرارهم بالحق - وفيه :	٢٦٦	كفارة بين الخليفة والرائق مائة
٢١٧	ابن هبيرة وعلماء البصرة		ألف دينار
٢٣٠	قضية النصارى على وكيل زبيدة	٢٦٧	عن الرضا جيباير
١١٢	باب أداء الحق مع رعاية	٢٦٩	الناوذج والقاضي
	الآداب - وفيه :	٢٧٠	صدر كتاب الخراج
٢٣١	حاج الرشيد أنه من أهل الجنة		باب بالتعليم أرسلت وفيه :
٢٣٢	قضية الخبدي في استن وخلص	٢٧١	تخير النبي لحسن العلم على مجلس
	القاضي منها باطاف		الدكر
٢٣٣	شكوى الكوفة من أمير الكوفة	٢٧٧	وصف حل الاسلام
٢٣٥	نشأة الوزير يحيى بن هبيرة ووضعه	٢٧٨	صورة رنكوعرافة لاجزة
	كتاب الاصحاح في اختلاف الفقهاء		والد المؤلف

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٤٥	باب سلطان العلم - وفيه :	٣٩٠	منذر بن سعيد : الزهر
٢٨٠	أولو الأمر عم العلماء	٣٩٥	باب عظمهم وفيه :
٢٨١	ليلة من ليالي عيد الله بالف دينار	٣٩٧	عظمة ابن طلوس على المنصور
٢٨٥	وليا العهد يستغفر لتقديم صل العراء	٣٩٨	سعيان يسل على الخليفة تسليها عاما
٢٨٦	معاوية وابنه قرظة	٣٩٩	عظمة منذر بن سعيد
٢٨٧	مجامع الملوك للحديث في الصف	٣٩٧	عظمة بكار بن قتيبة
٢٩١	أول كتابة الحديث	٣٩٠-٣٩١	عظمت العزيز بن عبد السلام
٢٩٢	سبب وضع كتاب الموطن	٣٣١	بيع أمراء الدولة من الآثار
٢٩٤	انتشار العلم في زمن الرشيد	٣٣٢	النهي وهرقل
٢٩٥	( ١٠٠٠٠٠٠٠ ) درهم ينقها فرد	٣٣٥	حكم الوقف
	على الحديث	٣٣٨	بيروني والنوري
٢٩٦	أم تمل أسبا ثلاثين ألف دينار	٣٣٩	حن بانسا الجزائري والشيخ
٣٠١	( ١١٣١ ) ألف دينار ) تنفق على كتب		السكري
٣٠٢	مائتا ألف روية على الفتاوى	٣٤٠-٣٤٣	عظمت الشيخ حسن الطويل
	الهدية	٣٤١	عظمة لشيخ الألباني
٣٠٣	مدرسة المتصدد والمدارس في	٣٨٤	باب اعظام الملوك لهم وفيه :
	الاسلام	٣٥٠	أبو حنيفة والاسكاف
	المدرسة النظامية - وفدة ٢٠	٣٥١	الخامون والمضر بن قميل
	المدرسة الناصبية	٣٥٢	العلماء والامراء
	المدرسة المعادية بسكندرية	٣٥٣	بيت من الفناء بده اسحق الموصلي
٣٠٧	تمنى الأمراء منزلة العلماء		بأمر الرشيد
٣٠٨	تطلب العلم على الحق	٣٥٤	مرو بن عبيد المنصور
٣٠٩	علم الحكم المستنصر	٣٥٥	المنصور يخضع لنصاء



نصف	الموضوع	نصف	الموضوع
٥١٨	المظاهر وترك العلماء خصوصاً على	٤٨٤	بعض صنائع الانبياء
	و رغباتها وطريقة التعليم قديماً	٤٨٥	النبي يصل ويؤجر نفسه
٥٢٢-٥٢٣	الأزهر وحده	٤٨٨	قاضى القضاة صياد صك
٥٢٥	المعارف ولماذا تعلم ؟	٤٨٩	صناعات الاشراف
٥٢٧	معى العلم بين الخلق والعمل	٤٩٠	الدعوة الاسلامية تفتج عظامها
٥٢٩-٥٣٠	لاس لالم		من مختلف الطبقات
٥٣٣	مقصد العلم	٤٩٢	سر الاخلاص وقوة الاستمرار
٥٣٥	تشويق السانعة في مصر	٤٩٣	أحب العمل الى رسول الله
٥٣٦	برامج المعارف	٤٩٤	ملعب (المرك) وعلم العلماء
٥٣٧	بجلاس التربية	٤٩٥	المؤلف وعلم المنطق
٥٣٨	صرح العلم ومقارنة التربية عندنا	٤٩٨	استمتاع العلماء بالخلال
	وعند غيرنا	٥٠٠	نظام قاضى قضاء الاندلس
٥٤١	خلاصة ما نفعنا على التعليم	٥٠١-٥٠٥	ثبات العلماء
٥٤٣	ما نفعنا لاصلاح الحال	٥٠٦	تحدد للنرا الى
٥٤٥	حكمة المقترحات	٥٠٧	تقلب الحال بالخليفة عمر بن
٥٤٧	ظاهرة العلم في الاسلام		عبد العزيز
٥٥٠-٥٥٢	انلاسر في الجوامع والجامعات	٥٠٨-٥١١	العلماء يستمعون لسمع العلماء
٥٥٣	المقصد الاخلاص	٥١١	المحدث الزهرى لا يحدث إلا
٥٥٥	حديث عن عالم مختص		إذا ضرب صود
٥٥٦	قد يتبد العالم وهو مظلم	٥١٢	مزع العلماء
٥٥٨	العالم الماهر	٥١٣-٥١٦	حسن مملكة العلماء وصورتها
٥٦٠	تشبيه نبوى لأصناف العلماء	٥١٧	مناظرة ملك والنو فى فى
٥٦١	للعالم محور العالم		الاستمتاع بالخلال



صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٣٣٩	الحرية والاسلام	٣٣٢	الخاتمة
٣٤٣	التربية الاستقلالية	٣٣٣	مسك الختام
٣٤٤	تربية النساء	٣٣٤	ساعة الصكف
٣٤٥	تربية الحرية	٣٣٤	عناصر اخلاق العلم والعمل
٣٤٦	التربية العقلية	٣٣٥	تناول القارىء للكتابات وكناشة
٣٤٨	التربية الاخلاقية		المؤلف
٣٥٠	العربية الاسلامية	٣٣٦	الترتيب
٣٥٣	العرب والانجليز	٣٣٧	الانتقاء
٣٥٥	نقد الكتاب ودلائلها وهدايا	٣٣٨	اسم الكتاب

## فهرست أعلام الكتاب<sup>(١)</sup>

ابن جرير ن : ٢٤٨٦٩٧٠٩٩	١
ابن حنبل ن : ٤٧١٠١٤٤٥١٤٣	ابراهيم بن سعد الزهرى ن : ٥١١٠٤٦٤
ابن الدهان ن : ١٤٦٠١٠٨	ابراهيم الموصلى ن : ٣٩٨
ابن سلام ن : ٥٥٥	ابن أبي ذئب ن : ٣٤٩
ابن سيرين ن : ٢٢٧٠٢٥٥	ابن أبي ليلى ن : ١٥٠٠٤١١
ابن سينا ن : ٥٤٧٠٥٤٧	ابن الاثير ن : ١٠٦
ابن عباس ن : ١٢٠٠١١٠٠١٢٠٠١٢٠٠	ابن الطيبر الطيبر ن : ٣١٨٠٢٠٥
١٣٩٠١٣٠٠١١٨٠١١٦٠١٦٠	ابن تيمية ن : ٤٤٧
ابن عبد الوهاب - القاضي ن : ٣٦٤	ابن جاسم - انفى ن : ٤٤٣

(١) اصطلاحنا على حرف (ص) للدلالة على الصفحة وعلى حرف (ن) للدلالة على النسخة

ابن عمر بن : ١١٨ ، ١٧٣	أبو داود المحدث ر : ١٦٠
ابن العبد ر : ٣٠٧	أبو ذر ر : ٢٢٠ ، ٢٤٤
ابن حن القاضى ر : ٢١٠	أبو رافع ر : ٤٢٨
ابن القفلى ر : ٩٨٠	أبو رحاء المطاردى ر : ٤٢٣
ابن الماحشون ر : ٥٠٩	أبو زرعة المصرى ر : ٤٤٠
ابن مالك ر : ٦٣	أبو الزناد ر : ٤٥٤
ابن المبارك ر : ٣٩ ، ٣٢ ، ٩٥ ، ١٣٨	أبو سفيان بن حرب ر : ٤٨٩
٢٨٥ ، ٢٧٣ ، ٤١٩ ، ٤٤٤	أبو شقيل ر : ٥٥١
ابن مسعود ر : ٦ ، ١٧٧	أبو طالب ر : ٤٨٩
ابن المسيب ر : ٢٧ ، ٢٨ ، ١٢٤ ، ١٨٥	أبو العالية ر : ٢٥٩
٢٢١ ، ٢٤٢	أبو الصامية ص : ٣٤٣
ابن المنذر ر : ١٨٠ ، ١٣٢	أبو عثمان الكوفى ر : ٤٣٤
أبو نعيم البجلي ر : ٤٣٧	أبو عمرو بن العاص ر : ٤٨٩
أبو بكر الخليفة ١٥٨ ، ٤٨٥ ، ٤٨٩	أبو عمرو بن الملا ر : ٢٤٠
أبو بكر الحلال ر : ٤٧٩	أبو مسلم القشبرى ر : ٢٩٨
أبو تمام الشاعر ص : ٣٤٣	أبو عكر ر : ٤٥٣
أبو حازم ر : ٢٣٧	أبو هريرة ر : ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٢٧٤
أبو حرب بن أبي الأسود ر : ٤٣١	أبو يعقوب الشيبلى ر : ٥٥٢
أبو حنيفة ر : ٣٠ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤	أبو يوسف القاضى ر : ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٩
٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٥	١٣٠ ، ١٣٧ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨
١٢١ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٦٧	١٦٩ ، ١٨٧ ، ٢٣٢ ، ٢٦٩ ، ٣١٣
١٧٦ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ٢٠٤ ، ٢٢٢	٣٥٩ ، ٣٩٠ ، ٤٢٤
٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٩٧	أبي بن كعب ر : ١٥٦
٣٥٠ ، ٤٠٠ ، ٤٣٠ ، ٥٦٣	أحمد بن أبي ذؤاد ر : ٢٠٩ ، ٢٤٩

- ٢٦٥ ، ٣٦٠ ، ٣٨٥  
 أحمد بن طولون ن : ٣١٧  
 إدريس - الدي ن : ٤٨٤  
 آدمون ديمولار ص : ٣٥٤  
 أرفون بن أدفونش ن : ٤٠٩  
 إسحاق الموصلي ن : ٢٦٢ ، ٣٠٠ ، ٣٥٣ ، ٣٩١ ص : ٣٤٤  
 اسماعيل باشا - الخديون : ٢١٨ ، ٣١٩  
 اسماعيل الكندي - القاضي ن : ٣٣٥  
 الأشعري - الشيخ ن : ٦٢  
 أصحاب أبي حنيفة ن : ٣١  
 الأصمى ن : ٦١ ، ٤٠٢ ، ٤٤١  
 الاعشى ن : ١٣٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ -  
 أوطا لون ن : ٥١٨  
 إمام الحرمين ن : ٢٤ ، ٣٦٣  
 أم علي - المحدث ن : ٦٠  
 أم الفضل - المحدث ص : ٣٤٥  
 أمة الخالق - المحدث ص : ٣٤٥  
 أم هانيء - المحدث ص : ٣٤٥  
 أمة الزبير - المحدث ص : ٣٤٥  
 أمية بن خلف ن : ٤٨٩  
 الأمير - الشيخ ن : ٦٦  
 الأوحدي ن : ٤٦٢  
 الأوزاعي ن : ٩٧ ، ٣٨٩  
 الأوقس - القاضي ن : ٢٦٥  
 أوبس القرني ن : ٤٩٧  
 إلياس - القاضي ن : ٢٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥  
 أيوب السخني ن : ٤٢٩ ، ٥٠٣  
**ب**  
 الباجوري الشيخ ن : ٦٥ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧  
 البجلي - المحدث ن : ٤٣٦  
 البحاري ن : ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ ، ٤٤٦  
 بسر بن أرطاة ص : ٣٤٨  
 بسر بن سعيد ن : ٥١٥  
 بشار الشعر - ن : ٣٩٧  
 بكار بن قتيبة - القاضي ن : ٣١٧  
 بكر بن عبد الله المزني ن : ١٩٩  
 البرصيري ن : ٤٦١  
 بيزس ن : ٣٣٨  
**ت**  
 توة بن نمر - القاضي ن : ١٧٤  
 تيسو باشا ن : ١٠٤  
**ج**  
 جابر الأنصاري ن : ٧٨  
 الجاحظ ن : ١١١  
 الجمالي المفتي ن : ٢٠٢ ، ٢٠٣  
 جرجيس بن يحيى شوع الطيب ن : ٥١٩

الجويو — العالم ن : ٢٢٤، ٢٢٥

## ح

حريث أبو عمرو ن : ٤٨٩

الحجاج ص : ٣٤٣

الحسن البصري ن : ٢٢٧، ٤٤٥، ٤٤٤، ٤٤٤

حسن الطويل — الشيخ ن : ٣٤٠،

٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣

الحسن السبط ن : ٤٩٩

الحسن الهاشمي ن : ٤٣٣، ٣٤٨

الحسن بن الحسين المهندس ن : ٤٦٦، ص ٢٢٩

الحسين بن حفص ن : ٤٤٩

حسونه — الشيخ ن : ٦٤، ص ٢٨٤

حفص بن غيث القحفي ن : ٢٣٠

الحكم بن أبي العاص ن : ٤٨٩

الحكم المتعصر ن : ٣٠٩

حماد بن سلمة ن : ٢٣٩

حماد بن مسلم ن : ٤٤

حماد الرازي ن : ٤٠٥، ٣٨٢، ص ٣٤٣

حماد بن مولى عثمان ن : ٤٢٧

حمزة بن حبيب ص : ٣٤٧

## خ

خالد — الكاتب ص : ٣٤٣

خديجة — المودعة ص : ٣٤٥

الخليل بن أحمد ن : ١٣٢، ١٧٨، ١٧٩

## د

داود الطائي ن : ٥٠٤

داود الطاهري ن : ٥٥٢

داود — النبي ن : ٤٨٤

## ر

الرازي ن : ٧٤

ربيعة الرأي ن : ٢٩٦

رستم ص : ٣٥٩

الرشيد ن : ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٤٧، ٢٨٢

٢٩٤، ٣٥٣، ٥١١

## ز

الزبير ن : ٤٨٩

زفر ن : ٤٢

زكي باشا ن : ١٠٣

الزحشرى ص : ٣٤١

الزهري ن : ٥٣، ٤٥٩

زيد بن ثابت ن : ٨، ٦٧، ١٥٥

## س

السادات ن : ٣٣٩

سحنون بن سعيد ن : ١٥٩

السرغسي ن : ٣٧٧

القاضي ن : ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣

٩٤ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٧٠ ، ٣٨

١٩٥ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١١٠ ، ٩٠

٥٢٠ ، ٤٤٦٠ ، ٤٤٤٥ ، ١٩٩٧ ، ١٩٦

الشريفي - الشيخ ن : ٦٢ و ص ٣٤٨

شريك - القاضي ن ٢٣٣

الأشعري ن ١٣

شعبة - الحديث ن : ٢٣ ، ١٢٢ ، ٩٢

١٩٢ ، ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٦٢ ، ١٦١

الشعبي ن : ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٥٥

٤٩٦

شفيق بن حله ن : ٥١٣

شمس الدين البساطي ن : ٤٨٨

الشنقبلي - الشيخ ن : ١٠٢

شبهة - المحدثه ص ٣٤٥

الشيرازي ن : ٧٤ ، ٧٥ ، ٣٠٥ ، ٣٦١

ص

صفوان بن محرز ن : ٤٣١

صلاح الدين الأيوبي ن : ٢٨٧ ، ٢٨٨

٤١١

ط

طاوس ن : ٢٠٦

طلحة ن : ٤٨٩

سعد بن أبي وقاص ن : ٤٨٩

سعيد بن حبير ن : ٢٩ ، ١٦٠ ، ٤٥٥

سفيان بن عيينه ن : ١٣٤

سفيان الثوري ن : ٣١٤ ، ٤٨٦

السخا - الشيخ ن : ٢٧٨

سليمان الفارسي ن : ١٤

سليمان بن ابراهيم - الشيخ ن : ٢٠٠ ، ٢٧٨ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠

سليمان بن ربيعة ن : ٤٥٢

سليمان - النبي ن : ٤٨٤

سلم - السلطان ن : ٢٠٢

السرقي ن : ٢٤٣

السعاني ن : ٣٧٢

سهل النستري ن : ١٦ ، ٢٥٥

السيوطي ن : ٢٦ ، ٧ ، ١٧٤ ، ٣٧٤

و ص ٣١١ و ٣٤٥

سيد المرصني - الشيخ ن : ٨١

سير بن أبو محمد ن : ٤٧٤ ، ٤٨٩

سيف الدولة بن حمدان ن : ٢٩٩

السيد الحيري - الشاعر ص : ٣٤٣

ش

الشاشي ن : ٢٠

الشاطبي ن : ٣٢٠

ع

الحامص بن هشام ن : ٤٨٩

الحامص بن وائل ن : ٤٨٩

حافظ بركات ن : ١٧١

حالكيم ن : ٣٠٢

حامر بن عبد الله الصبري ن : ٤٢٧

حامر بن كرب ن : ٤٨٩

هافية بن يزيد ن : ١٧٥

هائشة - أم المؤمنين ن : ١١٥، ١١٤، ١١٣

هائشة بنت طلحة ص : ٣٤٤

عبد الحميد - الكاتب ن : ٣١١، ١٨

عبد الرحمن بن الحكم ص : ٣٤٩

د د د شبل ن : ٤٢٢

د د د عوف ن : ٤٨٩

عبد العزيز بن صهيب ن : ٣٩٣

عبد العزيز السلطان ن : ٣٧٠

عبد الله بن طاوس ن : ٣١٢

عبد الله بن عمرو ن : ١١٩

د د د حدعان ن : ٤٨٩

عبد الملك بن مروان ن : ٣٣٢، ٣٤٣

عبد الله - أحد القراء السبعة ن :

١٢٣، ١٢٤، ٢٨١

عنة بن أبي وقاص ن : ٤٨٩

عنان - الخنفسر ن : ٣٠

عنان بن طلحة ن : ٤٨٩

عروة بن الزبير ن : ١٢٤

عروة بن أذينة ن : ١٨٢

عز الدين بن جماعة ن : ٢١٣

المز بن عبد السلام ن : ١٤٩، ٧٢

٢١١٦، ٢١٢، ٢١٥، ٣٢٦ إلى

٣٣٩، ٣٦٤

عطاء ن : ٢٥٧، ٢٥٨

عقبة بن أبي مسطور ن : ٤٨٩

هكرمة ن : ٢٥٦، ٥٠٨

علاء الأزهر ن : ٤١٨

علي الحارثي ن :

علي الحارثي ن : ٢٠٧

علي مبارك باشا ن : ١٠٠، ٣٤٣

علي يوسف ن : ٣٩٨، ٥٢٤

عمر - الخليفة ن : ١١٢، ٨٢، ٢٤١

٢١٩، ٤٨٨، ٣٥٦

عمر بن حبيب - القاصي ن : ٢٥٩

عمر بن عبد العزيز ن : ٢٩١، ٣٤٨

٥٠٧

عمر بن العاص ن : ٤٨٩

عمر بن عبيد ن : ٢٢، ٢٠٧، ٢١٦

٣٥٤

مروسي بك ن : ٣٩٨

المروم أبو الزبير ن : ٤٨٩

عيسى بن يونس ن : ١٢٥ ، ١٩٣ ،

٣٩٥ ، ١٩٤

الميني - الشيخ ن : ٤٦٣

غ

الغزالي ن : ٥٠٦ ، ٢٥٠

غلام قطب ن - ٣٨٩ ، ١٩٩

ف

فؤاد - ملك مصر ن : ٣٦٨

الفارابي ن : ١٨٠ ،

فاطمة - النقيبة ن : ٢٤٣

فاطمة الفسطاطية - المحدثه ص : ٣٤٥

فتح زغالول باشا ص : ٣٥٤

الفراء ن : ٢١ ، ٢٨٤

الفردق ن : ٥١٤ ، ٥٩٥

الفضل بن الربيع ن : ١٦٩

الفضل بن عياض ن : ٢٣٨ ، ٢٩٤ ،

٤٨٢

ق

القاسم النقي ص : ٣٤٣

قيصة بن قزيب ن : ٤٥٠

قتيبة بن مسلم ن : ٤٨٩ ص ٣٤٣

القرطبي ن : ١٩٨

القسطلاني ن : ٢٦

القفال ن : ٧٣

القويصقي - الشيخ ن : ٦٦

قيس الفهري ن : ١٨٩

قيس بن محرمة ن : ٤٨٩

ك

الكاساني - ملك الطاه ن : ٢٤٣

الملك الكامل ن : ٢٨٩

كرمفس - البيوتاني ن : ٥٩٨

الكسائي ن : ٣٨٤

الكلاب بن المهدي ن : ٥٩٠

كالية - المحدثه ص : ٣٤٥

الكندي - الطبيب ن : ٣٠٨

ل

الليث بن سعد ن : ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ،

٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١٨٩ ،

٢٠٨ ، ٢٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ،

لودنس - الكونيل ن : ٥٣٨

الزلوي ن : ٤٣٥

م

مالك - الإمام ن : ١٢٦ ، ١٤١ ، ٢٩٢ ،

٣٤٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤١٢ ،

- حالك بن دينار : ٤٦٥  
 المأمون — الخليفة ن : ٢٧٩ ، ٢٣٤ ، ٣٨٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥١  
 انقلي : ٣٨٣  
 جمع الزاهد ن : ٤٧٩  
 محمد بن بشر : ٥٠١ ، ٥٠٠  
 محمد بن الحسن : ٣٨٤ ، ٤٢ ، ٣٨  
 محمد بن عمران ن : ٣٥٥  
 محمد بن المتكبر ن : ٤٣٢  
 محمد بن عبد الله الشيخ ن : ٣٤٩ ، ٣٤٥ ، ١٠١  
 المحمودون ن : ٧٧ ، ٧٦  
 محمود عرنوس — الشيخ ن : ٣١٦  
 مختار — المقي ن : ٣٤٤  
 مرزبان مرو ن : ٨٩  
 المزي ن : ٢١٢  
 الحبيب أبو سعيد ن : ٤٧٧  
 المسيح — روح الله ن : ٤٩٢  
 معاذ بن جبل ن : ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٧  
 ٤٢٥  
 معاوية — الخليفة ن : ٢٨٦  
 مصر ج — عمر بن عبيد الله ن : ٤٨٩  
 الملك المظفر ن : ٢١٥  
 المنصور — الخليفة ن : ٣٦٠ ، ٢٩٩  
 المنصور الخليفة ن : ٣٠٣  
 المنصور — الخليفة ن : ٢٣١  
 من الدولة بن يوي — السلطان ن : ٣٤٣  
 منظر بن سعيد ن : ٣١٦ ، ٣١٠  
 المنصور بن المعتز ن : ٤٣٨  
 المنصور الاندلسي ن : ٢١٤  
 المنصور الخليفة ن : ٣٥٥ ، ٣٥٤ ، ٢٩٢  
 المهدي — الخليفة ن : ٢٩٣  
 المهدي من : ٣٤٣  
 المهلب من : ٣٤٣  
 ميمون بن عمران ن : ٤٧٧ ، ٤٤٩  
 ن  
 نابليون — الامير اطور ن : ٥٤٥  
 الناصر الاندلسي ن : ٣١٦  
 نافع — مولد ابن عمر ن : ٢٦٣  
 الانبائي — الشيخ ن : ٣٤٤  
 الانباري ن : ٢٨ ، ١٤٥  
 النجدي — الشيخ من : ٣٤٨  
 النخعي ن : ٣٩٢ ، ١٩  
 نشوان — المحدث من : ٣٤٥  
 نصيب — الشاعر ن : ٤٤٢  
 النضر بن فحيل ن : ٣٠٩  
 النضر بن الحارث بن كلب : ٤٨٩  
 نظام الملك — الوزير ن : ٣٩٢ ، ٢٩٠  
 ٤٠٤



الوليد بن المغيرة ن : ٤٨٩

ي

يحيى البرمكي ن : ٣٥٨

يحيى بن أكرم ن : ١٣٤ ، ٢٣٤ ، ٢٨٢

يحيى بن سعيد القاضي الطبيب ص : ٣٤٧

د القرطبي ص : ٣٤٨

د بن معين ن : ٢٩٥ ، ٣٧٦

د بن هبيرة الوزير ن : ٢٣٥ ، ٢٩٨ ،

٣٠١

د النحوي ن : ٦٩

د بن يحيى اللبتي ص : ٣٤٩

يزيد بن المهلب ن : ٤٨٩

يزيد بن هارون ن : ٢٨٣

يونس بن عبيد ن : ٤٣٩

فوبل - الاسوجي ن : ٥٦١

نوح - ابن أبي مريم ن : ٣٨٦

التوفلي ن : ٥١٧

التروى - يحيى الدين ن : ٣٣٨

هـ

هاجر - المحدثات المصرية ص : ٣٤٥

الهادي - الخليفة ن : ٢٣٢

الهادي - المقي ص : ٣٤٣

هرقل ص : ٣٥٠

هشام بن عبد الملك - الخليفة ن : ٤٠٥

هشام بن عروة ن : ١٦٦

و

الواقدي ن : ١٨١ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ،

٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٣

## الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩	٨	بخش	بخش	١٥٢	٣	الامراء	الافراد
١٩	١٥	٢٠٠	٢٥٥	١٨٩	١٧	بيتا	بيت
٥٣	١٣	شغراً	شفا	٢٠٤	٢٠	بما	بم
٥٥	٦	نظرة	ناظرة	٢٠٨	٨	يجلسونه	يجلسوه
٥٥	٦	يده	يده	٢٠٩	١	عن المدي	بالمدي
٥٥	١١	ورجماً بعد	ورجماً كان بعد	٢٢٦	١٦	يتمصلوا	يتمصلوا
٥٨	١٣	عدم الا	حذف ( الا )	٢٤٠	٤	حدان	حرا ان
٧٣	١٧	وحين وهذا	وحين هذا	٢٤١	٧	مسودا	مسوداً
٨٢	٨	عاقبة	عاقبة	٢٤٨	٩	الذوالاثة	الولادة
٨٢	٩	قال	قالت	٢٩٣	١٦	المعنون	المعنون
٩٣	٨	حضر	حضر	٢٦٧	٤	عنهم	عنه
٩٧	١٨	السلطان صالح	السلطان الصالح	٢٧٥	٣	الحسن	الحسن
١٢٢	٥	الاغنياء	الاغنياء	٢٧٨	٥	الاغنياء	الاغنياء
١٣٥	٩	مدليان	مدلاتان	٢٨٨	١٤	كثيرا	كثير
١٤٨	٦	مفتاح	حسن الحاضرة	٢٨٠	٨	على	عن
١٥١	٣	وشود	وشواذ	٢٩٠	١	أساطم	أساطم
١٥٣	٥	عشر حدة	عشرة	٣٩٠	٣	كثيرا	كثير
				٣٠٤	١٤	كول	كواهل